بديعُ الزّمان النُّوْرسيْ

وإثبات الحقائق الإيمانية

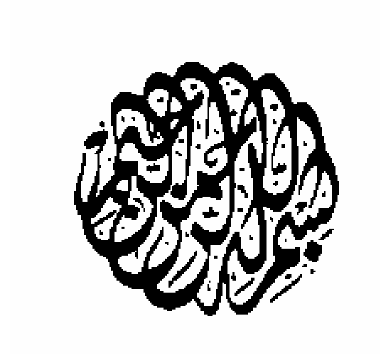
(المنهج والتطبيق)

الدكتور عمار جيدل

رئيس قسم العقائد والأديان

كلية أصول الدين

جامعة الجزائر



مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله و على آله الطيّبين الطاهرين وصحبه أجمعين، وبعد فقد يسّر لنا الله سبحانه تعالى – المتفضّل بنعمه التي تجزى – كتابة هذا المؤلف عن رائد من رواد المقاومة الدينية والفكرية في المجتمع الإسلامي الحديث" العلامة النورسي" المعروف بـ" بديع الزمان".

اخترت الكتابة عنه من زاوية "إثبات الحقائق الإيمانية" بوصفها المحور المركزي الذي تدور عليه جميع مؤلفاته - رسائل النور- من جهة، و ما يفرضه تحصيل وتوصيل وتأصيل الثقافة الإسلامية في العصر الحديث من جهة أخرى، وخاصة في ضوء هجمة الإقصاء بل والإفناء التي أريد تسليطها على الثقافة الإسلامية وحملتها.

فقد بدا لنا أن النورسي أنجز عملا حضاريا حقق بموجبه المقاصد الرئيسة من الخطاب الإسلامي الذي تفرض عليه طبيعته الإلهية مراجعة التقليد بالتأصيل، وقد فرضت هذه الميزة على النورسي تناول المسألة من الزوايا التي عمد الحداثيون المتغربون على استغلالها للتشكيك في الإسلام كرسالة ربانية ذات بعد حضاري إنساني.

تناول النورسي قضيته المركزية من جهة الزوايا التي حصل فيها الغبش والخلل، فكانت الرسائل موفقة إلى حد كبير في إثبات الحقائق الإيمانية من زوايا محورية:

* وفق النورسي إلى تحصيل العلوم الإسلامية بطريق التعليم في زمن المادية الإلحادية الإقصائية، و التي كانت تتحيّن فرصة للانقضاض على الأمة باجتثاث دينها و موروثها الحضاري من ضمير الأمة بل و من الوجود نفسه، فكانت جهوده دالة على عبقرية فذّة، قطعت الطريق على رواد الاستبداد الديني والثقافي والسياسي.

* سمح النجاح المسجّل في التحصيل بتهيئة الشروط الموضوعية لتوصيل المعارف، فكانت خطته في التعليم يسيرة بسيطة، جعلت من بيان الغايات الوظيفية من الإسلام لحمتها وسداها، وبهذا حال دون العقلية التي كانت سببا في ضياع القراءة الهدائية للدين.

* تحقيق الهدفين السابقين فرض على النورسي التركيز على التأصيل الشرعي لما رام تحقيقه في المجتمع الحديث، وبهذا الصدد عمد إلى المصادر الإسلامية الأصيلة(الكتاب، و السنة) فاستثمرها بشكل قرّب منه البعيد مذهبيا بل وحتى إيديولوجيا، وزاد إلى ذلك حسن توظيف الخبرة المعرفية الإسلامية، وذلك طبعا في إطار القراءة الهدائية للإسلام.

يحق لنا في إطار الغاية المركزية (إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم) من مؤلفاته، و بعد تحديد السياق العام للموضوع أن نتساءل عن ماهية الإثبات وحقيقته في مؤلفات النورسي، وما هو منهجه المتّبع؟ وما مظاهر ذلك في العمل التطبيقي المنجز؟

يفرض الجواب عن السؤالين السابقين التعريف ببديع الزمان والظروف التي نشأ فيها متعلما و معلّما.

هذه الطبعة الأولى وفق ما بدت للمؤلف وقد يعود إليها في قابل الأيام بالتنقيح والزيادة وفق ما يظهر من دراسات أكاديمية متخصصة.

الإهـداء

و يحسن بنا فـي هذا المقـام إهداء مؤلفنـا إلـى كل رواد المقاومـة الفكريـة في البيئة الإسلامية والإنسانية، أهدي هذا العمل إلى كل عامل علـى تكريس المقاومة الدينية والفكرية كمسلك حضاري رئيس لتجاوز الشمولية المتترسّة بقوة الاقتصاد والإعلام ووسـائل الدمار الشامل ونفوس وعقول بل وقلوب أصحاب السطوة عندنا، حتى غدا التفكير في المقاومـة جرمـا بحكم القوانين المحلية والدولية، فضلا عن تجسيده صـراعا حضاريا بمفهومـه الإنسانـي، لقد أصبحت فكرة الانخراط في الحضارة الجديدة ـ التي يراد فرضـها علـى الـضعفاء ـ أمـرا حتميـا مـن منظـور اقتـصادي، بعـد أن كـان ضـرورة (حضارية) فكرية وفلسفية ملحّة في الماضي القريب.

يسّر الله سبحانه وتعالى للإنسانية روادا عمدوا إلـى مواجهـة المتترّسين والمتترّس، فقد تكرّم الله سبحانه وتعـالى علـى هؤلاء الـرواد بجعلهم فـي مقدمة صفوف العاملين على تطعيم الأمـة ضد الشمولية الحضـارية ـ غير الإنسانية ـ بجميع مشمولاتها (التربويـة والثقافيـة والاجتماعيـة..)، و زيـادة في التفضّل خلّد الله سبحانه وتعالى ذكرهم، خاصـة وهم أنموذج الإخـلاص والصدق و الأمانة، فلهم منا جميل الثناء والدعوات في ظهر الغيب.

أهدي هذا العمل إلى علاّمة الجزائر **عبد الحميد بن باديس** ومن بقي من تلاميذه علـى العهد ثابتـا غير مبدّل، وإلـى العلاّمـة **بـديع الزمـان النورسـي** وتلاميذه الثـابتين، وكل عامل علـى تبليغ مسلكه وتجسيده برنامجـا وخطـة ومنهج حياة، وفاء منا وعملا على تكريس المقاومة الدينية والفكريـة كمسلك رئيس للتعلّم والتعليم والتأصيل في مواجهة التقليدين الغربي والشرقي.

مقدمة البحث:

يعتبر العلماء في الثقافة الإسلامية ورثة الأنبياء، فقد ورد في الحديث عن النبي ρ " **إن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**"[1]، لهذا يعد عمل العلماء الرساليين امتدادا لعمل الأنبياء، ينسجون على نسقهم في اجتثاث أممهم من دركات فساد الاعتقاد والأخلاق والقوانين وسائر الأحوال.

والقيام بتلك الوظيفة على أكمل وجه يقتضي من العلماء استصحاب المعطى الثقافي والحضاري الذي تتحرّك فيه دعوتهم فاعلة ومتفاعلة، ولعل أصدق أنموذج معبّر عن استحضار تلك المعطيات من الناحية النظرية في صياغة نظرية أصيلة في التغيير، العمل الجبار الذي أنجزه الشيخ سعيد النورسي، فقد كان بحق رائدا من رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني الحديث، إذ تجسّدت في جهوده وراثة الأنبياء في العلم والعمل[2].

وتمكينا لتلك الفكرة عمليا حاول رحمه الله مناقشة أفكار المعجبين بالغرب وثقافته في البيئتين العربية والتركية، وقد كانت مؤلفاته أوضح دليل على ما ذهبنا إليه. لهذا كان اختيارنا للكتابة عن بديع الزمان النورسي مبررا بالأسباب الآتية:

1- معايشته للأحداث السياسية والفكرية التي كانت تحاك خيوطها في بلاد الغرب بغرض الإجهاز على الدولة العثمانية، وقد فرضت عليه تلك المعايشة المشاركة الفعلية في التأسيس لتيارات المقاومة الفكرية والمساهمة في جهودها.

2- اهتمامه الكبير بالمطارحات الفكرية في بيئة خيّم عليها الخمول والاستقالة الاختيارية من سلك المقاومة الفكرية على الأقل، و تكمن

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم
(2) أنظر سيرته الذاتية 31

عبقريته في العمل على بعث الوعي في بيئة سيطر عليها الآخر ثقافيا وأخلاقيا، فسعى بما وهبه الله من قدرات عقلية - لا مثيل لها - إلى دفع تشكيك الأمة في دينها وخبرات أسلافها الثقافية والأدبية والسياسية، وقد نجح أيما نجاح في الحفاظ على جذوة الإيمان متّقدة في قلوب المؤمنين بأسلوب نقاث كسر الطوق الذي سلّطته السياسة المادية وأهلها.

3- اهتمامه ببعث سلطان القرآن في المجتمع بواسطة نشر حقائقه الناصعة، واعتبر ذلك من أوجب الواجبات في جو المؤامرة التي تحاك بغفلة من البعض وبمساهمة ومباركة البعض الآخر.

4- تعرّضه لكثير من المضايقات والمطاردات والإهانات في المجتمع العثماني الحديث، وخاصة تلك التي سلّطت عليه من قبل التيارات الغربية على تنوّع اهتماماتها (السياسية أو التربوية...) .

5- يتبادر إلى الذهن في هذا المقام التساؤل الآتي: ما سرّ الإهمال الذي سلّط عليه في البيئة العربية على الأقل؟

لماذا كتبت الشهرة لمن هم أقل منه شأنا وعلما؟ فكيف بقي الرجل مجهولا إلى حد ما حتى قيّض الله بعض أتباعه لنشر فكره في بيئتنا العربية الإسلامية؟ القضية تحتاج دراسة متأنية.

سيعالج بحثنا بعض من تلك القضايا في إطار البحث عن إثبات الحقائق الإيمانية منهجا تطبيقا، ومعالجة هذه المسألة يقتضي تقسيم الموضوع على النحو الآتي:

أولا :حديث عن مسرح الأحداث

ثانيا:التيارات السياسية التي عاصرها

ثالثا:التيارات الثقافية التي عاصرها

رابعا: مولد الشيخ ونشأته العلمية

خامسا:جهاده العلمي والسياسي

جعلت عمدتي في الكتابة عن العلامة النورسي مؤلفاته أولا ثم ما كتب عنه ثانيا، فكان أول ما استثمره ما كتبه عن نفسه في ثنايا مؤلفاته وخاصة كتابه " **سيرة ذاتية** " المعبّر عن معايشة الأزمة السياسية ومنطلقاتها الفكرية في المجتمع العثماني الأخير ، وزاد المسألة وضوحا بما كتبه في مجموع مؤلفاته الرائعة "**رسائل النور**"، كما استفاد الباحث من مجموعة من المؤلفات التي ترجمت له، منها ما كتبه **الأستاذ** الدكتور محسن عبد الحميد سواء في (المرحومة) مجلة الأمة القطرية أو في كتابه الذي جمع فيه تلك المقالات ، وخاصة كتابه "النورسي الرائد الإسلامي الكبير، وكتابه النورسي متكلم العصر، إضافة إلى ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وعلى الخصوص كتابه " من الفكر والقلب "، بالإضافة إلى بحوث الأستاذ إحسان قاسم المخصصة للتعريف بالنورسي، منها مساهمته في ملتقى بديع الزمان النورسي فكره ودعوته الذي أقيم في الأردن سنة 1998م، إضافة إلى ترجمته المبثوثة هنا و هناك، منها ما كتبه الأستاذ الآنف الذكر، والأستاذ حمزة المكسي وخاصة تلك التي ترجمها إلى العربية طاهر الشوشي.

كما استثمر الباحث مجموعة أخرى من المؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب سعاد ألكان Suad alkan

Bédiuzzaman said nursi(monographie d'un grand réformateur(mujadid) du siècle

بالإضافة إلى أعمال المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي والذي كان عنوانه " تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين".

وكتاب شريف ماردين Serif mMrdin

Religion and social change in modern Turkey ,The case of Bediuzzaman Said Nursi

زيادة إلى ما سلف فقد استفدنا من بعض الأطروحات العلمية كرسالة الطالب حسن عبد الرحمن بكير المقدمة لنيل درجة الماجستير بكلية الدعوة في ليبيا، ومجموع أعمالنا منها – وخاصة في جانبها التاريخي - بحثنا المقدم لنيل درجة الماجستير في أصول الدين من جامعة الجزائر بعنوانه "منهج الاستدلال على وجود الله عند شيخ الإسلام مصطفى صبري"، وبحثنا المقدم لنيل درجة الدكتوراه في التخصص نفسه ومن المؤسسة ذاتها بعنوان : " الكوثري وآراؤه العقدية - المنهج والتطبيق -" ، والبحث كما هو بيّن من عنوانه يستدعي الاستفادة من كتب أخرى تناولت الحديث عن شخصيتنا أو أوضاعها التاريخية عرضا.. هذه عيّنة من المؤلفات التي استثمرتها في إنجاز هذا البحث، ولنا عودة إليه في قابل الأيام وفق ما تجود به دور النشر والتوزيع من مراجع ومؤلفات جديدة أو مقالات.

قدّمنا هذا الجهد خدمة لأولئك الذي عملوا على خدمة أمتهم في زمن قلّ فيه الوفاء لأصالتنا، وكاد أن يأفل الاهتمام ببعث مشروع حضاري مؤسس على ثقافتنا الأصيلة وخاصة في جو ما يحيط بنا من إكراهات محلية وجهوية ودولية.

يفرض ما سبق تقريره العمل على بعث الاهتمامات الحضارية في الحاضر وتعهدا أكبر لبذرة البناء الحضاري التي كان من أبرز روادها

العلامة النورسي، إنه عمل على التواصل بين المشرق والمغرب في إطار أصالة الأمة، تحقيقا لجزء مما يجب علينا القيام به تجاه أبنائنا وجيلنا .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين

الجزائر 1 شوال 1421هـ
الموافق 27 ديسمبر 2000م

الفصل الأول

1- فرشة عن الدولة العثمانية

فهم شخصية عثمانية تركية يقتضي الإحاطة بالظروف الحضارية التي كانت فيها هذه الشخصيات فاعلة ومتفاعلة، لهذا أرى نفسي ملزما بعرض صورة مختصرة عن تلك الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية، و نتبعه بعد ذلك بترجمة موجزة لشخصية العلامة النورسي مع بيان لمجمل آرائه الإصلاحية.

عاش النورسي كل فترة الشباب في كنف الدولة العثمانية وبالتحديد في أواخر أيامها، وقد كانت دولة أصيلة، إذ كانت نواتها الأولى عشيرة من الترك تسكن في أنحاء الأناضول[3].

بدأت الدولة العثمانية وفق السنن الكونية صغيرة على يد عثمان بن أرطغرل (699هـ/1299م) [4] المتحمّس للعقيدة الإسلامية ومشاورة الفقهاء حيث أوصى ابنه وهو على فراش الموت بتوقير العلماء والتزام الشرع الشريف، والتشاور مع أربابه في كل ما يقدم عليه، كما أوصاه بتعظيم أمر الله والجهاد في سبيله وإعلاء كلمته[5].

---

(3) أنظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها/عبد العزيز محمد الشناوي33/1،البلاد العربية والدولة العثمانية/ساطع الحصري 11-13، المسألة الشرقية/محمد ثابت الشاذلي 397، يقظة العالم الإسلامي/فرنو ترجمة بهيج شعبان67/1،الصراط المستقيم/(ضمن كتاب مورغان)بحث لحسن جنتاي61/2،دائرة معارف القرن العشرين/محمد فريد وجدي 546/2.

(4) نسجت حول شخصيته أساطير كثيرة منها زواجه من مال خاتون، ولقاء والده بزاهد مسلم أثر في صياغة شخصيته، وقيل أيضا أنه رأى بشرى في منامه،أنظر وجدي المرجع السابق والشناوي مرجع سابق.

(5) الحصري مرجع سابق129-140، الشاذلي/مرجع سابق60-62، الحروب العثمانية الفارسية/عبد اللطيف الهريدي19، دراسات تاريخية في النهضة العربية/محمد بديع الشريفي23.

وهكذا ظهرت الدولة العثمانية قوية منذ أيامها الأولى، فجمعت إلى الطبيعة العسكرية لأفراد جيشها(6) قوة السلاح وقوة الإيمان، وقد خولت تلك العناصر لرجالها عبور البحر الأسود (757هـ/1356م)(7) ثم فتح القسطنطينية (857هـ/1453م)، وامتد سلطانهم إلى سائر بلدان شبه جزيرة البلقان.

وواكب هذا الفتح تنازل المتوكل على الله عن الخلافة (922هـ/1517م) لصالح العثمانيين، و زامن هذا انضمام سوريا ودخول العثمانيين مصر، واستلام السلطان العثماني مفاتيح الحرمين الشريفين من ابن شريف مكة،.. وهكذا دواليك إلى أن أصبح السلطان العثماني خليفة المسلمين(8).

وتوالت الفتوحات تترى الواحدة بعد الأخرى، فشملت آسيا وأوربا وإفريقيا، وقد ساعدتهم الظروف الدولية العسيرة التي مرت بها المنطقة(9) وما صاحبها من انقسامات على تحقيق المراد، فقد كان العثمانيون ملاذ المسلمين الذين انقسموا إلى دويلات متناحرة متنافرة يتهددها الصليبيون من كل جهة، بسبب احترام وصية المؤسس الأول.

وبهذا بسطوا سلطانهم على كثير من بلاد المسلمين بسرعة مذهلة، لأنها كانت بحق دولة الأخلاق دولة الهوية الإسلامية، لهذا ليس مستغربا منها إجابة المستنصرين من المسلمين، خاصة أولئك الذين يهددهم التناحر الداخلي والضغط الخارجي.

---

(6) الشناوي مرجع سابق33/1، الحصري مرجع سابق17.

(7) الهريدي مرجع سابق19

(8) الشناوي مرجع سابق19/1-27، وجدي مرجع سابق547/2، الحصري مرجع سابق43-15،32-45،17.

(9) الهريدي 18-19، الحصري15، الشناوي63/1.

لهذا حق لنا أن نطلق عليهم اسم **منقذ العالم الإسلامي من الاندثار**، إذ ما كان مستبعدا أن تتقلص دولة الإسلام والإسلام نفسه كدين عالمي من تلك الديار باستقرار الصليبيين فيها[10].

وفي ذلك يقول محرم[11]

لولا بنو عثــمان والسنن الذي
شرعوا لما وضح السبيل الأقوم
سطعوا بآفاق الخــلافة فانجلـى
عنها من الحدثــان ليل مظلم
فهــم ولاة أمورها وكفـــاتها
وهم حماة ثغـورها، وهم هم[12]

واستقر العمل في الدولة على النسق نفسه إلى أن بلغت الدولة ذروتها في عهد السلطان **سليمان القانوني** (1512-1520م) بعد تغلبه على الشاه الصفوي **[13]** وهيمنته على المقدسات الإسلامية ودخولها تحت إشرافه[14]، وقد واكب هذا النمو والازدهار ظهور بعض بوادر التململ في المجتمع العثماني، تململ كانت له صلة بالتطور العلمي الذي ظهر في أوربا، مما بعث في الأوربيين أحقادهم الصليبية من جديد وأطمعهم في بلاد المسلمين،

---

(10) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين/مصطفى صبري7/1

(11) أحمد محرم بن حسن عبد الله شاعر مصري له ديوان يعرف باسمه، وديوان الإسلام أو إلياذة الإسلام ضمّنها تاريخ الإسلام شعرا، ولد سنة 1294هـ/1877م، ونفي بدمنهور مصر ودفن بها سنة 1364هـ/1945م

أنظر مشاهير شعراء العصر /أحمد عبيد114/1

(12) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر/محمد محمد حسين 1 /28

(13) الهريدي51-53

(14) حركة الجامعة الإسلامية/أحمد فهد الشوابكة ، الحصري 9-10

فخططوا لضرب الدولة العلية وإضعافها ليتسنى تقسيمها في قابل الأيام [15].

وقد ساهم في مشاريع الإجهاز على الدولة نخبة المجتمع الأوربي كما تؤكده شهادة دجوفارا وزير خارجية رومانيا في كتابه **" مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية "**، الذي أكّد فيه تنوّع مشاريع الإطاحة بالدولة العثمانية، و قد ساهمت في وضعها وتنفيذها أغلب الدول الأوربية (فرنسا، وإنجلترا، وروسيا، وبلجيكا، وهولندا، وإسبانيا،...) وبكفاءات علمية وسياسية وعسكرية عالية المستوى (رجال الدين، والساسة، والأدباء، والأطباء، والعسكر ..)، منهم على سبيل المثال لا الحصر لايبنيتز وبوانكرييه وفولتير وغيرهم كثير... [16]

بلغ الأوربيون ما أرادوا على حين غفلة من العثمانيين، فغزت فرنسا الجزائر(1830م) ثم احتلت تونس، وامتلكت إنجلترا قبرص ثم غزت مصر، واحتل الروس رومانيا (البغدان).. وذكى كل ذلك التنافس على تركة الرجل المريض – الدولة العثمانية - حسب تعبير قيصر روسيا للسفير الإنجليزي[17].

و قد كان لهذه المؤامرات أثر كبير في تحريك همم المهتمين بالشأن العثماني، فاقترح بعضهم للخروج من التخلّف تمثّل مسالك الغربيين في الإدارة والحكم دون الوقوع في شراك أفكاره.

---

(15) حاضر العالم الإسلامي/ لاوثروب تعليق شكيب أرسلان ترجمة عادل نويهض 208/3

(16) أنظر المرجع السابق، وانظر بحثنا أوجين يونغ وتأريخه للاستعمار في العالم الإسلامي،بحث منشور بالجريدة الأسبوعية البصائر الجزائرية الصادرة بتاريخ 2000/06/26(ظهرت في خمس حلقات متتابعة)

(17) المسألة الشرقية ومؤتمر باريس/مصطفى صفوت 17(النص بالإنجليزية).

ومال فريق آخر إلى بعث محاولات إصلاحية وفق المنظور الإسلامي الأصيل تزعمهم في بدء أمرهم عثمان الثاني (1032هـ/1629م)....
واختار فريق ثالث النمط الغربي وكان من أوائل زعمائهم سليم الثالث (1222هـ/1807م)، وسرت تلك المسالك إلى العثمانيين، مما سبب وقوع تطاحن بينهم، فكانت الكلمة الأخيرة للأنموذج الأخير الذي أضفى عليه السلطان عبد المجيد صبغة رسمية مستعينا بأحد المعجبين بالفكر الغربي (مصطفى رشيد).

و تزامنا مع ذلك برزت إلى الوجود محاولات إصلاحية تلفيقية على يد أحمد الثالث (1143هـ/1730م)، والصدر الأعظم إبراهيم باشا (1154هـ/1742م)[18]

وتلافيا لهذه الوضعية الخطيرة التي آل إليها حال المجتمع العثماني حاول **السلطان عبد الحميد الثاني** إرجاع الدولة إلى سابق عهدها المجيد، فعمل على صد التيارات الانفصالية وحل المشاكل التي تتخبّط فيها الدولة، فعمد إلى الحيلة والتحايل من أجل حماية هذا الدرع الواقي لرسالة الإسلام من الاندثار، وحكم البلاد من جرّاء ذلك أكثر من ثلاثين سنة (1876-1909م)، عاش في ظلها النورسي أعزّ أيامه، ولهذا يعد التفصيل في وصف ذلك العصر مفتاحا أساسيا في فهم شخصية النورسي وكيفية تفاعله مع الأحداث السياسية والثقافية التي عاصرها في العهد المشار إليه أو الذي تلاه وخاصة فترة حكم **الاتحاد والترقي** ثم مرحلة **الكماليين**.

1/1 عهد السلطان عبد الحميد الثاني:

---

(18) تاريخ الدولة العلية/محمد فريد 253،صفوت 21-22، الحصري81-93، الشوابكة24

استهل عمله في ظل ظروف مأساوية بدأت بوفاة عمه عبد المجيد (1277هـ/1861م) واغتيال أخيه عبد العزيز (1293هـ/1875م)، وقد صادف ذلك تسرّب الأفكار المناهضة للأصالة الإسلامية من خلال مراد الخامس الذي كانت تربطه بالدوائر الإنجليزية والماسونية علاقات حميمة بواسطة مدحت باشا [19].

بدأ السلطان حركته الإصلاحية بوضع صيغ فعّالة للحد من خطورة التوجهات الانفصالية المشجعة من قبل الأوربيين[20]، قال السلطان عبد الحميد الثاني: " منذ قرن كامل خبرنا بآمال ونوايا العناصر البلغارية والروسية في الاستقلال الذاتي، يسعى البلغار والسلاف نحو التخلّص من حكم العثمانيين".[21]

كما عمل في ذات الوقت على منع التدخّل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدولة والحد من خطورة الحركة الدستورية (كانت على أشدّها في تلك المرحلة) [22] بهدف بعث حركية سياسية إسلامية جديدة تتوخى تطبيق الشريعة وتتمثل مقاصدها، فبدأ بخاصة نفسه آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ومحاربا لمظاهر الفساد الإداري والسياسي داخليا وقطع الطرق عن الأطماع الأجنبية خارجيا مع تقشّف متميّز.

وفي هذا الجو السياسي المشحون بالمؤامرات ظهرت عدّة حركات سياسية جديدة بعضها متّصل بالأمة وآمالها وآلامها، وبعضها الآخر يتوخى

---

(19) حركة الجامعة الإسلامية/ الشوابكة11-12.

(20) الدولة العثمانية.../الشناوي1065/2-1066،نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية/محمد الخير عبد القادر63.

(21) مذكراتي السياسية / السلطان عبد الحميد 90،86-91.

(22) البلاد العربية والدولة العثمانية/الحصري 93-94، حاضر العالم الإسلامي 308/1، الشناوي 1068/2-1071، الخلافة الإسلامية/سن جيونج 193، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين /صبري 331/4-334.

تحقيق رغبة الآخر في البلاد العثمانية، فمن الأولى كانت حركة الجامعة الإسلامية، ومن الثانية كانت حركات الاتحاديين والكماليين.

2/1 الجامعة الإسلامية والخلافة الإسلامية:

ظهرت الجامعة الإسلامية كفكرة فعالة على الساحة السياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على يد شخصيتين عالميتين، أولاهما جمال الدين الأفغاني [23]، وثانيتهما السلطان عبد الحميد الثاني. الذي حاول من منصبه السياسي استغلالها باستعطاف المسلمين نظرا للظروف الصعبة التي تمر بها بلاد المسلمين بصفة عامة، وخاصة في ظل عدم وفاء الأوربيين بما أبرم من اتفاقات في مؤتمر برلين (1878م)، وتسرّب تيار الإصلاحات وفق المنظور الغربي في دواليب السلطة وقد واكب ذلك أزمة مالية خانقة مصحوبة بتحديات عسكرية[24].

ورغم اتفاق الرجلين من حيث الغاية إلا أنهما ـ للأسف الشديد ـاختلفا من حيث الوسائل والأساليب المحققة لتلك الغايات.

فالأول: يرى أن أقصر طريق وأنجعه يتلخّص في الثورة على الأنظمة ثم تتحد الحكومات، ولهذا اتهم بتأسيس جمعيات سرية و خاصة بعد قتل الشاه[25] الذي أتهم به بقتله أحد مريديه، وقد قالوا بأنه قال حين قتله خذها من جمال الدين".

---

(23) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي/أنور الجندي170،الشناوي مرجع سابق 1813/3-1816.

(24) الدولة العثمانية وشبه جزيرة العربية/رجب حراز53-55، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني 4-5، مجلة المجتمع/مقال عبد الحميد حرب عدد 532 ، يقظة العرب/جورج أنطونيوس 60، حاضر العالم الإسلامي308/2، الموسوعة الإسلامية/محسن الأمين 43/6-46، انتهاء الخلافة العثمانية/حلمي أحمد شال 15.

(25) الشاوي /مرجع سابق 1213/3-1216.

أما الثاني: فيرى الحل في إحياء الدعوة إلى الخلافة التي تمثّلها الدولة العثمانية.

لهذا لم يعمّر اتفاقهما طويلا نظرا لاختلاف المسلكين، وتذكية خلافهما من قبل قوى[26] لا تريد الخير للأمة، فأفلت فكرة الجامعة الإسلامية، لتظهر بعد ذلك على يد السلطان عبد الحميد الثاني في ثوب جديد عرف باسم الخلافة الإسلامية.

بدأ السلطان دعوته إلى الخلافة (سنة 1904م)، وذلك بعد أن هيّأ لها الشروط الموضوعية - حسب تقديره - بغرض قطع الطريق على التيار الدستوري[27] والحيلولة دون توغّل الأوربيين في البلاد، والسعي إلى إحكام السيطرة على الولايات العربية وغيرها من الولايات.

حاول السلطان وخز الضمير الإسلامي في الداخل والخارج لعلّه يظفر بنصير لمواجهة الاستدمار العالمي،إلا أن الأزمات الداخلية حالت دون بعث عناصر ديمومة فكرة الخلافة الإسلامية[28]، ورغم المصاعب المحيطة به من كل جانب لم ينثن وقام بأعمال جبارة لم يكتب لها النجاح المنتظر للأسف الشديد.

وتتلخّص تلك المحاولات في التركيز على مواجهة الأفكار الأوربية المتلبّسة بالتنظيمات الدستورية في الداخل من خلال الدعوة إلى إحياء الخلافة والالتزام الفعلي بأحكام الشريعة الإسلامية.

---

(26) أنظر اليقظة القومية الكبرى/حسين صبحي 42-44، جمال الدين الأسد أبادي/ميرزا لطف الله خان 140-141.

(27) حركة الجامعة الإسلامية/الشوابكة 38.

(28) سياسة السلطان عبد الحميد/محمد عبد اللطيف الجعفري 40-41.

بدأ السلطان بخاصة نفسه متقشّفا آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر[29] محاربا لمظاهر الفساد مع عمل دؤوب من أجل تحقيق الإصلاح الشامل.

أنشأ شبكة الطرقات بهدف تخفيف كلفة النقل[30]، وأنشأ المؤسسات العلمية كجامعة استنبول والعسكرية كالكليات العسكرية والمدارس التعليمية[31]، كما سعى إلى بعث إعلام فعّال بإنشاء المجلات والنشريات والدوريات[32]، وحاول في الوقت نفسه إصلاح التعليم بإدخال العلوم الدينية واللغة العربية في المقررات الرسمية، وتشجيع استعمال لغة القرآن في المجال الثقافي والعلمي، وهذا رغم العراقيل التي وضعها محمد سعيد باشا، ومنع إطلاق الترجمة الأوربية للأسماء العربية والتركية على الشوارع[33] . هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فقد منح الأولوية للحد من نفوذ إنجلترا وفرنسا وروسيا في الدولة العثمانية، فرغب في التقارب مع ألمانيا والاستفادة من خبراتها العسكرية في تنظيم الجيش مع استثمار صلاته الدبلوماسية من أجل الاستفادة من الخبرة البحرية الإنجليزية.[34]

---

(29) ذهب أنطونيوس والشناوي إلى أنه من قبيل التصنّع، وهو مخالف حسب تقديرنا لما وصفه به الثقات.

أنظر الشناوي/المرجع السابق1205/3، أنطونيوس/مرجع سابق 138-139، مذكراتي السياسية/السلطان عبد الحميد 97، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية/مصطفى حلمي 101.

(30) فسرت كسابقها بأنها مؤامرة لتطويق الولايات العربية، أنظر يقظة العرب/أنطونيوس 143-144، الدولة العثمانية.../الشناوي1325/3.

(31) الخلافة الإسلامية/سون جيونج 94.

(32) الشناوي1205/3، مذكرات السلطان 153،حاضر العالم الإسلامي309/1.

(33) الشناوي/مرجع سابق1205/3-1206.

(34) الخلافة الإسلامية/سون جيونج 94-209.

وقد نتج عن التقارب العثماني الألماني زيارة ولهلم الثاني للآستانة حيث طمأن خلالها السلطان، وأكد له مساندة الشعب الألماني لخليفة المسلمين [35].

وقد شلّ اليهود والماسونيون محاولات الإصلاح الداخلية والخارجية بهجمات سياسية شرسة، وخاصة بعد فشلهم في إقناعه ببيع فلسطين، حيث يقول ردا على رغبتهم في شراء فلسطين: "نكون قد وقعنا قرارا بالموت على إخواننا (أهل فلسطين) في الدين.. لا يريد الصهيونيون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين عنهم ، وإني أفهم جيدا معنى تصوراتهم.. إن هرتزل يريد أرضا لإخوانه في دينه "[36]

وقد سجّل تيودور هرتزل (الباعث الأول لفكرة الدولة العبرية في فلسطين في مدينة بال السويسرية) للسلطان إخلاصه لدينه ووطنه حيث قال عنه: " إنه لا يتخلى أبدا عن القدس "[37]، كما سجّل أنه قال لمبعوث اليهود الراغب في شراء فلسطين: " لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا .. لا أستطيع أبدا أن أعطي أي جزء منها ، ليحتفظ اليهود ببلايينهم".[38]

لم يرفض السلطان بيع فلسطين فحسب، بل رفض المساومة والسمسرة نفسها، وأكد هرتزل هذه المعاني بوضوح، بيّن من خلاله عدم رضوخ السلطان للترغيب والترهيب الذي سلّط عليه من كل جانب، وردا لما بذله اليهود من وسائل ترغيب وترهيب يقول السلطان عبد الحميد الثاني: " فإذا

---

(35) المصدر السابق نفسه.

(36) مذكراتي السياسية/السلطان عبد الحميد الثاني 34-35.

(37) يوميات هر تزل/تيودور هر تزل 36،35،29، خطر اليهودية/عبد الله التل 163.

(38) يوميات هرتزل 36،35،29.

قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل إنما لن تقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتشريحها لأي غرض كان ".[39]

استغل اليهود الظروف المحلية والدولية أحسن استغلال فأوغروا قلوب الأوربيين عليه بما أوتوا من مكر و خديعة متأصّلة فيهم وظلوا على تلك الحال من غير ملل أو كلل إلى أن تمّ لهم المراد فخلع السلطان بأيد محلية (وطنية) وإمعانا في الانتقام بلّغه قرار خلعه الوسيط اليهود (قره صو) الذي ردّه خائبا في محاولات شراء فلسطين[40]

ظهرت مع تسارع الأحداث السياسية أحزاب سياسية تتبنى طرحا مغايرا للاتجاه الأصيل في الأمة، إذ كانت أعمالهم بمثابة محاولات جادة لتمكين القيّم الغربية من المجتمعات الإسلامية.

و كانت أعمالهم فاتحة عهد التدافع الفكري في المجتمع العثماني الحديث، وقد سمح الوضع الجديد بانكشاف المستتر من الجمعيات المتسرّبة في المجتمع العثماني، فنادى بعضهم بالإصلاح الجذري وفق المنظور الغربي، واختارت مجموعة أخرى التلفيق بين الموروث الإسلامي والفكر الغربي.. واحتدم الصراع بين الفريقين في المجتمع العثماني، وهكذا دواليك صراع بعد صراع.. فكانت الكلمة أخيرا للمجموعة الأولى بقيادة مدحت باشا[41] (1238هـ – 1301هـ) -

---

(39) خطر اليهودية/التل 163.

(40) النكير على منكري النعمة من الخلافة والأمة/مصطفى صبري111 ، مخططات الاستعمار لمحاربة الإسلام/محمد محمود الصواف 176، التل مرجع سابق232، الأسرار الخفية/حلمي 257-259.

(41) اعتبره أحمد أمين وحسن الأمين من رواد الإصلاح الاجتماعي والسياسي من منظور إسلامي، و نقلا عنه ما يؤيد وجهة نظره، أنظر زعماء الإصلاح/أحمد أمين26-58، الموسوعة الإسلامية/محسن الأمين 186/6-187.
والأصح حسب تقديرنا صحة ما ذهبنا إليه، وقد يكون الرجل مرّ بمراحل، كان آخرها ما أثبتناه.

(1822م -1883م) ، لم يجد هذا الفريق صعوبة في التأقلم مع الوضع الجديد نظرا لإمداداته المتجذّرة في المجتمع العثماني[42] الحديث.

حاول مدحت باشا بعد هيمنته على الساحة السياسية تطبيق النظام الإنجليزي في الإدارة والحكم، فوضع الدستور للحد من صلاحيات السلطان الذي اختاره لمنصب الصدارة العظمى إرضاء للمجتمع العثماني المريض، يؤكد هذا المعنى قول السلطان: "لم أكن أستطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد،كنت مجبرا على التعاون معهم، فقد كان من الضروري أن أتقدم لشعب مريض (أفصح أن اسم مدحت باشا يساوي في حساب الجمل [43] دواء الأمة) أن تقدم له الدواء الذي طلبه"[44].

اقترح الفريق المتسلط الجديد إضافة الصليب إلى راية الدولة إرضاء للغربيين، وعملوا على تدريس اللغات القومية في المدارس الرسمية للدولة[45]، وإمعانا في خدمة الأوربيين عينوا ولاة من غير المسلمين في ولايات أغلب سكانها مسلمين، وسمحوا بالتحاق طلبة من غير المسلمين بالجيش والمدارس الحربية خاصة الأرمن المعروفين بسوء أخلاقهم وعمالتهم للدول الغربية.

---

(42) مثل فؤاد باشا الذي يعد أحد الذين أعدّهم رشيد باشا لإكمال مسيرة الاقتباس من الغرب، أنظر مذكرات السلطان عبد الحميد 134.

(43) يعرف بحساب الجمل أبجد هوز... حساب مخصوص ، وذلك أنهم وضعوا لكل حرف من أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ، فمن الألف إلى الطاء المهملة للآحاد(1-9)، ومن الياء إلى الصاد للعشرات(10-90)، ومن القاف إلى الظاء لآحاد المئات(100-900)، والغين ألفا، أنظر كشاف اصطلاحات الفنون/التهانوي 11/2.

(44) حركة الجامعة الإسلامية/الشوابكة30،مذكرات السلطان30.

ظهر حزب مدحت باشا في شكل باهت سنة 1859م ، أنظر الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب/رجب حراز 43.

(45) حاول تجسيدها مدحت باشا عندما كان واليا على الشام.، أنظر حاضر اللغة العربية في بلاد الشام /سعيد الأفغاني 20

لم يتوقف خبثهم عند هذا الحد، بل جاوزوه إلى إقحام الدولة العثمانية في حرب خاسرة ضد روسيا (1877م) على يد الصدر الأعظم (مدحت باشا)، ونجم عن تلك الحرب الخاسرة قبول معاهدة سان ستيفانوس (1878/03/03م)، و نالت الدولة العثمانية المهيبة[46] بموجبها ذلا لا تحسد عليه، تدخّل بعدها السلطان بغرض تجاوز ما لحق الدولة من مهانة وتخفيف آثار تلك المعاهدة المشؤومة، وعقد بموجب ذلك مؤتمر برلين (1878/07/13م) [47]، وتسارعت الأحداث مما عجّل بإقالة مدحت باشا ونفي بموجب الدستور[48]، ولكنه أرجع إلى الواجهة السياسية للدولة بإيعاز من السلطان نفسه وهو أمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب.

وقد واكبت هذه الحركة مجموعة أخرى ركّزت إصلاحاتها على الاستفادة من التجربة الإنسانية الأوربية في مجالات مخصوصة، منها أساليب الحكم والإدارة والثقافة والاجتماع وخاصة ما جاءت به الثورة الفرنسية من مثل الحرية والمساواة والعدالة، مع العمل على إيجاد مسوغات شرعية للاقتباس من أوربا، فأرجع روادها النظام البرلماني الأوربي في إنجلترا وفرنسا إلى الشورى في الشريعة الإسلامية[49].

مثّل هذا الاتجاه ودافع عنه المفكر العثماني ضياء باشا المفكر الوطني الملقب بشاعر الحرية وأب الوطنية[50] بمفهومها العثماني، الذي يتجلى في تمسكه بالدولة العثمانية واستمرار قوانينها ومعتقداتها التي تشكل أساس حضارتها[51] التي بها تتميّز عن غيرها من الأمم الشرقية والغربية.

---

(46) مذكرات السلطان عبد الحميد142، الشوابكة/مرجع سابق 29.
(47) المسألة الشرقية ومؤتمر باريس/مصطفى صفوت 17.
(48) المرجع السابق 30،عزل بموجب المادة 23 من الدستور.
(49) المرجع نفسه33،31-34.
(50) المسألة الشرقية /محمد ثابت الشاذلي53،نامق كمال/ الهريدي11،6.
(51) الشوابكة مرجع سابق نفسه.

فتحت هذه الاتجاهات السياسية المتنافرة باب الصراعات على مصراعيه، فظهر التشرذم والتحزّب والانتصار للآخر بشكل علني، وصرّح على رؤوس الأشهاد برغبة جامحة في الدفاع عن الأوربيين ومثلهم ثقافيا وسياسيا واجتماعيا، ثم توالى التنافس والتفنن في صيغ الدفاع والمدافعة، فركز البعض على العمل السياسي الجماعي واختار آخرون العمل الثقافي الفردي تهيئة للعقول لقبول الأفكار الأوربية.

2- التيارات السياسية

عاصر العلامة بديع الزمان النورسي كثيرا من التيارات السياسية، وكانت له معها مساجلات كبيرة، فقد ناقش كثيرا منها، ولا أدل على ذلك مما حفظته مؤلفاته من مواقف صريحة من الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة والاتحاديين والكماليين، ولبيان ذلك اخترنا الحديث عنها باختصار في بداية الأمر.

1/2 الاتحاد والترقي:

تعرّض هذا الحزب إلى مضايقات كبيرة في بداية أيامه نظرا لمجاهرته بمعاداة الخلافة ، مما اضطره إلى العمل في سرّيّة تامة بدأها سنة (1317هـ/1899م)، عقد مؤتمره الأول في باريس (1320هـ/1902م) ثم مؤتمرا ثانيا (1324هـ/1906م) حرّض فيه على إبعاد السلطان عبد الحميد الثاني بواسطة العصيان العسكري (الذي تم في إزمير واستنبول)[52] ثم الأناضول سنة (1326هـ/1908م) .

(52) تاريخ حوض البحر المتوسط/محمد رفعت 330.

نجح هذا الحزب نجاحا جزئيا فمكّن لرجاله، ولكنه فشل في إبعاد السلطان نظرا لضعف موقفهم السياسي من جهة، و تأييد المشائخ وبعض العسكريين المنادين بتطبيق الشريعة(53) للسلطان من جهة أخرى.

لكن التوازن بين القوى المتصارعة لم يعمّر طويلا، إذ تمكّنوا على حين غرّة من استغلال الظروف المحلية والدولية والانقضاض على السلطان، فساهموا بقسط وفير في تبني الثورة المضادة والدعوة لها وتقوية صفوفها..، إلى أن تمكنوا من تنفيذ انقلاب عسكري على السلطة القائمة و إبعاد السلطان في شهر أبريل (نيسان) 1909م وسجنه في مدينة (يهيمن عليها اليهود) سالونيك (54)، و بعد نجاح الانقلاب خلا لهم الجو فطاردوا بعد تمكّنهم خيرة أبناء المجتمع العثماني، لهذا يعترض النورسي على الشدّة التي كانت تساس بها الأمور.(55)

مرت مرحلة حكم الاتحاديين بمرحلتين أساسيتين كانت أولاهما مهيئة لتحقيق الثانية، أولاهما (1909 - 1914م)، وثانيتهما (1914 - 1918م)، انتهت الأولى باستياء شعبي كبير من جراء استبدادهم وقلّة اكتراثهم بالموروث الثقافي والحضاري للأمة العثمانية.

يقول النورسي: "عارضت.. الاتحاد والترقي المستبدة، تلك التي أذهبت شوق الجميع وأطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيّز وسببت

---

(53) المسألة الشرقية/الشاذلي190، حاضر العالم الإسلامي 80/4، الموسوعة الإسلامية/محسن الأمين 43/6، 8/4، ضمّن الأخير كتابه هجوما قويا على الأتراك وأهل السنة قاطبة، قد يرجع ذلك إلى التعصّب المذهبي، إذ الرجل كما هو معلوم إمامي جعفري.

(54) المسألة الشرقية/الشاذلي 206، خطر اليهودية/التل 379-380.

(55) صيقل الإسلام/ النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي 433.

التفرقة بين الناس وأوجدت الفرق والأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطية بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة، بل حتى لطّخت اسم الاتحاد والترقي"[56].

وتنهى المرحلة الأولى بإقالة محمود **شوكت باشا** (1913م)[57] بغرض امتصاص الغضب الشعبي المتزايد بسبب تصرفاتهم الدنيئة، وتبدأ المرحلة الثانية فاستبشر العامة خيرا، ولكن الأحوال بقيت على حالها سواء من ناحية الخلفية العقدية للدولة أو من حيث الوضع السياسي والاجتماعي المتردي لأنهم سرعان ما عادوا إلى ما عرفوا به في سالف الأيام[58].

1/1/2 التاريخ السياسي للاتحاديين

تسرّب الاتحاديون إلى مواقع القرار في الدولة العثمانية، وعمدوا إلى اتخاذ قرارات جائرة باسم الدولة، فأشاعوا التقتيل باسمها وتحت لوائها وأغروا بتلك التصرفات الرعناء القوميات على المطالبة بالانفصال، استحوذوا بعدها على أغلب مقاعد المجلس الوطني بطريق المكر والخداع.

يشهد لهذا المعنى قول النورسي عن هذه الحركة : "تلك التي أذهبت شوق الجميع وأطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيّز وسببت التفرقة بين الناس و أوجدت الفرق و الأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطية بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة، بل حتى لطّخت اسم الاتحاد والترقي".[59]

---

(56) المصدر السابق 452-453.

(57) الموسوعة الإسلامية/الأمين2/8، كان الانقلاب بقيادة أنور بك وبمشاركة طلعت باشا وجمال السفاح ، وعرف هذه المجموعة بالثالوث الخطير.
أنظر الشاذلي مرجع سابق205، نشاة الحركة العربية الحديثة/عزت دروزة108.

(58) أسرار الماسونية/أتلخان 60-61، البلاد العربية والدولة العثمانية/الحصري123.

(59) المصدر السابق 452-453.

خلصت لهم بعدها الهيمنة على مصادر القرار في المجتمع العثماني، فجاهروا بالانتصار للقومية الطورانية على حساب القوميات الأخرى المكوّنة للمجتمع العثماني، وإمعانا في الانتصار لتلك القومية منعوا تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية، بل والتحدث بها في المجلس الوطني، فأشعلت بتصرفاتهم الرعناء فتنة مزّقت المجتمع العثماني، واستمروا على النمط نفسه في نفي كل مجالات الحياة، فطردوا جل العرب من الوظائف السامية في الدولة، عزل بموجب السياسة الجديدة ثلاثة عشر متصرفا إداريا وعوّضوا بأتراك، و طرد الموظفون العرب من وزارة الخارجية، وتمادوا في تلك السياسة إلى أن بلغت نسبة الموظفين العرب في مجموع الوزارات أدنى ما يمكن منذ نشأة الدولة العثمانية.

و لا أدلّ على ذلك من نسبة عدد الموظفين من غير الأتراك في الإدارات الاتحادية، إذ لم يكن عددهم متناسبا مع عدد مواطني كل قومية في المجتمع العثماني، فقد أصبح عدد الموظفين على النحو الآتي: الأتراك في الوظائف السامية مائة وإحدى عشر موظفا، وإحدى عشر موظفا يهوديا، وعشر موظفين من الإرمن، وعربي واحد فقط.[60] وبلغة الأرقام يمثل عدد الموظفين السامين العرب نسبة أقل من واحد (0.72) من مائة، وعممت هذه السياسة على سائر المجالات، فأصبح عدد الطلبة الموفدين إلى الخارج يمثل ربع واحد (0.25) من مائة.[61]

وتمادوا في تلك السياسة الرديئة، فبلغوا فيها حدا لا يطاق، هجّروا السوريين من أوطانهم واعتبروا اليمن والحجاز مستعمرات تركية[62]،

---

(60) نشأة الحركة العربية/دروزة301، المنار/رشيد رضا917/13.

(61) نشأة الحركة العربية/دروزة301، المنار/رشيد رضا917/13

(62) كيف هدمت الخلافة/عبد القديم زلوم 29، الموسوعة الإسلامية/الأمين 8/2.

وسلّطوا بموجب هذه السياسة جمال باشا السفاح على الشعب العثماني في سوريا وأرمينيا فقتّل وحرّق وهجّر (1915-1916م).[63]

وكشفت هذه السياسة ما كان مستورا فانقلبوا على القوميات التي شجّعوها في سالف الأيام، وخاصة القومية العربية، ليخلص لهم اجتثاث لغة القرآن من المجتمع الجديد[64]، وقد وصل بهم الاستهتار حدا لا يطاق ولا يتصور، فمنع الشيخ محمد الطاهر الجزائري (1268-1338هـ) (1852-1920م)[65] من تدريس الشريعة الإسلامية في إعدادية بيروت .. هذا قطر من فيض أما عن إهانتهم للعرب وحضارتهم الإسلامية فحدّث ولا حرج.[66]

2/1/2 صلة الاتحاديين باليهود :

نشأ حزب الاتحاد و الترقي في مدينة سالونيك في كنف يهود الدونمة[67] حيث وجد روادها الرعاية الكاملة في الفترة السرية، يقول أحد زعمائهم (

---

(63) المراجع السابق نفسها.

(64) تغيير المعالم والأسماء.. أنظر دروزة مرجع سابق 302.

(65) طاهر بن صالح السمعوني الجزائري ثم الدمشقي من كبار علماء اللغة العربية وآدابها، ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية، وكان عضوا في المجمع اللغوي العربي في دمشق، عارف باللغات الشرقية (العبرية، السريانية، االحبشية، التركية، الفارسية، بالإضافة إلى الأمازيغية) ألف في فنون شتى كالتفسير وعلوم الحديث والسيرة.
أنظر الأعلام/ الزركلي 222/3.

(66) حاضر اللغة العربية في بلاد الشام/سعيد الأفغاني 24.

(67) اسم يطلقه الأتراك على جماعة يهودية هاجرت من أسبانيا إلى تركيا، اختاروا سالونيك موطنا لهم، وهي طائفة يتظاهر أفرادها بالإسلام مع احتفاظهم بدينهم اليهودي، ومنهم أكبر رجال الاتحاد والترقي، ساهموا بقسط وافر في إثارة الفساد السياسي والثقافي في البلاد العثمانية، كما عاونوا على إسقاط سلطانها وتدمير كيانها.
أنظر الموسوعة السياسية/عبد الوهاب الكيالي734/2، خطر اليهودية العالمية/التل330، أسرار الماسونية/أتلخان61، الاتجاهات الوطنية/محمد محمد حسين 113/1.

رفيق بك): " حقا أننا وجدنا سندا معنويا من الماسونية الإيطالية عند ما قدم لنا المحفلان الإيطاليان في سالونيك خدمة حقيقية، وقّر لنا الملاجئ، فكنا نجتمع لتنظيم أنفسنا، كما أننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين اللادينيين ، نظرا لما كان يبديانه من دقة في الاستفسارات عن الأفراد ".[68]

يؤيد ما ذهبنا إليه الوثائق والشهود العدول منهم العلامة **مصطفى صبري** (ت1373هـ/1954م) حيث يقول: "عند بدء الحرب بيننا وبين إيطاليا في طرابلس الغرب عقدت جلسة سرية بطلب من سعيد باشا (رئيس الوزارة الاتحادية) كان الغرض منه استجلاب أصوات الثقة لتلك الوزارة من النواب، فاتفق أن قرأ محمود ناجي بك نائب طرابلس الغرب رسالة وصلته من أخيه (بحضور مصطفى صبري بصفة نائب عن مدينة توقاد) فقال: " إن كل الأحزاب الإيطالية متفقة على احتلال ليبيا إلا حزبين البناءون الأحرار (الماسونيون) والاشتراكيون، حيث ورد عن البناءين الأحرار الإيطاليين: " لا يجدر بنا أن نصول على الأتراك حال كون حكومتها في أيدي البناءين الأحرار لأن ذلك يفضي إلى تزعزع مراكزهم".[69]

و يؤيّد هذا ما ذكره مراسل إحدى الجرائد المصرية من أنقرة، حيث نقل أن الحكومة الاتحادية التركية الحالية استندت إلى الإسرائيليين والماسونية لتتغلب بها وتستعين بأموالها[70].

---

(68) حركة تركيا الفتاة/رامروز 126-127

(69) النكير على منكري النعمة من الخلافة والأمة/مصطفى صبري14، 144، الأسرار الخفية/حلمي266،أنظر بحثنا أوجين يونغ وتأريخه للاستعمار في العالم الإسلامي (سبقت الإشارة إليه)، حكومة العالم الخفية/شريب سبيريد وفتش 13-20،19-25

(70) الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ1923/09/28م.

ولا أدل على ولائهم لليهود من تكليف الماسوني اليهودي قره صو الاتحادي[71] برئاسة اللجنة التي أبلغت السلطان عبد الحميد الثاني قرار خلعه.

يتبيّن مما سلف أنها حركة قومية طورانية[72] حبلها السري مربوط باليهود، غرضها النهائي تأسيس دولة علمانية وفق الأنموذج الغربي في السياسة والحكم وقطع كل صلة لها بالإسلام وما تعلّق به من لغة ومعالم وأسماء وشريعة و.. وهو ما يبرر المساهمة في تسليم فلسطين لليهود تحت غطاء الخضوع للحملات الدبلوماسية التي مارستها البعثات السياسية الغربية في الآستانة سنة 1911م[73]، لهذا لم تكن مرافعتهم عن المشروطية إلاّ وسيلة للتخلّص من السلطان والممثل للشريعة الإسلامية، يشهد لهذا قول النورسي: "إن المهيمن الجديد على الوضع الحاضر استبداد شديد وتحكّم صارم، وذلك من حيث الجهل المتفشي، وكأن الاستبداد والتجسس قد تناسخا روحا، والذي يبدو أن الغاية ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد، بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد و قوي".[74]

---

(71) اللجنة مكوّنة من:
* إما نويل قره صو(قام بدور كبير في احتلال الإيطاليين لليبيا وهو رئيس المحفل الماسوني ريزولينا.
* رام وهو أرمني عضو في الاتحاد والترقي ونائب في مجلس الأعيان.
* أسعد طوبطاني ألباني عضو الاتحاد والترقي ونائب مجلس المبعوثان.
* عارف حكمت كرجي عضو الاتحاد والترقي وضابط في البحرية.
أنظر المسألة الشرقية/الشاذلي 191،حاضر اللغة العربية في بلاد الشام /سعيد الأفغاني 31، النكير /صبري 130، الأسرار الخفية/حلمي 257-259، مخططات الاستعمار لمحاربة الإسلام/الصواف 130، خطر اليهودية/التل 379-380.

(72) النكير 94*102، موقف العق 331/4 ، حاضر اللغة العربية/الأفغاني31، كيف هدمت الخلافة/زلوم 29، العثمانيون وشبه جزيرة العرب/نجاة عبد القادر71.

(73) انتهاء الخلافة العثمانية/حلمي أحمد عبد العال شلبي 124.

(74) صيقل الإسلام 459.

2/2 الحركة الكمالية :

هيّأ الفريق البائد ظروف انتقال السلطة لوريثهم الممثل أساسا في الكماليين، فقد كانت أعمال الاتحاديين في السياسة والحكم بمثابة أمارات قوية - ترقى إلى مستوى الأدلة البرهانية - على إلغاء الخلافة [75]، فكانت من أولى علاماتها إبعاد اللغة العربية من التداول الرسمي بل والشعبي ثم إلحاق المحاكم الشرعية بوزارة العدل الحاكمة بغير شرع الله حتى في الأحوال الشخصية (قانون الأسرة).. وهكذا بدؤوا ينكثون عرى الإسلام عروة عروة إلى أن تم لهم إلغاء الخلافة سنة 1924م، وبذلك تحققت أمال الأوربيين في جعل تلك البلاد دولة لائكية وفق الأنموذج الغربي[76].

1/2/2 حقيقة الحركة الكمالية:

تعتبر الحركة الكمالية امتدادا لحزب الاتحاديين، ظهرت نواتها الأولى باسم "الحرية العثمانية "، أسسها مصطفى بن علي (ت 1938م) بمدينة دمشق مع مجموعة من الضباط الأتراك، و تتجلى صلتهم بهم في مشاركة كثير من زعمائهم اجتماعات الاتحاديين[77]، وعلى رأسهم هؤلاء المؤسس الذي كان يعلن على رؤوس الأشهاد عدم مخالفة سياستهم في بعض الأحيان.. لهذا كان الصراع بينهما صراع نفوذ، لأنهما بمثابة حركة واحدة

---

(75) النكير 14-15، الموسوعة الإسلامية/الأمين 242/3.
ذكر أوجين يونغ أنه وقع بين يديه مسودة كتاب نفيس للمستشرق الإيطالي أنساباتو سنة 1917وعنوانه"الإسلام وسياسة الحلفاء" قبل وصول الكماليين إلى الحكم، حيث ذكر أن الهدف من كل الأعمال الجارية في تركيا هو إنشاء جمهورية لادينية، وقد منع الحلفاء نشر الكتاب في وقته وأجّل إلى وقت لاحق.
أنظر استعباد الإسلام/أوجين يونغ 11-13،وأنظر بحثنا عنه المشار إليه سابقا.

(76) المسألة الشرقية/الشاذلي 69.

(77) انتهاء الخلافة العثمانية/شلبي 182.

من زاوية الخلفية السياسية والثقافية والحضارية، فهما أشبه بوجهين لعملة نقدية واحدة .

استغل الكماليون كسابقيهم الأوضاع المأساوية المشحونة بالخوف، وبدءوا يمهدون للاستحواذ على السلطة، فأعلن أتاتورك استقلاله عن الحكومة المركزية واستقر في أنقرة ثم أسرع إلى اتخاذ إجراءات هامة منها الدعوة إلى عقد المجلس الوطني الكبير (1920/04/23م)، وانتخب في تلك الأثناء رئيسا للمجلس والحكومة واختار أنقرة عاصمة للدولة الجديدة، وتم له في الوقت نفسه تسوية بعض المشاكل مع الدول الغربية.(78)

... تآزرت هذه العوامل وغيرها (الإعلام الغربي اعتبره محرر إزمير)(79) في تلميع صورة الرجل في البيئة الإسلامية.

انتقل بعد الهيمنة على مقاليد الحكم إلى إعلان الفصل بين السلطة والخلافة (1922/11/10م)، ثم بدأ بتصفية الخصوم والمخالفين من خلال التلاعب بالقوانين، فسنّ قانون الخيانة العظمى الذي نكّل بموجبه بكل معارض، وطورد بموجبه العلماء والطلبة ونخبة المجتمع من المعارضين،

---

(78) حل المشاكل مع الروس وعقد هدنة مع الفرنسيين بعد معارك أبريل (نيسان)1920م.

(79) غريبة حروب الكماليين:

1/الحروب في العادة تستهلك النفوس،إلا أنّ الكماليين فإنك لا تجد لهم شهيدا،والأصل أن يضعف الجيش بعد الحرب،إلا أن الكماليين يقوون بعدها؟كل ذلك لأنهم ليسوا وقودها.

2/أكبر الجيوش في العالم لا يعص القائد العسكري أمر السياسي لأنه أداة إجراء لا مصدر أحكام،باستثناء مصطفى كمال والكماليين؟

3/لو كان الخروج لاسترداد إزمير ما هاجموا استنبول قبل التوجّه إلى إزمير، الحرب عادة تضيع فيها المدن عامرة وتسترد خربة، إلا إزمير فقد وقع الخراب فيها بعد الاسترداد.

أنظر النكير /صبري126-128،كيف هدمت الخلافة/زلوم136-138، الحركة الإسلامية في تركيا/ابراهيم دسوقي شتا 17-24

وكان من بين من تعرّض للمضايقة سعيد النورسي و زاهد الكوثري ومصطفى صبري وغيرهم كثير.

وتنتهي تلك الفترة الحالكة من تاريخنا السياسي بإلغاء الخلافة بتاريخ (1924/03/03م) وإزالة كل متعلقاتها (تطبيق الشريعة، والمحاكم الشرعية، واللغة العربية، والحجاب، ومنصب شيخ الإسلام..) وعدّل الدستور بتاريخ (1926/04/20م) وحذفت منه المادة الثانية التي تنص على أن الإسلام دين الدولة[80]، وفشت مظاهر الفساد والإلحاد، وأجبر أتاتورك نساء أنقرة على نبذ الحجاب، وخرجت زوجته ترتدي ثياب الرجال وتحرّض النساء على المطالبة بمساواتهن بالرجال.. وبدأت القيم تنكث واحدة بعد أخرى، فتزاح الحواجز بين الجنسين في السفن والمراكب والمسارح والأماكن العمومية، وانتقلوا بعدها إلى منع تعدد الزوجات ورفع سن الزواج، ليس هذا فحسب بل دعوا إلى أسوأ من ذلك على الإطلاق، فدعوا إلى الأفكار القومية التي جبّها الإسلام، فبعثوا الأفكار النتنة من مدافنها، دعوا الأتراك إلى الاحتفال بالوثن التركي بوزقوت (الذئب الأغبر) وأناشيده وتغنوا بها، وهكذا دواليك إلى أن صيّروه صورة متداولة على الطوابع البريدية[81] .

ومازالت سياستهم الإقصائية على تلك الحال محكّمة بكل قوة وشدّة وعنف إلى أن تحقق للكماليين مبتغاهم وأنشأوا دولة مسايرة لمدنية أوربا والغرب[82] على حساب الإسلام والحضارة الإسلامية، وفي ذلك يقول أحدهم" إننا عازمون على أن ندوس بأقدامنا وننسف كل موانع وحوائل في طريقنا التي تذهب بنا من الشرق الذي ودعناه إلى الغرب الذي يممناه حتى

---

(80) الدولة العثمانية.../الشناوي85/1-86، الموسوعة/الأمين243/2-244،النكير 203

(81) الأسرار الخفية.. /حلمي174، موقف العق283/4-284.

(82) تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية/محمد رفعت 327.

أن التغرّب لا يقتصر على شؤوننا الرسمية وقوانينا بل ستكون أدمغتنا وعقليتنا غربية "[83]، واختاروا بموجب هذه السياسة القوانين السويسرية[84] بديلا عن الشريعة.

ومما سلف بيانه يتّضح أنهم بمثابة سدنة اليهود والغرب في البلاد الإسلامية عامة وتركيا على الخصوص، عملوا خدمة لأسيادهم على تعطيل الشريعة وبعث الأفكار الجاهلية التي تمثّلها الطورانية[85] .

3- التيارات الثقافية

هيّأ المهيمنون الجدد على السياسة جوا ثقافيا ميسرا لتحقيق رغباتهم، مستغلين في ذلك الجو الذي ولّده الجمود الثقافي في المجتمع العثماني.

ساهموا بقسط وفير في تشجيع التيارات الانفصالية ليسهل لهم الانقضاض على الخلافة الإسلامية، وبإيعاز مباشر منهم حينا وغير مباشر أحيانا أخرى احتضنت البلاد العربية التيارات الثقافية الانفصالية، إذ ظهرت الدعوة إلى القومية العربية في بلاد الشام على أيد النصارى الذين استوحوا أفكارهم من رجال التنصير الأوربيين والأمريكيين[86].

ظهرت في لبنان المدارس اليسوعية الموجّهة دينيا من روما وسياسيا من فرنسا، ثم سرّبت في القرن الثامن عشر إلى سوريا[87]، من هذا المنطلق اعتبر نصارى الشرق رواد الحملات الصليبية[88] الجديدة، واعتبرت مؤسساتهم التعليمية أوكارا للتآمر على الإسلام والمسلمين.

---

(83) جريدة إيليري نقلا عن النكير/صبري202، وأنظر رفعت مرجع سابق339-340، الموسوعة الإسلامية/الأمين289/2.

(84) موقف العقل 334/4، النكير 67-68.

(85) موقف العقل 336/4، المسألة الشرقية/الشاذلي223-224.أنظر ما آل إليه أمر المجتمع العثماني في عهد الكماليين(اللغة، والمرأة، واللائكية، والمحاكم الشرعية،...) تركيا الحديثة/فؤاد الشمالي 107،101،99،97،92،90،...

(86) التبشير والاستعمار/فروخ والخالدي 95، التبشير والاستشراق/عزت الطهطاوي 44.

(87) المرجع نفسه3،12، حاضر اللغة العربية في بلاد الشام/الأفغاني 196.

(88) المبشرون والقرآن/ عزت دروزة 12.

تبنـى عـرب الـشام القوميـة العربيـة بطريـق تلـك المؤسـسات وبمباركـة ورعاية القوتين الفرنسية والأمريكية[89]، ومكّن للفكرة من خلال مؤسساتهم التعليميـة والخيريـة[90]، وفـي إطارهـا وبرعـايتهم بـرزت الجمعيـات الأدبيـة المروّجة لأفكار اليسوعيين والمبشرين.

1/3 المؤسسات التي ظهرت بمباركتهم:

1- تأسـيس جمعيـة علميـة برعايـة الإرسـاليات الأمريكيـة سـنة 1842م، وظهرت بعدها جمعية علمية غامضة الأهداف عرفت باسم" جمعيـة الفنـون والعلـوم" وكـان ذلـك سـنة 1847م، سـاهم فـي بعثهـا رجـال مـن مختلـف الجنسيات ومن طبقات اجتماعية متنوعة.

2- ظهرت الجمعية الشرقية برعاية الأب اليسوعي هنري دوبرنير[91]، وتأسست بعدها الكلية اليسوعية التي عرفت فيما بعد بجامعة القديس يوسف سنة 1866م[92].

3- دشّـنت فـي الفتـرة نفـسها الكليـة البروتـستانتية المعروفـة فيمـا بعـد بالجامعة الأمريكية بهدف إحياء الأدب العربي القديم[93].

4- انبثـق عـن المؤسـسة الـسابقة جمعيـة تعـرف بجمعيـة خريجـي هـذه المؤسـسة، وكـان ذلـك سـنة 1875م، سـعت هـذه الجمعيـة إلـى نـشر أفكـار الجامعة، وكانت أفكارها تقليدا لحزب تركيـا الفتـاة[94]، الـذي قـال النورسـي

---

(89) يقظة العرب /أنطونيوس 25،1.

(90) كيف هدمت الخلافة/ زلوم 18.

(91) أسسها اليسوعيون تحت رعايته ، وكان كل أعضاء الجمعية من النصارى، وفيهم هنري دوبرنير الفرنسي الأصل. انظر زلوم المرجع السابق20.

(92) جامعة كاثوليكية بابوية تعرف الآن بالجامعة الأمريكية في بيروت، وكانت معروفة في السابق بالكلية السورية الإنجليزية. أنظر التبشير والاستشراق/الطهطاوي 43.

(93) الخالدي مرجع سابق 224-232، زلوم/مرجع سابق 19-34، الطهطاوي/مرجع سابق43، حاضر اللغة العربية.../ الأفغاني 14-17،سياسة السلطان عبد الحميد/الجعفري 190.

(94) أسرار الماسونية/أتلخان 60-61، المسألة الشرقية/الشاذلي151، حاضر العلم الإسلامي 80/4-81، حركة تركيا الفتاة/رامروز 123-124.

عن رجالها ،إنهم لا يعرفون أن الدين أساس الحياة، ويظنون أن الأمة شيء و الإسلام شيء آخر، وهما متمايزان،ذلك لأن المدنية الحاضرة،أوحت بذلك واستولت على الأفكار بقولها: أن السعادة هي في الحياة نفسها، إلا أنّ الزمان أظهر نظام المدنية فاسد ومضر.[95]

إن عملا كهذا يؤكد أن مصدر البلاء الذي حلّ بالعالم الإسلامي- وبما لا يترك مجالا للشك - هو بلاد الشام، فمنها بدأت الدعوة إلى العلمانية(اللائكية) سنة 1875م، أي قبل ظهورها في تركيا نفسها، ومن تلك البلاد بدأت الدعوة إلى زعزعة مكانة اللغة العربية وإحلال العامية مكانها وهذا قبل ظهورها في مصر وتركيا والجزائر[96] وغيرها من بلاد المسلمين، وكانت تلك البلاد السباقة إلى تبني القومية والدعوة إليها، وهذا قبل ظهورها المؤسساتي في تركيا نفسها، وقد كان من روادها الأوائل في البلاد العربية ساطع الحصري (أبو خلدون).[97]

وبهذا يتّضح أن بعض العرب العثمانيين ساهموا في تقويض ملكهم (الدولة العثمانية)، بمساعدة جحافل المستشرقين على ترويج أفكارهم (العلمانية، والعامية، والنزعات القومية، والحركات الانفصالية، و..)[98].

---

(95) الكلمات/ النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي 861.

(96) دعا إليها في مصر لطفي السيد، والاتحاديون في تركيا ، وبعض المتفرنجين في الجزائر.

(97) ساطع الحصري ولد بصنعاء سنة 1300هـ/1883م حلبي الأصل كان من رواد القومية العربية تخصص في التربية وتداول على مناصب توجيهية كثيرة في البلاد العربية، صنّف كثيرا من المؤلفات مناصرة للقضايا القومية (العربية)، منها: العروبة أولا، الدفاع عن العروبة، وآراء في القومية العربية، وآراء في الوطنية والقومية، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، والقومية العربية والدين الإسلامي، ماهي القومية؟ محاضرات في نشوء القومية. توفي ببغداد سنة 1388هـ/1968م. أنظر الأعلام/ الزركلي 70/3.

(98) منها حزب تركيا الفتاة الذي ينتسب دعاته إلى المحفل الماسوني في سالونيك، والذي كان له فضل إمدادهم بالمعونات السياسية.

وقد وجدت هذه الأفكار أرضا خصبة فنمت وبسرعة فائقة لتعهّدها بالحماية والصيانة من قبل أعداء الأمة، فكانت بمثابة القنبلة الموقوتة التي ساهمت بقسط وفير في التعجيل بسقوط الدولة العثمانية، وخاصة بعد أن تعهدتها المحافل الماسونية بالحماية والتنظيم.

2/3 المحافل الماسونية

تعتبر المحافل الماسونية الخزان الثقافي والاقتصادي للمعارضة المتآمرة على كيان الأمة الإسلامية، فقد كانت الماسونية المموّل الرئيس للأحزاب والجمعيات المتآمرة على أصالة الأمة وماضيها المجيد، فقد تمدهم بالأفكار والمال والرجال بمساعدة القوى السياسية الأوربية[99] ومباركتها.

تعد الماسونية من أعظم الجمعيات السرية وتعرف بالبنائين الأحرار، ظل منشؤها غامضا مجهولا أو على الأقل سريا كغاياتها المبهمة حتى بالنسبة لأتباعها، اقتبست أفكارها من المصادر اليهودية والمسيحية والفرعيونية.. وهي في ذات الوقت لا تعترف بالأديان، لهذا قال أحدهم: "إن رجال الدين يريدون عن طريقه السيطرة على أمور الدنيا، وعلينا أن لا نألوا جهدا في التمسّك بفكرة"حرية العقيدة" وألا نتردد في شيء خاصة محاربة الأديان لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في التطاحن بين الأفراد والأمم عبر التاريخ" إلى أن يقول: "لا بد أن نكافح بجهد أكبر لإدماج القوانين والنظم اللادينية، لأن السلطة المطلقة التي حققها رجال الدين على وجه الخصوص قد قاربت النهاية، لا بل آلت إلى الزوال".

أنظر أسرار الماسونية/أتلخان 60-61، المسألة الشرقية151، حاضر العالم الإسلامي4/80-81، حركة تركيا الفتاة 123.

(99) تتم كل أعمالهم بعد عرض المشروع على السفير الإنجليزي في باريس .
أنظر مجلة المجتمع الكويتية / مقال حرب عبد الحميد العدد 532.

و تزعم الماسونية أنها مؤسسة فلسفية تحب الخير للإنسانية، هدفها الأساسي إيجاد صيغ ممتازة للتعاون والتآزر بإشاعة أخلاق ومبادئ دنيوية يركّز فيها على التسامح (وفق منظورهم) المتبادل وحرية الضمير، وترك ما يتعلّق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية، لهذا عملوا على صرف أنظار الناس عن الحماس الديني والمذهبي..

تتلخّص أركان مشروعهم في الثالوث الذي تبنّته جميع الأحزاب الفاعلة في الساحة السياسية التركية الحديثة، فقد كان أساس حزب" تركيا الفتاة" و" الاتحاد والترقي" و" الكماليين"، وقد تلخّصت تلك الأركان في الكلمات الآتية: "الحرية المساواة والإخاء"، وتحقيق هذا المشروع يفرض إظهار احترام العقائد والأديان، ليتسنى نبذها ومحاربتها في قابل الأيام، ويظهر ذلك في رفضهم قبول المتدينين الصادقين في جمعياتهم.

أما وسائلهم فتتلخّص في إغراء أصحاب القرارين السياسي والثقافي بالمال والجاه، وغيرها من وسائل الترغيب والترهيب، وتوظيف كل ما تملكه من سلطة وهيمنة قانونية ومعنوية على المؤسسات العالمية.[(100)] لتحقيق رغباتهم.

في ظل الظروف السابقة أصبحت الثقافة المهيمنة متّسمة بصبغة خاصة متناغمة مع الشروط التي أملتها المعطيات الثقافية والسياسية الجديدة.

3/3 الثقافة المهيمنة

---

(100) القراءة السريعة لأسماء المهيمنين على مكاتب الأمم المتحدة، الأمانة العامة للهيئة، ومؤسسة التغذية والزراعة، اليونسكو،بنك الإعمار، صندوق النقد الدولي،مؤسسة اللاجئين الدولية، مؤسة الصحة العالمية، مؤسسة التجارة العالمية. أنظر أسرار الماسونية/أتلخان (من أحسن ما ألف في الباب)، وأنظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية/عبد الله التل، ويؤيّد ما يقرب من هذه المعاني مجموع مؤلفات أوجين يونغ.

يعرف هذا العصر من الناحية الثقافية بعصر الإعجاب بالآخر، اقتصر الإعجاب في بداية أيامه على الميدان السياسي ونظرا لارتباطه الوثيق بالثقافة انتقل الإعجاب إلى الميدان الثقافي، وفي هذا السياق وصف العهد الحميدي بالاستبداد والظلم والقهر.. فنادوا لتجاوزها بالمشروطية (دستورية الحياة السياسية) وناصرهم على تحقيقها خيرة المجتمع العثماني، فكان من رجالها النورسي القائل: "إن الاستبداد ظلم وتحكم في الآخرين، أما المشروطية فهي العدالة والشريعة"(101)، وعوض تثمين جهود مثل هؤلاء الرجال استغلت جهودهم في دك السلطنة العثمانية، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فنقل المجتمع من استبداد (إن صح هذا القول) رجل صالح إلى استبداد رجال طالحين، فما كانت غايتهم – كما قال النورسي - استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد، بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد وقوي"(102) ، وليتسنى لهم تحقيق المبتغى أطلقوا الإشاعات ونادوا في الناس بأن السبب المباشر لتخلفنا هو بقاء الدولة العثمانية، ومن ثمّ وجب العمل على اجتثاثها من ضمير الأمة.

وبعد أن ألحقت كل نقيصة سياسية بالنظام السياسي العثماني (الإسلامي) ألحقت كل نقيصة ثقافية بالثقافة الإسلامية، فوصفت بالجمود والركود والانحطاط والانغلاق وغيرها من الأوصاف، التي ليست إلا تعبيرا عن موقف الآخر من الثقافة الإسلامية الأصيلة بألسنة عثمانية.

وسرى هذا الداء إلى الأوساط العلمية الإسلامية، فقال أحدهم بعدم دينية الفقه، وقال آخر بعدم جدوى الاستدلال على وجود الله تعالى بالأدلة

(101) صيقل الإسلام 442.
(102) المصدر السابق 459.

العقليـة[103]، ومـال ثالـث إلـى القـول بجـواز التعبّـد بـالقرآن المتـرجم[104]، وذهب رابع إلى عدم الاعتداد بالدليل النقلي لأنـه ظنـي حسب تقديره[105]، وسجّل خامس أن القرآن الكريم متشابه فـي مجموعه، يفهم هذا المعنـى من قولـه: "هل يتفق وحكم العقل بـأن جهنم التـي بلـغ حجوم شررها القصور الـشامخة يـستطيع مـن يلقـى فيهـا أن يحيـا ويأكـل ويـشرب ويجـادل ويطلـب الخلاص". [106]

وراح سـادس يـردد قـول المستـشرقين بـأن دولـة الرسـول ρ كانـت سـلطة زمنية و ليست سلطة دينية[107] مما يوحي أن الإسلام لا صلة له بالسياسة.

---

(103) مجلة الرسالة العدد 396 مقال الشيخ المراغي، نص الرجل على عدم دينية الفقه وأهمل الفقه المجمع عليه، اختار هذا الرأي خوفا من رمي الدين بالتفرقة، حيث قال: "لو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما ترى من اختلاف الفقهاء بعضها مع بعض،لحقت علينا كلمة الله "**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**".. وهكذا يصبح الفقه زمنيا لا دينيا.
قال الشيخ مصطفى صبري في نقده: " إنه بهذا العمل عبّد لنفسه الطريق بإنكار دينية الفقه ليسهل له الابتعاد عنه عند وضع القوانين فيكونون فقهاء من الطراز العصري محايدين عن الدين(لاييك). أنظر موقف العقل 315/4.

(104) ورد عن الشيخ وجدي القول بأن "الدليل العقلي يكثر فيه الخطأ فلا يعوّل عليه"، لهذا نراه يمني نفسه وغيره بإثبات وجود الله بطريق البحوث النفسية، اختار ذلك ليجعل المتعلّم المسلم المعاصر من أهل القرن العشرين". أنظر مجلة الرسالة 283/5.

(105) المرجع السابق نفسه.

(106) أنظر جريدة الأهرام عدد 1930/08/30م ، موقف العقل172/4-431،173-441، القول الفصل/صبري37-72، رشيد رضا مفسّرا/حسيب الله السامرائي 272.

(107) كان علي عبد الرازق أكثر جرأة من الاتحاديين والكماليين، إذ لم يصرحوا بعدم دينية دولة الرسول ρ بينما نص علي عبد الرازق على أنّها كانت دولة زمنية فهي ليست دولة دينية ، فسلطتها وقتية لا غير، تنتهي بوفاة إمامها.
أنظر الإسلام وأصول الحكم/ علي عبد الرازق 45-116،86،83،47، وأنظر تعليقات ممدوح حقي على الكتاب 87،60،49،133،130،92.
أنظر الإسلام والخلافة في العصر الحديث/ضياء الدين الريس 245-294، النظريات السياسية الإسلامية/الريس 208-011، فقه الخلافة وتطورها/السنهوري 318،108،104-

4- السمة العامة لهذا العصر

يتجلى مما سلف تقريره أنّ العصر المشار إليه أعلاه متسم بمجموعة من السمات، اختلف في ترتيبها من حيث الأولوية مما أثر في تحديد طبيعة الأزمة من جهة، وتصوّر المشروع البديل من جهة أخرى.

قبل البيان الإجمالي لتلك المشاريع يحسن بنا بيان طبيعة الأزمة وسماتها وهذا ما أثبتناه في الحالة السياسية والثقافية.

1/4 الميزة الأولى:

يعتبر هذا العصر عصر محاولة نفي وإقصاء الخطاب الإسلامي في شقه السياسي لهذا حورب كل مظهر من مظاهر العودة إلى الخلافة أو ما يقرب منها، حتى بلغ الأمر ببعض عتاة العلمانيين أن منعوا التزي بزي العلماء (كالجبة والطاقية و..)، كل ذلك خشية عودة الناس إلى الفكرة بتذكر الشكل المعبّر عنها.

2/4 الميزة الثانية:

منع تداول العلوم الإسلامية تعلما وتعليما حتى عد تعليمها في بعض الأوساط خيانة عظمى للدولة، وقد اتخذت لتحقيق هذا المقصد أساليب شتى منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- التشكيك في المشتغلين بالعلوم الشرعية بغرض صرف الناس عن الاستماع إليهم فضلا عن الإصغاء إليهم أو النسج على منوالهم.

ب- تحسيس المشتغلين بالثقافة الدينية بالغربة داخل المجتمع وذلك من خلال صرف الناس عنهم بحيل قانونية واجتماعية، كأن لا يربط بها

---

319. اعتبره السنهوري من الانقلابيين المتغربين المرجع السابق نفسه. أنظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر/حسين 2/87-95، موقف العقل 315/4.

تحصيل وظيفة أو الحفاظ عليها، بل قد تصبح الإحاطة بها سببا في الإقصاء العام أو رفض التوظيف.

ج- عزوف المجتمع عن العلوم الدينية والمشتغلين بها، وقد سبب ذلك الداء آلاما نفسية عميقة لدى المشتغلين بالعلوم الشرعية.

د- جاوز الأمر الحدود الآنفة الذكر، فأصبح همّ بعضهم إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وفق ما قاله غلادستون وزير المستعمرات البريطاني مخاطبا النواب في مجلس العموم البريطاني: "ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به" [108].

ويعتبر هذا الخيار خيارا استراتيجيا هدفه منع المسلمين من منبع عقائدهم ومنهل شريعتهم وشاحذ هممهم ومانحهم الإنسانية في تصرفاتهم، بغرض إبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم ومنعتهم، ليخلص الجو لخصومهم في آخر المطاف، وخاصة بعد الانتهاء من اجتثاث عناصر البعث الحضاري الموجودة أصلا بالقوة في القرآن الكريم خوفا من أن تنتقل إلى عالم الفعل في قابل الأيام، والمسألة ليست معرفية فحسب، لأنها وإن كانت معرفية فإنها-وفق المسلك القرآني - تتلبّس بجميع ميادين الفعل الإنساني، فتحوّلها المسحة القرآنية من العبثية إلى الغائية الوظيفية في إطاريها الجزئي والكلي المتّسم بالإنسانية في جميع جزئياته وفروعه.

اقتضى هذا الجو السياسي والثقافي اتخاذ مواقف صريحة مما يجري في بلاد المسلمين، وفي ظل الظروف المشحونة بالإرهاب الفكري والقانوني عمل رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني على وضع خطة

(108) سيرة ذاتية 45-46

للإصلاح منسجمة مع تصوّرهم لطبيعة الأزمة، وبهذا الصدد ظهرت عدة تصورات:

1- فريق يرى بأن الأزمة سياسية ذات أصل ثقافي معرفي، وتستدعي حلا سياسيا، تبنى هذا الرأي الشيخ مصطفى صبري[109]، ولخّص الحل في أحد مسلكين:

أ) اتحاد حكومات إسلامية معيّنة (الأفغان والحجاز) تطلبان العون من الشعوب للهجوم كالرجل الواحد على الأئمة الجدد في تركيا بغرض استئصال فكرتهم من المجتمع العثماني.

ب) الطريق الثاني يعمل المسلمون بموجبه على تأسيس مؤسسات علمية إسلامية عالمية تتولى تكوين جحافل المتديّنين الصادقين المهيئين لمواجهة هؤلاء الأئمة الجدد في قابل الأيام.

وقد باء هذا المسلك بالفشل الذريع نظرا – رغم ما قدّمه من خدمات جليلة للثقافة الإسلامية في صورتها المعرفية والتنفيذية - لعدم أخذ المعطيات المحلية والجهوية والدولية بالحسبان في صياغة المشروع البديل هذا من جهة، وقصر المسألة على السياسة المتلبّسة بالثقافة في كثير من الأحيان من جهة ثانية.

2- فريق آخر يرى بأن الأزمة ثقافية بالدرجة الأولى، وإن كانت سياسية في بعض وجوهها، وتلخّصت الثقافة عند هذا الفريق في منتج المتقدمين حرفا حرفا، بحيث أصبحت القراءة النقدية لذلك المنتج غير متاحة من الناحية النظرية فضلا عن تجاوزها من الناحية التطبيقية، وليس معنى ذلك أننا نوافق القائلين بالبداية الصفرية في عالم الفكر،لأننا لا نتصوّر ثقافة متواصلة يمكن أن تقوم على إلغاء جهود المتقدمين.

---

(109) أنظر كتابنا شيخ الإسلام مصطفى صبري عصره وآراؤه دراسة تحليلية لمجموع مؤلفاته.

يرى رواد هذا الاتجاه أنّ أهم داء أصاب المسلمين في العصر الحديث التطاول على علمائنا المتقدمين والثورة على المذاهب التي تلقتها الأمة بالقبول منذ أمد بعيد، وقد تبنى هذا المسلك العلامة الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله.

يرى الشيخ أن ما طرأ على الأمة من فساد كان سببه اللامذهبية قنطرة اللادينية – حسب رأيه - والوثنية الجديدة - حسب رأيه - ممثلة في التجسيم الذي يراد تسويقه في حاضر الأيام و قابلها.

وهذا التصور كسابقه لا يخرج عن كونه تشخيصا ذاتيا أكثر منه موضوعيا، نظرا لتلبّسه الكبير بطبيعة الباحثين في الأزمة، تلبس عرض الوضع بمكوناتهم النفسية.

لا يعد التشخيص السابق انتقاصا من جهود هؤلاء الأعلام بقدر ما هو محاولة لاستخلاص الدروس، لأننا نوافق الكوثري في كثير من تحليلاته في طبيعة الأزمة ولكننا لا نوافقه في حصر عناصر الخلل الطارئ على الأمة في طريقة عرض العلوم الإسلامية أو التشويش الذي طرأ عليها، لأن الأزمة أكثر تعقيدا وتحتاج تكاتف مجموعة من التخصصات في التشخيص أولا ووضع خطة الخلاص ثانيا.

في ظل الظروف المشار إليها، ما هي طبيعة الأزمة في فكر النورسي؟ وما هو مسلكه في نشر أفكاره وبعث الحياة من جديد بين أفراد أمته وفق تلك المعطيات، هل استصحب ذلك الجو في رسم خطة التغيير التربوي الروحي التي تجعل من القرآن الكريم معينها الذي لا ينضب؟.

الخلوص إلى تحديد عناصر الإجابة يقتضي التوقف بإمعان عند مجموعة من المحطات التي تزوّدنا بوقود مواصلة الرحلة، وأول تلك المراحل، معرفة مجملة بالنورسي ورحلاته ووقفات مع مؤلفاته (محاولة تحليلة) ومجمل أفكاره والمصادر التي استقى منها معارفه ومواقفه.

الفصل الثاني

ترجمة سعيد النُّوْرْسي

1- المولد والنشأة والآثار:

1/1 المولد والنشأة

ولد النورسي (1293هـ/1873م) من أسرة كردية كانت تعيش في قرية نوْرْس من قضاء خيزران ولاية بتليس في شرق الأناضول، كانت أسرته تشتغل بالفلاحة، وكان أبوه ميرزا زاهداً يلقب بـ"صوفي" من نسل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه، أما أمه نوريه فهي من نسل الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.

2/1 رحلاته في تحصيل للعلم:

ولد الشيخ النورسي في بيئة التقوى والورع وقد تركت هذه البيئة بصماتها على تحصيله العلمي والتربوي، استصحب ذلك التكوين الأولي في أول مراحل مباشرة التحصيل المتقدّم على يد أخيه الملا عبد الله، فأخذ عنه ما عمّق به تلك المبادئ المبّلغة عمليا، فقد وجد في بيئته أحسن نماذج التربية بالقدوة ممثلة في الوالدين الكريمين، استصحب هذا الزاد التربوي في صياغة كل ما حصّله من معارف في قابل الأيام، وقد بدا التأثر بذلك الزاد جليا في ممارسة الكتابة والتعليم والجهاد، بل أظلت بظلالها على تشخيصه لأسباب الأزمة التي تتخبّط فيها أمتنا الإسلامية.

بعد الأخذ عن أخيه الملا عبد الله ، بدأ رحلته في التحصيل، فكانت البداية بالتلمذة على محمد أفندي سنة 1882 **م** في قرية **"تاغ"**، انتقل بعدها إلى **بيرمس** ثم إلى **بتليس** سنة 1888م حيث التحق بمدرسة الشيخ **أفندي** الذي رفض قبول انتسابه لها، فانتقل مرغما إلى التلمذة على أستاذ آخر بتوجيه من شيخه الآنف الذكر.

استقر بـه المقـام بعدها فـي **بايزيـد** حيث كانـت بدايتـه الأساسية لدراسـة العلوم الإسلامية، وبعد مضي ثلاثـة أشـهر مـن الانتساب إلـى مدرسته نـال الإجازة العلمية من شيخه **محمد جلالي**.

قـرر بعـد حـصوله علـى الإجـازة العلميـة زيـارة بعـض علمـاء عـصره توسيعا لآفـاق المعرفـة، فتوجّـه إلـى بتلـيس وانتـسب فيهـا إلـى **ربـاط الـشيخ محمـد أمين** ولـبس خرقـة الـدراويش وبعـد مـضي يـومين مـن الانتـساب إلـى الرباط ، وجد الشيخ تلميذه أهلا المشيخة، فكلّفه بالتزي بـزي العلمـاء، ولكـن النورسي رفض ذلك متحججا بصغر سنه.

3/1 آثاره العلمية :

آ- تأليفاته باللغة العربية

1- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (ط. 1918)

2- المثنوي العربي النوري.(ط. 1923)

3-قزل إيجاز على السلم (ط. 1921)

4- تعليقات (في المنطق)

5- رچتة العوام ورچتة العلماء (صيقل الإسلام) (ط. 1912)

6- الخطبة الشامية -دواء اليأس -(ط. 1911و 1912)

ب - تأليفاته باللغة التركية (كليات رسائل النور)

(ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)

1. الكلمات

2.المكتوبات

3.اللمعات

4.الشعاعات

5.إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (تحقيق)

6.المثنوي العربي النوري (تحقيق)

7.الملاحق في فقه دعوة النور

8.صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم):

1-محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة (ترجمة وتحقيق)

2-قزل إيجاز

3-تعليقات على برهان الكلنبوي

4-السانحات

5-المناظرات

6-المحكمة العسكرية العرفية

7-الخطبة الشامية

8-الخطوات الست

9. سيرة ذاتية :إعداد وترجمة

سلك في مجموع تلك الرسائل مسلكا جديدا في تفسير القرآن الكريم، ركّز فيها على جوانب التربية العقلية والقلبية في سياق واحد ونسق واحد وفي اللحظة نفسها، ناسجا في ذلك وفق النسق القرآني الذي ملك عليه كيانه.

اختار الشيخ هذا المسلك بغرض التأسيس التجديدي لمسلك أصيل كاد أن يهجر، وقد وفق الرجل في تجاوز مناهج المتكلمين والمتصوفة، وقد بلغ الرجل مراده بوقت أقل وبطرق أقصر من خلال الرجوع بالأمة إلى القرآن الكريم وسنة المصطفىρ، لأننا حسب تقديره لسنا في عصر علم الكلام ولا عصر الطرق الصوفية، بل نحن في عهد تملي علينا ظروفه العودة السريعة للإيمان تمكّنا وحماية، ولا طريق لتحقيق ذلك غير الارتباط بالقرآن الكريم، وقد كان في تلك المؤلفات مستثمرا للخبرة المعرفية والتربوية الإسلامية على تنوّع تخصصاتها و اختلاف مشارب رجالها، لأنه ركّز على ما يفيده

منها في تقرير الحقيقة القرآنية والحفاظ على الإيمان بصرف النظر عن الوعاء الذي خرجت منه، هذا هو المسلك العام للمؤلفات، وقد امتازت بعض المؤلفات بخصائص متفرّدة في بابها، يتجلى هذا في كتابه " **إشارات الإعجاز**"، يعد هذا الكتاب من أهم كتب التفسير بمعناه الفني (الاصطلاحي)، فقد بيّن فيه بعض وجوه الإعجاز القرآني، وبيّن بكلمات مختصرة الإعجاز النظمي للقرآن الكريم من خلال تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، واستصحب المسلك التحليلي في التفسير المبني أساسا على الدراسة النصية للقرآن الكريم من خلال التعامل مع مكونات السياق كلمة كلمة وآية آية وفق قوانين البلاغة العربية.

3/3/1 نماذج من تحليل بعض رسائله:

أ- ضمّن بعضها[110] بيان الأسس العلمية للاستدلال على مسائل الآخرة وفق المسلك القرآني في التأسيس للاعتقاد، فتناول المسألة الزاويتين الإجمالية والتفصيلية، انتقل بعدها إلى سرد حقائقها البيّنة، مشفوعة بأدلتها القطعية، فكانت حججا ناهضة محققة للمرغوب لكل من ألقى السمع وهو شهيد، إذ تنمي في المستدل له من خلال شواهدها الأبعاد الوظيفية المنتظرة من التصديق بالآخرة وقيام الساعة، ولعل أوّل علاماتها إصباغ الفعل البشري لمعتقديها بصبغة إنسانية، تجعل خدمة الإنسانية غاية جزئية دائمة ترتبط بها مرضاة الله وجودا وعدما، فكلما استحضر المؤمن قيام الساعة وخاصة أثناء ممارسة الأداء اليومي كان أكثر خدمة لنفسه والوطن والإنسانية وأكثر تحررا من نزواته وحيوانيته الضارية، فكان التصديق بالآخرة عاملا مهما في إخراج الدنيا من العبثية - الوقوع في أسرها – إلى

(110) الكلمة العاشرة ،الكلمات 47-64.

الهدفية الظاهرة التي تجعل من الاستكثار من الخير في الدنيا لله سببا في الفلاح في الآخرة ووسيلة للنجاة من النار وسمومها .

ب- ضمنه عرضا ممتازا وممتعا لمشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه[111]، مزج فيه النورسي بين مخاطبة القلب - أساس التحريك – ومخاطبة العقل والفكر في إطار محاولة الجمع بين الخبرة الإسلامية الكلامية والمنتج الجديد في العلوم (الطبيعية) الكونية الحديثة، وذلك في إطار امتزاجهما الذي تتولّد عنه الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات.

حاول في كنف ذلك المزج الهادف تحقيق مجموعة من المقاصد الجزئية تتجلى فيها ما سبقت الإشارة إليه، وأوّل تجلياته إشهاد السائح لمخلوقات الله على وجود خالقها سبحانه تعالى، فكانت الشهادات تترى الواحدة بعد الأخرى في إطار تكاملي واستقراء لا يحصى كثرة، فشهدت السماوات وجوّها والأرض وما فيها وعليها من بحار وأنهار وجبال وصحاري وأشجار ونبات وطيور وحيوانات، وأتبع تلك الأدلة بشاهدات سادة البشرية واتباعهم، فذكر لنا شهادات الأنبياء عليهم السلام والعلماء والأولياء الصالحين والملائكة، ويخلص أخيرا إلى اتفاق كلمات الجميع على تقرير الحقائق التي استودعها الله العقول السليمة والقلوب الخاشعة من فهم وخضوع وتسليم عقلي وقلبي، وتتأكّد الحقيقة نفسها بشهادة عالم الغيب والوحي والإلهام .

جعل النورسي الباب الأول مطيّة لتبليغ براهين التوحيد، إذ بعد إثبات الوجود لا بد من البرهنة على التوحيد، فبدأ رحلته بحقيقة الألوهية انتقل

(111) أنظر الشعاعات 133-224 ، الكلمة الثانية و الثلاثون، الكلمات 707-779.

بعدها إلى حقيقة الربوبية والكمالات والحاكمية المطلقة، لينتقل إلى تناول متعلّقات الموضوع .

أورد في ثنايا الحديث عن المتعلّقات كلاما يدخل القلب دون استئذان، فبيّن حقيقة العظمة والكبرياء والأفعال الربانية.. وهكذا في سائر مظاهر القدرة الإلهية في الأفعال البشرية وما يحط بها من ظروف، ويتحفنا بعدها بحقيقة الفتح الإلهي على الإنسان والذي من تجلياته الرحمانية والتدبير والإرادة والرحيمية والرازقية، ليخلص في آخر الجولة إلى المهمة الأساسية من رسائل النور في ظل التخريبات الكلية المسلّطة على الأمة.

يرى النورسي أن مهمة رسائل النور في ظل هذه الظروف هو تعمير التخريبات الكلية التي طرأت على الأمة، وحاول تجلية الأمر في الفرق بين مسالك أهل الضلال من جهة ومسلك أهل الإيمان من جهة أخرى، فالأوّل يمثّل طرق الشقاوة والثاني يمثّل طريق السعادة والرقي والحضارة والنجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

ج/ يعتبر الإيمان وتكامل الإنسان(112) محاولة لتفسير القرآن الكريم من خلال الاتصال المباشر بالقرآن الكريم، هدفه وخز الضمير وتحريك العقل والقلب، فكان المبحث الأول شاملا لخمس فوائد من بين آلاف محاسن الإيمان وفوائده ولخّصها في خمس نقاط مستنبطة من قوله تعالى في سورة التين: **"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات".**

ذكر الفوائد في شكل نقاط :

أ/الإنسان يسمو بالإيمان إلى أعلى المراتب.

---

(112) الكلمات/ النورسي 348-374.

ب/ الإيمان نور يضيء الإنسان وينوّر له دربه.

ج/ الإيمان بالإضافة إلى ما سلف قوة يتحدى بموجبها المؤمن كل الصعاب.

د/ يجعل للحياة هدفا إنسانيا ويحرر الإنسان من العجز المبني أساسا على الحيوانية التي افترسته فأصبح أشبه بالحيوان المفترس.

هـ/ يحقق في المؤمن الدعاء المعبّر عن الحاجة إلى الخالق سبحانه وتعالى ويشبع فطرته المتلهّفة في شوق لخالقها.[113]

أما المبحث الثاني فخصصه لخمس نكات تدور حولها سعادة الإنسان وشقاوته.

- كانت الأولى تنبيها إلى أن النفس الأمارة بإمكانها اقتراف جناية لا نهاية لها في جهة الشر والتخريب، أما في الخير والإيجاد فإن طاقته جزئية...أما إذا تخلى الإنسان عن الأنانية، وطلب الخير والوجود من التوفيق الإلهي وارجع الأمر إليه، وابتعد عن الشر والتخريب، وترك اتباع هوى النفس، فاكتمل عبدا لله تائبا مستغفرا، ذاكرا له سبحانه، فسيكون مظهرا للآية الكريمة **"يبدّل الله سيئاتهم حسنات"** (الفرقان70) فتنقلب القابلية العظمى عنده للشر إلى قابلية عظمى للخير ويكتسب قيمة **"أحسن تقويم"** فيحلق عاليا في أعلى عليين".

- خصص النكتة الثانية لبيان جهتي التكوين البشري، وتتلخص أولاهما في الأنانية المقصورة على الحياة الدنيا، والثانية جهة العبودية الممتدة إلى الحياة الأبدية، فإذا ربى الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام وغذّاها بضياء الإيمان تحت تراب العبودية موجها أجهزتها المعنوية نحو غاياتها

(113) المصدر السابق 348-358.

الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستنشق عن أوراق وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتّح أزاهيرها في عالم البرزخ، وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نعما جامعة لحقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو الإنسان آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرة مباركة منورة لشجرة الكون.. والسمو الحقيقي إنما بتوجّه القلب والسر والروح والعقل وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية واشتغال كل منها بما يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية..[114]

إننا عندما نقرأ هذا الرأي في ظل السطحية المهيمنة نتوهّم أنّ بين الأنانية والعبودية منافاة كلية، بحيث لا يجتمعان، وبهذا وكأننا نحكم بأن الإيمان غير موضوعي وغير واقعي، والأصل حسب تقديرنا أن الإيمان ما جاء لإلغاء الأنانية بل جاء لترشيدها جاء لجعلها محرّكا أساسا لفعل الخير بمفهومه العام، جاء بما يتناغم والمكونات النفسية للبشر، جاء ليجعل العناصر الذاتية خادمة للذات وسببا في استكثار الخير ودفع المؤمن على العطاء المستمر، و يشهد لهذا المعنى حسب تقديرنا قول النبي ρ **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**[115]، أنظر كيف جعل من حب الفلاح في الآخرة (وهو حب للذات) محرّكا لفعل الخير، لأن المؤمن حقا من يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وبهذا يصبح الإيمان عاملا مهما في بعث عناصر البقاء في الإيمان وتكريس وظيفته الاجتماعية من خلال ترشيد الأنانية وإخراجها من العبثية إلى الهدفية.

- حصر الفكر والوجود في الدنيا يهبط بالإنسان ويجعله أقل شأنا بمائة درجة من حيوان كالعصفور وإن كان أسمى منه في أصل خلقه وخلقته،

---

(114) الكلمات 359-374.

(115) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان.

لهذا كان الإنسان المستند إلى أنانيته وغروره المتخذ للحياة الدنيا غاية آماله ومنتهى جهده شخصا شريرا، غارقا في دائرة ضيّقة ستذهب سعيه أدراج الرياح، وطريق الخروج من هذه الدائرة الضيّقة إلى الوجود الرحب لا يكون إلا بالإيمان.

- إن تفوّق الإنسان عن سائر المخلوقات ليس بسبب ذاتي بل بفعل كرم إلهي، وما دامت الحقيقة كذلك يجب عليه دفع الغرور والأنانية، والإعلان أمام عتبة باب الألوهية عن عجزه وضعفه وقلّة حيلته بلسان التضرّع والدعاء، وذلك أصدق أساليب إظهار العبودية الخالصة لله الغني الحميد.

- أرسل الإنسان إلى الدنيا ضيفا وموظّفا وللقيام بتلك المهام (الضيافة والوظيفة) وهب استعدادات ومواهب تسمح بتحقيق ما طلب منه، ولكي يحقق تلك المقاصد بتلك الاستعدادات وضعت في طريقه المشوّقات والمهددات في الوقت نفسه، فرغّب ورهّب من أجل القيام بمهمته، وبمثل تلك المهمة المتمثّلة في العبادة والتفكّر يصبح إنسانا حقا ويظهر نفسه أنه في " **أحسن تقويم** " فيصير بيمن الإيمان وبركته لائقا للأمانة الكبرى وخليفة أمينا على الأرض.[116]

و/ يستشف من مجموع مؤلفاته عرض السنة بطريقة خاصة، يظهر أنه عرض السنة النبوية في ثنايا الحديث عن دلائل إثبات نبوة سيدنا محمد ρ وكون ذلك الإثبات موافقا للسنن الكونية وليس خارجا عن نسقها العام في إطار الفطرة التي فطر عليها البشر، وهو بهذا الطرح متناغم مع طريقة عرض شيخ الإسلام مصطفى صبري للمسألة في المجلد الرابع من كتابه "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"، حيث أوردها بعنوان معبّر عن موقفه من المسألة، يبيّن عنوانه المختار" موقف

(116) الكلمات/ النورسي 348-374.

العقل والعلم من رسل الله ومعجزاتهم ومن البعث بعد الموت"[117].. وورد عنه في مقام إثبات وجود الأنبياء ما يؤكد التشابه في العرض بحيث تكاد تكون الألفاظ و المعاني متشابهة بل قد تصل حد التطابق، يتجلى هذا المعني في قول مصطفى صبري: "وجود الأنبياء إن لم يكن ضروريا كضرورة وجود الله في إيضاح فلسفة العالم بجميع أجزائه، إلا أن للنبوة أهمية كبيرة في إيضاح فلسفة الإنسان الذي هو جزء من أجزاء العلم، أهمية تجعلها جديرة بأن تعد من المطالب الفلسفية، ولا شك أن النبوة إنما تتصور بعد مطلب الألوهية وتنبني تماما على الاعتراف بوجود الله"

وتتقرر الأحكام المشار إليها أعلاه بما اقتبسه من الفيلسوف" **كانت"** الذي ربط الإيمان بوجود الله بحاجتنا إلى حفظ الأخلاق من الانهيار، وهذا بدوره مرتبط بالقول بالبعث المستدل به على وجود الله، ولهذا يعرف دليله بالدليل الأخلاقي على وجود الله.

اقتبس شيخ الإسلام مصطفى صبري هذا الدليل في الاستدلال على ضرورة وجود الأنبياء حفاظا على الأخلاق من الانهيار، لأنه لا يمكن أن يحتج به على وجود الله لأنه دون ذلك المقام، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري: " فأول ما يكون ثبوته ضروريا على طريقة الفيلسوف "كانت" لحفظ الأخلاق عن الانهيار وصيانة حقوق الفضيلة من الضياع الأبدي، هو وجود البعث بعد الموت، ويأتي عندنا بعد ثبوت وجود الله ووجود البعث - أيا كان الأول ثبوتا - وجود الأنبياء، فلا ينفك وجودهم على كل حال عن ثبوت وجود النشأة الأخرى"[118].

2- جهاده الفكري والسياسي :

---

(117) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين/ مصطفى صبري 24/4

(118) موقف العقل 160-162.

1/اشترك في الحرب العالمية الأولى وكوّن مجموعة قتالية (**الأنصار**) من طلابه والمتطوّعين (عام1916م)، وعين قائدا عاما لها في جبهة " القفقاس "، وقد بلي بلاء حسنا ودافع عن أمته دفاعا مستميتا أثار إعجاب كبار القادة العسكريين، وقد وقع أثناء المشاركة في محاربة روسيا أسيرا واقتيد إلى" قوسترما" شمال روسيا حيث مكث مدّة سنتين وأربعة أشهر إلى أن قيّض له الله سبحانه وتعالى فرصة الإفلات من قبضتهم بأعجوبة عن طريق "لينينغراد، وارسو، فيينا، صوفيا، استنبول**"** (عام **1918م**)، حيث منح أعلى الأوسمة واستقبل من قبل الشيوخ والتلاميذ والرسميين فكان على رأسهم الخليفة وشيخ الإسلام (أعلى منصب علمي شرعي في الدولة العثمانية) والقائد العام، وصدر الأمر بتعيينه عضوا في " **دار الحكمة** " (أعلى مؤسسة علمية في الدولة العثمانية).

2/ساند جمعية فكرية سياسية إسلامية باسم "الاتحاد المحمدي" في مواجهة جمعية الاتحاد والترقي، وقد أظهر في هذه الجمعية براعة سياسية وفكرية منقطعة النظير، وعندما أحسّ مصطفى كمال بخطورته عمل على تقريبه والتقرّب منه بإغرائه ماديا ومعنويا، ولكن النورسي رفض هذه المحاولات وأضطر إلى مغادرة أنقرة واختار النفي الطوعي إلى إحدى المدن النائية " **وان"** (1923م) حيث انزوى عن الناس.

و بهذا الصدد يحق لنا التساؤل، هل يمكن اعتبار اختيار العزلة في هذه المدينة وبالضبط في جبل (ارك) ومغارات "وان و بتليس" تركا للسياسة؟ مثلما يصوره أحد الباحثين(**حمزة المكسي**).

نحن نرى أن فصل السياسي عن الفكري والعقدي أمر مستحيل عند عامة المسلمين فكيف بخاصتهم من أمثال النورسي، لهذا نعتبر موقفه هذا محض سياسة، لأن السياسة اقتضت منه ترك السياسة (من السياسة ترك

السياسة أحيانا)، ويبدو أن طبيعة العصر فرضت على الرجل اختيار مسلك جديد في الدعوة إلى حماية الموروث المعرفي والدين بجميع محتوياته التشريعية والسياسية وان كانت السياسية غير ظاهرة للعيان وفق ما تقتضيه الإكراهات الفكرية والحضارية الجديدة، وهو ما يبيّن عبقرية النورسي.

يسوغ للباحث أن يتساءل عن منهج المحبّذ للعمل للإسلام في بيئة كان مجرد الحديث فيها عن الإسلام جريمة تصنّف في خانة الخيانة العظمى، ومن ثمّ يعد المسلك الجديد معبّرا عن نباهة منقطعة المثيل، إذ اهتدى النورسي إلى منهج جديد مكّن للفكرة الإسلامية وجذّرها في المجتمع التركي المعاصر دون الدخول في المهاترات والمناقشات التي كثيرا ما تغيّب المحتوى العقدي والفكري بانشغالها بالتقعير الاستدلالي مرة والابتعاد عن البعد الوظيفي للرسالة الإسلامية أخرى، فقد كان مسلكه - بفضل الله - سببا في بعث الاهتمام بالبعد الوظيفي للفكرة الإسلامية .

3/ أتهم النورسي بالتحريض على الثورة المسلّحة التي وقعت في منطقة " ديار بكر **"**، مما دفع السلطة آنذاك إلى الأمر بنفيه إلى مدينة **"بارلا" (**أحد المنافي النائية غربي الأناضول**)** (عام 1926م) حيث سلّطت عليه رقابة شديدة حجزته عن الاتصال بغيره، ولكن الشيخ بما وهبه الله من قدرة فائقة أثّر فيمن حوله، فانقلبوا بتوفيق من الله إلى أعوان ساهموا بقسط غير قليل في إتاحة فرصة كتابة رسائل النور تنويرا للطريق وقطعا لدابر الشكوك والأوهام بأسلوب تذكيري فكري رائد.

وبعد انكشاف حقيقة رسائل النور وانتشارها في الأمة، أصدرت السلطات **أمرا بسجنه** مع مائة وعشرين من طلبته في سجن " **أسكي شهر"**، ليسهل عليه تلفيق التهم ثم محاكمته وبعض تلاميذه لأسباب واهية، لخّصتها هيئة الاتهام فيما يأتي:

- تأليف جمعية سرية.
- وصف أتاتورك بعداوة الدين والدجل والسفه.
- إثارة روح التديّن في المجتمع التركي.

حكمت عليه المحكمة بموجب تلك التهم وبعد تحقيق طويل بأحد عشر شهرا نافذة رغم عدم امتلاكهم لأدلة الإدانة.

في حياة الرجل مرحلتان، إذ مثّلت المرحلة الثانية تحوّلا صريحا من السياسة إلى التربية فكان يقول **" أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"**.

يبدو من وجهة نظر سطحية أو مغرضة أن الاستعاذة من السياسية تعد تشجيعا للفصل بين الدين والسياسة أو تشجيعا للعلماء على عدم التدخّل في السياسة، ولكن الفاحص للمواقف في إطار الفكرة الإسلامية يرى أنّ موقفه السابق ليس إلا من قبيل العمل السياسي الذي اقتضى البعد عن العمل السياسي بمعناه الإداري وليس بمعناه الفكري النظري، لأنّ السياسة ما فسدت إلا بخوف من يعلم عن قول ما يعلم أو بخضوع من يعلم لمن لا يعلم أو ببيع العلماء الباقي (الآخرة) بالفاني (المصالح الدنيوية الضيّقة) أو بالاستقالة الاختيارية عن الأداء السياسي سواء كان فعلا سياسيا مباشرا أو تذكيرا دعويا في مجال العمل السياسي.

4/ نقل بعدها إلى "قسطموني" (بلدة نائية على شاطئ البحر الأسود) حيث فرضت عليه **الإقامة الجبرية في منزل مقابل لمخفر الشرطة**، وقد كانت الإقامة الجبرية منحة ربانية سمحت له بالتفرّغ الكلي للكتابة والمساهمة بالتدبير في نقل رسائل النور في سريّة على أيد الطلبة.. وسرعان ما انكشف أمرها فأحيل على المحاكمة بأمر من السلطات مرة أخرى، وعيّنت لجنة لقراءة رسائله، انتهت بعد تقليبها من كل وجه إلى نتيجة مفادها: إن رسائل النور لا تحوي الدعوة إلى الحزبية أو السياسة بل هي بحوث دينية مجرّدة.. وبعد تداعي هذه التهمة اتهموه بأخرى مفادها

نزوعه إلى الزعامة، ولكنهم فشلوا مرة أخرى في إثبات التهمة الجديدة فحكموا ببراءته ورغم ذلك ظل معتقلا في سجنه.

5/لم يكف الحكم ببراءته بحكم قضائي من تبرئة ذمته من الناحية الواقعية، إذ صدرت أوامر أخرى **بنفيه إلى ولاية "أفيون"** حيث وضع تحت الرقابة الشديدة التي حالت بينه وبين الكتابة أو الاتصال بالطلبة، ورغم التضييق المشار إليه استطاع بتوفيق من الله أن يكتب وينشر فكرة رسائل النور، وظل على تلك الحال مبعدا إلى أن حانت فرصة محاكمته مرة أخرى بسبب الانتشار الواسع لرسائله في الأمة التركية، فقضت المحكمة بسجنه ومجموعة من أتباعه لمدة عشرين شهرا، قوبل الحكم بالرفض من قبل المحامين وأعلنوا عدم شرعية القرار، واستدعى الرفض إحالة القضية إلى محكمة التمييز، وعوض البت فيها ظلت السلطات تماطل إلى أن انقضت مدة الحبس .

6/خفّف الحزب الديمقراطي من حدّة التضييق على الحريات الفردية والجماعية بعد نجاحه في الانتخابات التي أجريت عام 1950م، فأصدروا قانون حرية العقيدة والدين الذي مكّن الشيخ بديع الزمان النورسي من بعث نشاطه من جديد وفق ما تمليه الإكراهات الواقعية فكريا وسياسيا وحضاريا.

وافته المنية بتاريخ 25 من رمضان سنة1379هـ الموافق 23 من مارس (آذار) عام 1960 م في مدينة أورفة.[119] ونبشت السلطات العسكرية قبره بعد أربعة أشهر ونقلته إلى جهة مجهولة.

1/2 السمات العامة لمنهجه :

(119) أنظر سيرته الذاتية، و بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة/حسن عبد الرحمان بكير (ماجستير مخطوطة كلية الدعوة افسلامية ليبيا= 49-127 ;
و أنظر Bédiuzzaman Said Nursi/Suad Alkan

سنبيّن السمات العامة لمنهج التأليف وأساليبه أولا ثم نتبعه ببيان مسلكه فـي التغييـر الاجتمـاعي والفكـري وصـلة كـل ذلـك بالإكراهـات الفكريـة والسياسية.

2/2 السمات العامة لمنهج التأليف:

تتسم مؤلفاته بسمات مركزة نلخصها فيما يأتي:

أ/ العودة إلى المصادر الأصيلة في التأصيل للعقائد الإسلامية متجاوزا بذلك الاتجاهات الكلامية التي كانت سائدة منذ القرن التاسع الهجري حيث توقفت العقليـة الإسـلامية عـن الإبـداع حيـث تلخّـص جهـد المتكلّمـين فـي الخصومات الوهمية مع بعضهم البعض، يناقشون خصوما لاوجود لهم في غير مخيلتهم ومخيّلات شيوخهم الذين يعيشون في غير زمـانهم مـن الناحيـة الفكرية والحضارية بل وحتى النفسية.

ب/ التنبيـه إلـى القيمـة العلميـة للقرآن الكريم والسنّة المطهّرة مـن جهـة كونهما من أهم مصادر اليقين المعرفي والتربوي في مجال العقيدة والحياة.

ج/ تغليب القرآن الكريم والسنّة الشريفة على الخبرة المعرفية الإسلامية سـواء كانـت كلامـا أو تـصوفا أو فقهـا، وهـو تفـضيل مبـرر شـرعا وعقـلا وخلاصـته أن هـذين المـصدرين لا يتـأثران بالزمـان والمكـان وهـو سـر صـلاحهما بخـلاف الخبـرة المعرفيـة الإسـلامية التـي تتـأثر بفعـل الأيـام والأمكنة مما يجعلها مصطبغة بثقافة عصرها في الغالب الأعم، ولعل من أهم ما يمنح منهجه الأولويـة مـا تفرضـه خبرات أسلافنا من مراجعة دائمـة بـالقرءان والسنة المطهّرة لأن مـا كـان صـالحا منهـا فـي بيئـة قد لا يـصلح لغيرها.

د/ التركيـز علـى هذين المصدرين لاحتوائهمـا علـى الجمع بـين أمـرين مركزيين :

أولهما مخاطبة الوجدان و**ثانيهما** مخاطبة العقل في اللحظة نفسها، وهو ما تفتقده الدراسات الكلامية والصوفية بل وحتى الفقهية، إذ قصارى ما يبلغه الفريق الأول إقناع العقول و منتهى ما يبلغه الثاني إخضاع القلوب، ولاشك أنّه لا خير في عقل لا خشوع معه ولا خير في لسان يلهج بالذكر ولا فكر معه، فالأجدر والأنفع الجمع بين الحسنيين (قناعة العقل وخشوع القلب) ولا طريق لتحقيقه بغير التربية الروحية بالقرآن والسنة.

هـ/ الاستثمار الأمثل للخبرة المعرفية الإسلامية: بيّنا في ثنايا البحث رفض النورسي عمليا للبداية الصفرية في المجال المعرفي والتربوي، فقد كان (رغم عدم رضاه على مسالك المتكلّمين والصوفية) يوظّف المنهجين الكلامي والصوفي ويستثمر محتوى مؤلفاتهما.

و/ الاستفادة من المشاهدات اليومية وجعلها وسيلة تذكير رئيسة، فقد كان كثير التمثيل بها في مجموع مؤلفاته، واستعمل في ذلك صيغا كثيرة، منها التمثيل بالإنسان أو الحيوان أو غيرهما، والتمثيل بها من أحسن وسائل التبليغ وأنفعها في التذكير.

ز/ استثماره للمنتج المعرفي بصفة عامة وخاصة في مجال العلوم الكونية، إذ يلاحظ أنّه يستعمل الأمثلة الكونية والفلكية لبيان يقينية الرأي الذي يذهب إليه، منها حديثه عن النجوم والمسافات التي بينها.

3/2 السمات العامة لمنهج التغيير:

أ/ تبدأ عملية التغيير عنده ببيان موقع القرآن الكريم والسنة النبوية في سلم المعارف الإسلامية، إذ باكتشاف هذه المنزلة تميّز العقلية الإسلامية بين المنتج المعرفي الزمني (والذي يجب أن يقرأ من قبل أهل الاختصاص قراءة نقدية) والوحي الإلهي الذي جعله الخالق سبحانه وتعالى فوق الزمان والمكان، أي أنّه يتعالى عن الخبرة المعرفية الإسلامية والإنسانية،

وسيمكننا ترتيبها وفق هذا النسق من تجاوز أمراض حضارية ونفسية وفكرية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تغليب الزمني على الوحي كان سببا في تغييب البعد الوظيفي للدين الإسلامي، إذ يرجع إليه بعث الخلافات الفرعية في الأمة وتغليبها على ما يجمعها، فيكون تقديم الفرع على الأصل سببا في ضياع الأصل والفرع على حد سواء .
- تغليب الزمني على الوحي كان سببا في إشاعة القراءة التبركية للقرآن الكريم وإبعاد التلاوة الوظيفية التي يخشع لها القلب ويقتنع بها العقل وتخضع لها سائر الجوارح.
- تغليب الزمني على الوحي كان سببا في إبعاد القرآن الكريم والسنة المطهرة من مصاف المصادر اليقينية في مجال المعارف المتعلّقة بأمور العقائد (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، ونشأة الكون، ومصير الإنسان، وبداية الإنسان الأول..) أو المتعلّقة بمصالح الدنيا في المعاش وتنظيم شؤونه.

ب/ التفاعل الموضوعي مع الإكراهات الواقعية: حاول النورسي في بداية أمره التعامل مع المعطى السياسي تعاملا سياسيا ولما تأكد من الرغبة الجامحة لسياسي وقته في إقصاء النداء الديني الإسلامي من الساحة السياسية والفكرية، اختار أسلوبا جديدا يركّز على الفكرة الإسلامية من الناحية التربوية الروحية بوصفها الخزّان الرئيس لأي تغيير حضاري أو فكري محتمل في قابل الأيام، وهو بهذا المسلك قد جنّب الإسلام كتوجه حضاري إنساني الوقوع في كثير من المطبّات منها على سبيل المثال لا الحصر :

-الدخول في معركة أعد الخصوم ظروفها المادية والمعنوية والنفسية.

-التفاعل النفسي التشنجي مع أحداث بالغة التعقيد من حيث الموضوع والمنهج (وهو ما دبّر بليل للعامة أو من سار في ركابهم من المتعلمين).

-الخلط بين القضايا الإستراتيجية والمسائل التكتيكية في العمل التربوي والفكري في البلاد الإسلامية، ويرجع ذلك إلى عدم وضوح الأولويات عند الدعاة إلى الله.

-إبعاد التوجهات الحضارية من ساحة الفعل الفكري وتمكين العقلية الجزئية من القرار الثقافي الإسلامي، وقد كانت هذه العقلية الممكنة بوسيلة أو بأخرى سببا في الانصياع إلى الأحداث بعقلية الصبية الذين لا يعلمون من مقاصد الأمور وحقيقتها شيئا.

ج/ تتجلى في مؤلفاته الخلفية المعرفية للمذهبية الإسلامية الشاملة التي تنبثق عنها رؤية المسلم للكون والحياة والمجتمع والإنسان، إذ تعد مواقفه منها أوفيها ليست إلا تجسيدا لمحتوى الأمر الإلهي في المجالات الفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية.. والمعيشية، لهذا كان منهج التغيير عنده متسّما بالشمول من حيث المكلفين أولا ومن حيث الموضوع ثانيا، فبالنسبة للأول تعد الرسالة الإسلامية عامة لجميع أفراد الإنسانية، وهي في الوقت ذاته تمثّل صلة رحم بينهم بأوامرها يدر خير بعضهم على بعض وبموانعها يقل الشر المتطاير بينهم، أما بالنسبة للثاني فإن موضوعها يتناول شأني الدنيا والآخرة في رؤية متكاملة تجعل من النجاة في الأخرى محرّكا للفعل الحضاري الإنساني في هذه الدنيا، يعمل المؤمن من منطلق طلب النجاة في الآخرة على إصلاح دنياه ودنيا الآخرين طمعا في مرضاة الله سبحانه تعالى، فيكون الاعتقاد العقلي والقلبي في البعث والحساب في الآخرة عاملا فعّالا في دفع الناس إلى إصلاح أمر دنياهم .

يتميّز منهج التغيير عند العلامة النورسي بالسمات الآتية:

الأصالة: بالعودة إلى المصادر الإسلامية في المعرفة والتربية.

الواقعيـة : وتتجلـى فـي استـصحاب المعطـى الفكـري فـي وضـع خطـة التغيير.

الـشمول: الـدعوة إلــى شـمول الإسـلام مـن حيـث موضـوعه (الـدنيا والآخرة) وآثاره الاجتماعية والفكرية.

ولنا أن نتساءل بعد هذا العرض لماذا اختار النورسي هذا المسلك في التغيير؟ إن الجواب عن هذا السؤال يعد تمهيدا لجواب عن سؤال مركزي آنـف الـذكر، مفـاده لمـاذا اختـار النورسـي مـسلكا خاصـا مخالفـا لمنهجـي معاصريه مصطفى صبري والكوثري؟

الجواب الدقيق عن هذا السؤال يبيّن القضية المركزية في فكر النورسي.

4/2 القضية في فكر النورسي:

يتبيّن من العرض السابق لميادين السياسة والثقافة والصراع الحضاري في المجتمع العثماني الأخير وبشهادة المخالفين من النصارى واليهود أن الغرض الأساسي من كل المؤامرات التي تحاك ضد المجتمع العثماني هو إبعاده عن مسالك الإيمان من خلال التشكيك في القرآن والتشويش على جميع العلوم الإسلامية، وقد أعملوا لتحقيق هذا المقصد مجموعة لا يستهان بها من الخدع، تتلخّص في آخر المطاف في أسلوب القهر القانوني المتدثر بالترغيب حينا وبالترهيب في كثير من الأحيان، يصوّر هذا التشخيص قول النورسي لمبعوث شيخ الإسلام مصطفى صبري حين قال لـه بـأن الشيخ مصطفى يسأل عن عدد طلابكم ؟ فقال النورسي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن الكريم؟ فقال المبعوث يقول الشيخ مصطفى.. إذن لماذا لا يبدأ بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟

فقال الشيخ النورسي مبيّنا تشخيصه لحال الأمة وما يجب عليها: "بلّغ سلامي له أولا، ثم قل له: إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان".

إن التشخيص السابق يدل على عبقرية فذة جاوزت العقلية الإسلامية التي تعرف كيف تموت من أجل الإسلام ولكنها تفتقد إلى منهج الحياة من أجل الإسلام بمعنى أنها تحسن تقديم النفس لله ولكنها لا تعرف كيف تحيى لله ، فالعقلية الإسلامية كانت ولمدة طويلة عقلية فدائية يهمها أن تقدّم نفسها لله تعالى دون موازنة بين المصالح والمفاسد المترتّبة عليها بالنسبة للأمة وليس بالنسبة للشهيد، وقد أيّد هذا الفهم وزكاه شيخ الإسلام مصطفى صبري حين قال معلّقا على جواب النورسي: حقا إن الأستاذ النورسي هو المحق، نعم إن ما قاله صدق وصواب ،فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها.[120]

يرى النورسي أن حقائق الإيمان مهددة، فما هو المطلوب في مثل هذا الوضع؟ هل يبقى مكتوف الأيدي أم يساير الفكر الفدائي (الجهاد بالنفس في سبيل الله)؟

المعركة حسب تقديره تتجاوز منع الحكم الإسلامي أو المظاهر الإسلامية، إنها معركة حامية الوطيس هدفها قطع صلة الأمة بدينها من خلال محو الحقائق الإيمانية من قلوب المؤمنين وعقولهم بكل الوسائل المتاحة، وقد قاد هذا المسعى الاستعمار والصهيونية بمساعدة قوى محلية،[121] وفي مثل هذا المقام هل يفيد الخروج طلبا للشهادة ؟ وهل يحمي ذلك المسلك الحقائق الإيمانية؟

---

(120) سيرة ذاتية 542.

(121) أنظر المكتوبات 349.

الجواب وفق رأي النورسي يبدأ بترتيب الأولويات، بعد التشخيص "إننا في عصر مريض وعنصر سقيم وعضو عليل"[122]" وهناك هجوم عنيف جماعي منظم على أركان الإيمان وأسسه".[123]

التشخيص الآنف الذكر فرض على النورسي اتخاذ موقف منسجم مع خياره، فهل نكتفي بالمؤلفات السابقة لحماية الإيمان وحقائقه؟

يقول النورسي: لا تستطيع أغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط أن تصد التيار القوي لهذا الزمان، ولا أن تقاومه"، وبهذا الصدد اقترح البديل، فما هو البديل أيها الشيخ الجليل، إنه أمر بسيط واضح بدايته ومنتهاه: رسائل النور لكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة، حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء".[124]

وقد حقق هذا المسلك مجموعة لا يستهان بها من الأهداف والمقاصد:

1/إعادة الاعتبار للقرآن الكريم كمصدر رئيسي في المعارف الدينية، فقد هيمنت الخبرة المعرفية الإسلامية على النص الديني الإسلامي مدة طويلة في البيئة الإسلامية.

2/التركيز على الجانب الحضاري من المعركة، بعدم الدخول إلى ساحة الوغى التي حدد مكانها وزمانها العدو الذي يتربّص بنا الدوائر، وبهذا ابتعد النورسي عن التعامل الصبياني أو الفدائي مع قضية بالغة التعقيد.

---

(122) المكتوبات600.

(123) الملاحق 105.

(124) الملاحق 105.

3/اختـار النورسـي الحفـاظ علـى الأصـل الـذي تـستمد منـه جميـع الأفعـال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عناصر بقائها وديمومتها وفاعليتها في حياة المسلم، لهذا يرى النورسي أنه إذا كان الإيمان مهددا فالأصل التركيز على حمايته من خلال السعي إلى حماية مكاسب الدعوة، فالحفاظ على متر واحد في ساحة الدعوة الإيمانية أولى من الاستحواذ على أضعافها بطريق آخر.

4/ تعد العودة بالناس إلى القرآن الكريم اختيارا لأقصر مسالك إثبات الحقائق الإيمانية، مسلك متميّز بالقدرة على جمع المؤمنين جميعا على تنوع مشاربهم على هدف واحد تمثّله القبلة الواحدة.

5/ يعد هذا المنهج في العمل بمثابة الحفاظ على الخزان البشري الذي تستمد منه جميع حركات التغيير على تنوّع اهتماماتها، لهذا يجب على تلك الحركات والجمعيات من منطلق حماية الوجود الحضاري - ولو كان في شكله الإيماني البسيط - للأمة إمداد هذا الفكر بعناصر الديمومة المادية والمعنوية.

6/ يستفاد من هذا المسلك أن التعامل مع القرآن الكريم لا يفرض بالضرورة البداية الصفرية في المعرفة التربوية والنظرية، فضلا عن المعركة الحضارية، بل يقتضي استثمار كل ما من شأنه أن يفيد في بيان الحقائق الإيمانية المستقاة من القرآن الكريم.

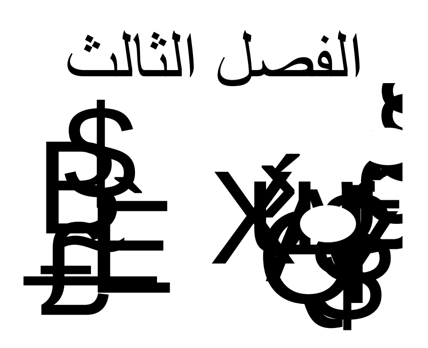
7/ يستفاد من التجربة النورسية ضرورة التفكير في ترتيب الأولويات في معركة المقاومة الفكرية، وبذلك نبتعد عن التفاعل السطحي مع الأحداث، كما يستفاد منها تجاوز الفكر الفدائي بتركيزه على العمل المؤسساتي الذي تجلى في رواد رسائل النور وحملة ميراثها في قابل الأيام.

بعد الانتهاء من البسطة التاريخية للظروف السياسية والفكرية التي عاش فيها النورسي فاعلا ومتفاعلا ثم بيان الترجمة المركّزة لشخصيته

والسمات العامة لمنهجيه في التـأليف والتغيير التربـوي والاجتمـاعي، ننتقل إلى عناصر الخطة التفصيلية لموضوع الدراسة.

" إثبات الحقائق الإيمانية عند النورسي(المنـهج والتطبيق)"

الفصل الثالث



يتكون البحث من كلمات مركزية يتوقف فهم العنوان على تحليلها وفق مشرب النورسي نفسه بناء على ما استقيناه من آثاره، لهذا وبغرض بيان المراد بالمركب اللقبي "إثبات الحقائق الإيمانية" يلزمنا بيان المراد من المصطلحات الآتية:

مصطلح **الإثبات** ثم مصطلح **الحقائق الإيمانية**.

1/ إثبات

يستعمل النورسي مصطلح " إثبات " في سياق التأسيس المعرفي بشقيه العقلي والقلبي للحقائق الإيمانية المتضمنة في القرآن الكريم، إذ ورد عنه في مقام بيان الهدف المركزي من رسائل النور**:" إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم".**

ولنا أن نتساءل عن سر توظيف مصطلح **(إثبات)** في هذا السياق؟ ولماذا فضله عن مصطلح الاستدلال؟ أو ما يقوم مقامه في البناء الكلامي.

وما المراد الدقيق به؟ هل هو ذات المصطلح الصوفي؟ الذي مفاده الإثبات ضد المحو[125] يبدو لنا أن النورسي ابتعد عن اصطلاحات المتكلمين والفلاسفة في التعبير عن الحقائق القرآنية نظرا للتلازم الواقعي (في الضمير الجماعي للأمة) بين الإستدلالين الكلامي والصوفي والتقعير العقلي الذي لا يحرك وجدانا وان كان مؤسسا للمعارف ومستدلاً لها وفق النسق العقلي أو التقعير الوجداني الذي يقصي العقل ويضعه جانبا.

الإثبات في سياقات كلام النورسي ترد مضادة أو منافية للنفي، يشهد له تكراره لهذا المعنى في مقامات مختلفة منها استثماره لما نقل عن السكاكي،

(125) كشاف اصطلاحات الفنون/ التهانوي247/1

حيث قال النورسي: " ألا ترى ذكاء السكاكي ذلك الإمام الداهية قد تقاصر عن اجتناء دقائق ما أبرزه سجية امرئ القيس، أو بدوي آخر؟ فبناء على ذلك، الاستدلال على وجود الإيمان في العامي يثبت بالاستفسار والاستيضاح منه، بأن يستفسر من العامي بالسؤال المردد بين النفي والإثبات، أيها العامي، أيمكن في عقلك أن يكون الصانع الذي كان العالم بجهاته الست في قبضة تصرفه أن يتمكن في جهة من جهاته أو لا؟ فإن قال: لا، فنفي الجهة ثابت في وجدانه، وذلك كاف، وقس على ذلك". (126)

لهذا فالمقصد الرئيس من هذا المصطلح الإشارة إلى أصلية المسائل التي يراد إثباتها أو التذكير بها، ويشهد لهذا أيضا قوله في شرح كتاب **"قزل إيجاز"** في سياق شرح قول المصنف:

نحمد جل على الأنعام بنعمة الإيمان والإسلام

نحمده: كرره **للإثبات بعد الثبوت**، والإنشاء بعد الخبر والعمل بعد العلم. (127)

إن الإثبات وفق المسلك السابق يتجاوز أن يكون محاولة لإقناع العقل أو مخاطبة الوجدان كل على حدا، إنه نهج خيّر رام فيه صاحبه المزاوجة بين خيري المسلكين، فكان حقا مسلكا جديدا ومتجددا للجمع بينهما في شكل عجيب يقر به النورسي نفسه، حيث يقول: " إن ما يصادفك في المسائل من صورة البرهان ليس برهانا حتى يقال: فيه نظر، بل مبادئ حدسية قيّدت وعقدت واستحفظت بأنوار اليقين المفاضة من القرآن الكريم". (128)

حدسية لاجتماع إشباع حاجتي العقل والقلب في نفس لحظة الإثبات، بخلاف الاستدلال الكلامي والتذكير الصوفي، فالأول يتوجه إلى العقل مع

---

(126) إشارات الإعجاز 51

(127) صيقل الإسلام 170

(128) المثنوي العربي النوري 318

عدم ملاحظة مخاطبة القلب أو الوجدان أثناء المرافعة عن حقائق الإيمان، أما الثاني فيتوجه إلى القلب دون الالتفات إلى العقل وحاجاته أثناء صياغة الخطاب الصوفي أو تبليغه.

إنه منهج عجيب يقوم أساسا على "**العقول المستقيمة المنورة والقلوب السليمة النورانية**"، الذين قال مخاطبا لهما: "أقبل، فإن أقصر الطرق الموصلة إلى الحقيقة هي من بابكما فهيا لنستفيد بمطالعتنا العقول والقلوب المتصفة بالإيمان ودراسة كيفياتهما وألوانهما، فهذا درس لا يؤخذ من الألسنة كما هو الحال في الطرق الأخرى".(129)

إنه اختيار مبدئي أملته الإكراهات الواقعية، ولعل من أهم مبرراته من الناحيتين النقلية والواقعية ما يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

أما من الناحية النقلية، فيتلمس ذلك من الغرض الأصلي للقرآن الكريم (مع تعدد أساليبه في الإقناع) "هداية الناس إلى طريق الفلاح في الآخرة والنجاح في الدنيا"، استصحب النورسي هذا الهدف في التعامل مع القرآن الكريم في الفهم والإفهام.

يقول النورسي: اعلم (130) أنّ مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، و الحشر، والعدالة مع العبودية، فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب، ومن القواعد: عدم التعمّق في تفصيل الوسائل، لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد.. لهذا

(129) الشعاعات 160

(130) يقول النورسي: إن كل مسألة افتتحت بـ"اعلم" سلاح قاطع، ودواء نافع، أعطيته من حيث لم أحتسب، في وقت احتياجي وكثرة جروحي، فليس لي في الكتاب مال إلا ما ليس في الكتاب من الألم والجرح والداء المستتر في الضمير، وأما المذكور في الكتاب من الدواء والسلاح وذوق الحق، فليس مني، ولا مما مضغه فكري، بل من فيض القرآن. المثنوي العربي النوري 318

أكثر القرآن من التمثيل، ومن التمثيل بعض المتشابهات فإنها تمثيلات لحقائق غامضة إلهية، وأجمل فيما كشفه الزمان بعد العصور وبعد حصول مقدمات مرتبة.. [131]

وقد نسج على منوال ذلك في أسلوب يتوخى تحقيق القراءة الجامعة بين قناعة العقل وخضوع القلب في إطار التركيز على المقاصد وتوظيف كل ما من شأنه تيسير القراءة المقاصدية.

إن توخي هذا الهدف (**الفهم و الإفهام من أجل الهداية**) بالتركيز على المقاصد الرئيسة، يجعل أولوية الأولويات التبليغ عن الله، ويجعل في ذات الوقت القضية الاستدلالية الموغلة في التقعير العقلي مسألة ثانوية في الوهلة الأولى، والحال نفسه بالنسبة للقضية الجوانية المستقلة عن العقل، لأن ضعفنا وإن كان عقليا فإن عدم فاعليتنا لا تكمن في عدم القناعة العقلية بقدر ما تكمن في عدم التزامنا العملي بما جاء به القرآن الكريم، المبني أساسا على المزاوجة الهادفة بين القلب والعقل أو بين العقل والقلب.. فالمسألة متداخلة تداخلا عجيبا يصعب ترتيب السابق وفق رأي النورسي نفسه، نظرا لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين القلب والعقل، يصوّر هذا التداخل العجيب المدهش في كثير من رسائله، منها قوله في وصف مسلك رسائل النور في الإثبات: " ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا

(131) المثنوي العربي 75

وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة.. فتبين أنوار الحقائق وتوصلها إلى عيونها المطموسة.. [132]

و يؤكد تلك المعاني المستفادة من أقواله، قوله في مقام آخر عن العلاقة بين رسائل النور والقرآن الكريم مبينا فيها المراد بمصطلح الإثبات، وبأنه يفوق المعنى المستفاد من لفظ الاستدلال.

يقول النورسي: "أما رسائل النور، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود (لاحظ جيدا راسخ - مستدل عليه ومتمكن - موجود أي غير مفقود على مستوى القناعات العامة)، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة، حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء". [133]

يستفاد مما سبق أن مصطلح الإثبات يحمل بين طياته مبررات الانتقاء ويشير بشكل واضح إلى خلفيته النظرية، كما يستشف منه ظروف الحمل بالمصطلح وولادته، يحمل مصطلح الإثبات إشارات واضحة لمميزات الظرف الذي فرضت استعماله من جهة، وتقديمه عن غيره من المصطلحات المشابهة، ولهذا تعد محاولة فهمه خارج سياق ظروف الحمل والولادة تعسفا معرفيا ظاهرا، وتتجلى تلك الظروف في الصياغة نفسها، وقد اصطلحنا عليها باسم مميزات الإثبات عند النورسي.

2/1 مميزات الإثبات:

يستفاد من تحليلنا السابق وفي إطار نصوص النورسي، أن الإثبات بمفهومه النورسي يتميّز بمجموعة من الميزات نجملها في النقاط الآتية:

---

(132) الملاحق 105
(133) الملاحق 105

1/الإثبات مخاطبة للعقل والقلب في اللحظة نفسها، لأننا في حاجة للعقل والقلب معا وبنفس الدرجة، فلا تقديم لأحدهما على الآخر، فهما معا كوجهين لحقيقة واحدة، وقد أبدع النورسي في تبني هذا المصطلح بذلك المدلول (أرجأنا التفصيل إلى الفصل اللاحق حين الحديث عن منزلة الخبرة المعرفية الإسلامية في فكر الرجل).

يقول النورسي: "اعلم أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي".[134]

ويقول أيضا في تأكيد هذه المعاني: "فمسائلها (رسائل النور) وإن حصلت لي أول ما حصلت شهودية وحدسية وذوقية، لكن لدخولي في صحراء الجنون مع رفاقة عقلي مفتوح الجفون - فيما يغمض فيه ذوي الأبصار- لف عقلي على عادته ما رآه قلبي في مقاييسه ووزنه بموازينه واستمسكه ببراهينه.. صارت مسائل هذه الرسائل من هذه الجهة كأنها مبرهنة استدلالية.[135]

2/ العمل على المزاوجة بين المسلكين بهدف تجاوز الخلل الموجود فيهما، فقد ابتعد عن التقعير العقلي بقدر المسافة نفسها التي ابتعد بها عن التعمّق الصوفي، ورغم هذا فقد اقترب منهما بالمسافة نفسها حين تعلّق الأمر بما يملكان من عناصر قوة وانتشار، يشهد لهذه المعاني كثير من نصوص الرجل منها ما أورده في سياق نقد الطريقة الصوفية مركّزا على الجهد الانتخابي في استثمار ما تملكه الطرق الصوفية من غايات سديدة، وبهذا الصدد يذكر النورسي: تحت عنوان التلويح التاسع: "نذكر هنا مجملا

(134) المثنوي العربي 413
(135) المثنوي العربي 206

تسع ثمرات من الثمار الوفيرة للطريقة وفوائدها".. إلى أن يقول: "نعم فبالتربية الموجودة في الطريقة تنمو تلك البذرة وتكبر.."[136]

3/ رفض البداية الصفرية في ميدان الإثبات، فتراه مستثمرا لجهود المتكلمين والمتصوفة والفقهاء وعلماء اللسان العربي.. كل في دائرة اختصاصه، مما يوحي بأنه يتوخى من الإثبات مقاصد معلومة، تحدد بما تضمنه القرآن الكريم من حقائق إيمانية.(سنبيّنه لاحقا)

4/ يعد مصطلح الإثبات من أهم مظاهر الخروج من دائرة النخبوية في صياغة الخطاب الدعوي وتبليغه، إذ يدل على أنّ المقصد الأصلي من رسائل النور هو إثبات بعد ثبوت، أي إثبات إيمان راسخ وبالأحرى تثبيت الإيمان الراسخ، ولا شك أن مصطلحات الاستدلال والبرهنة وإن كانت مرشدة لصنف من الناس فإنها قد تمرض البعض الآخر، فكان الإثبات نسجا على منهج القرآن الذي يخاطب المجتمع الإنساني على تنوّع طبقاته في الفهم والسلطان، فيجد العامي ضالته كما يجدها المتخصص، ويجدها الفقير مالا أو جاها أو سلطانا كما يجدها الغني أيضا، لهذا فهي بالقرآن قامت وبالقرآن دامت لأنها وفق القرآن الكريم نسجت.

رام النورسي بهذا المسلك تحقيق جزء من ميزات القرآن في التبليغ لأنها به كانت ومن فيضه استمدت، لهذا حاولت رسائل النور أن تكون إثباتا لحقائق الإيمان لجميع طبقات الإنسان، لا لصنف فقط بل لجميع أصناف البشر، ولكل فيها نصيب من الفهم، والحال أن فهم نوع البشر يختلف درجة درجة...و ذوقه يتفاوت جهة جهة،.. وميله يتشتت جانبا جانبا.. واستحسانه يتفرق وجها وجها.. ولذته تتنوع نوعا نوعا.. وطبيعته تتباين قسما قسما.. فكم من أشياء يستحسنها نظر طائفة دون طائفة،

(136) المكتوبات 591-592

وتستلذها طبقة ولا يتنزل إليها طبقة، وقس..[137]، وهذا ما دفع النورسي إلى تنويع خطابات الإثبات في رسائله.

ويعد استصحاب هذه الميزة ديدن كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، فمن المتقدمين الغزالي الذي يميّز بين أسلوب القرآن في التأسيس للعقائد وأسلوب علم الكلام، وهو الكلام نفسه تقريبا الذي نجده مرددا عند عبد الحميد بن باديس والنورسي.

قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في وصف مسلك رئيس جمعية العلماء عبد الحميد بن باديس: "كان منذ طلبه العلم بتونس قبل ذلك - وهو مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان يبنى عليه مشائخه من تربية تلاميذهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرجهم على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلما.." ثم يخلص إلى فوائد هذه الطريقة فيقول: " وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات، فطهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من الطرائق القديمة في التعليم، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس وأتت سلطانها "، وقد أنتج هذا المسلك بعد رواجه بين العامة والخاصة طريقا جديدا في الحكم على أقوال الرجال وأعمالهم وعلومهم، ومن بركات هذا المسلك أن "أصبح العامي لا يقبل من العالم كلاما في الدين إلا إذا استدل عليه بآية قرآنية، وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث اهتز وشاعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول، وهذه أمارة دالة على عودة سلطان القرآن على النفوس يرجى منها كل الخير".[138]

(137) إشارات الإعجاز 49، أنظر ما يقرب من هذه المعاني اللمعات 178-179،...

(138) مقدمة الشيخ البشير الإبراهيمي لكتاب العقائد الإسلامية لشيخ نهضة الجزائر الحديثة عبد الحميد بن باديس 6-7

5/ استعمال مصطلح الإثبات يدل بنفسه على هيمنة النزعة الواقعية على فهم الرجل، إذ يستشف من التحليل الآنف المواصفات العامة للواقع الحديث الذي ولدت فكرة الإثبات.

3/1 السمات العامة لظروف ولادة فكرة الإثبات:

1/ معالم الجو الثقافي والعلمي أكثر ظهورا في أدبياته، إنه أشبه بمن يقول: المسألة ليست مسألة استدلالية فحسب، بل هي بالإضافة إلى ما سلف مسألة التزام، لأن ما يتهدد الإيمان وحقائقه خطير وفضيع يستدعي الوصول إلى المطلوب الإيماني في أقصر وقت ممكن، وقد كان للنورسي ما أراد، فقد بلّغ مثلا فكرة الحشر في عدد قليل من الوريقات بينما كان المتقدمون يكتبون المؤلفات الطوال دون أن يصلوا إلى درجة الوضوح التي تتسم بها رسائل النور، وكان ذلك بفضل مسلك الإثبات المستفاد من القرآن الكريم.

يقول في تصوير هذه المعاني: "إن إثبات أجزاء (رسائل النور) لجميع الحقائق الإيمانية والقرآنية المهمة، حتى لأعتى المعاندين، إثباتا ساطعا، إنما هو إشارة غيبية قوية جدا، وعناية إلهية عظيمة، لأن هناك من الحقائق الإيمانية والقرآنية، اعترف بعجزه عن فهمها من يعد أعظم صاحب دهاء، وهو (ابن سينا) الذي قال في (مسألة الحشر): " الحشر ليس على مقاييس عقلية " بينما تعلّم (الكلمة العاشرة) عوام الناس والصبيان حقائق لم يستطع أن يبلغها ذلك الفيلسوف بدهائه".[139]

ثم يضرب مثالا آخر بمسألة القدر والجزء الاختياري التي لم يحلها سعد الدين التفتازاني في أقل من خمسين صفحة ، بينما حلها النورسي في صحيفتين من المبحث الثاني من الكلمة السادسة والعشرين.[140]

---

(139) أنظر الكلمة العاشرة في كتابه :الكلمات 49، أنظر المكتوبات 481

(140) أنظر الكلمة السادسة والعشرون في كتاب الكلمات 541، انظر المعاني المشار إليها في المتن المكتوبات 481

2/ بعث سلطان القرآن في النفوس بغرض التأسيس لمجمل حقائق الإيمان في أبعادها المعرفية والروحية والتعميرية، ويكمن إبداعه في الغرض من هذا البعث، فهو بمثابة قطع لطريق التشكيك في القرآن بصرف النظر عن مصدره (المحلي والأجنبي)، وهو بذلك يعد رائدا من رواد المقاومة الفكرية التي تقصد مواجهة مؤامرة استئصال وجود الإسلام باجتثاث الإيمان من خلال انتزاع أصلها (القرآن) من الوجود العالمي، يشهد لما ذهبنا إليه تفاعل النورسي مع ما نقله الوالي "طاهر باشا " حين قال إن أوربا تحيك مؤامرة خبيثة حول القرآن الكريم، وهذا بناء على ما سمعه من وزير المستعمرات البريطاني وليم غلادستون القائل: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا، فلنسع إلى نزعه منهم"، فكان جواب النورسي لمن حوله: " لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".[141]

3/ يظهر عند التحليل الدقيق أن مصطلح الإثبات يحمل بين طيا ته عنصري المخاطبة الوجدانية والعقلية، بوصفهما عنصرين أساسيين للتفاعل الإيماني مع الحياة، إذ عدم الجمع بينهما يوقع فيما لا تحمد عقباه، فلا خير في قناعة عقلية لا خضوع ولا خشوع فيها، كما أنه لا خير في قلب مفعم ولسان لاهج بذكر الله دون قناعة عقلية راسخة، لأن قوام المسلك على " دوام الذكر القلبي والتأمل العقلي مع الحضور القلبي الدائم و الاطمئنان، ودوام شحذ الإرادة، والنية الصافية، والعزيمة الصادقة"[142]

4/ يجعل مسلك الإثبات النوري من الإصلاح النفسي والاجتماعي بواسطة التذكير والتفكير هدفا مركزيا، بخلاف لفظ الاستدلال الذي يجعل

(141) سيرة ذاتية 95-96
(142) المكتوبات 592

المحاور (بضم الميم وفتح الحاء) هدفا ومحركا مما يدفعه إلى المجادلة والمهاترة عوض الاستعداد للتفكير والتذكير معا، والبون شاسع بين الإستعدادين، لهذا تراه حين يريد الحديث عن المسألة الاجتماعية في عهده الجديد (سعيد الجديد) يتلمّس لنفسه العذر ظاهرا هروبا من الرقيب السياسي والأمني، فيكتبها بلسان سعيد القديم، و بهذا الصدد يقول: إن الحقيقة الرفيعة التي تفيدها هذه الآية (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**)(الحجرات13) تخص الحياة الاجتماعية، لذا اضطررت إلى كتابة هذا المبحث بنية خدمة القرآن العظيم، وعلى أمل إنشاء سد أمام الهجمات الظالمة، فكتبته بلسان (سعيد القديم) الذي له علاقة بالحياة الاجتماعية الإسلامية، وليس بلسان (سعيد الجديد) الذي يريد اجتناب الحياة الاجتماعية.[143]

2- حقائق الإيمان

وظف النورسي هذا المصطلح في سياق الحديث عن المحتوى المعرفي والروحي والتعميري للقرآن الكريم، فنجد في رسائلها كل المواضيع الشرعية، فيعرض العقيدة والعبادة والتربية الروحية ومتطلباتها الاجتماعية والأدبية والتعميرية..، لهذا يلاحظ على هذا الاستعمال مسحة وظيفية، ومن ثمّ كان هذا الإطلاق أوسع (حسب تقديرنا) من استعمالات المتكلمين الذين تتلخص حقائق الإيمان عندهم في الإلهيات والنبوات والسمعيات[144]، كما أنه يتجاوز استعمالات المتصوفة الذين تتلخص عندهم في أمراض القلوب

(143) المكتوبات 413

(144) أنظر الكتب الكلامية على مختلف المشارب، شرح المقاصد التفتازاني على مشرب الأشاعرة، المغني في أبواب التوحيد للقاضي عبد الجبار على مشرب المعتزلة، تجريد الاعتقاد للطوسي على مشرب الإمامية الإثناعشرية، الدليل والبرهان للورجلاني على مشرب الإباضية، إشارات المرام من عبارات الإمام للبياضي على مشرب الماتريدية.

ومتعلقاتها...[145]، وهو في ذات الوقت يتجاوز اصطلاحات الفقهاء[146] الذين يركزون في جهودهم على الأمور التعبدية الصرف بصرف النظر عن صلتها بالجانب القلبي.

يتناول اصطلاحه جميع تلك المعارف، فنجد ضمنها حقائق العقائد مثل الاستدلال على وجود الله[147] والملائكة[148] والنبوات[149] والروح[150] والحياة الآخرة[151]، كما نجد ضمنها أيضا حقائق التصوف كوحدة الشهود[152] والكشف[153] والشكر[154] والذكر[155]...

وألحق بها مباحث تعبدية صرف، كالصلاة[156] والذكر[157] والعبادة[158] ... وهو في كل ذلك يعمل على توخي البعد الوظيفي للدين الإسلامي[159].

---

(145) على تنوع مشاربهم ،سواء تصوفا أخلاقيا سلوكا، أو تصوفا عرفانيا ،أو تصوفا إشراقيا.

(146) يركز الفقهاء على فقه الظاهر بالدرجة الأولى، ولعل من المذاهب التي تعنى بالمباحث الباطنية المذهب المالكي، الذي كثيرا ما تختم مؤلفاتهم الحديثية والفقهية بكتاب أخلاقي يعرف بكتاب الجامع.

(147) أنظر الكلمات782،660،658،446،325، اللمعات 492،443،267، الشعاعات605،589،169،110، المثنوي العربي 421،276، الملاحق 351، سيرة ذاتية 181.

(148) أنظر الكلمات 594،202،187،114،94، اللمعات 140،126، الشعاعات 128،45، إشارات الإعجاز 141، المثنوي133، الملاحق 288، صيقل الإسلام 143،

149 الكلمات 263،63، اللمعات 30، الشعاعات 166،

(150) أنظر اللمعات52،24، الشعاعات 88،75،62، المثنوي العربي 321،13،...

(151) أنظر الكلمات 618،115،105،...

(152) أنظر الكلمات 561، اللمعات 65، المثنوي العربي 434،433،432،340،...

(153) أنظر الكلمات 14، 157،24، الشعاعات 384،253،87، الملاحق 278، صيقل الإسلام 491،170،77،...

(154) أنظر الكلمات 39،38،29،10،3، صيقل الإسلام 491،170

(155) أنظر المثنوي العربي 478،410،395،314،192،179،70،62،58،56، صيقل الإسلام 15،...

(156) أنظر اللمعات 428،419،377،319،316،292،290،194،155، الشعاعات 127، 291،242،140،129،...

1/2 تجليات هذا الاستعمال:

مرّ معنا أن مصطلح الحقائق الإيمانية يراد به جمع القلوب على الحقائق المتضمنة في القرآن الكريم، سواء كانت متعلّقة بالعقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو التعمير.. وكان الهدف من ذلك جمع المؤمنين على المحتوى القرآني، موضوعا وأسلوبا، بغرض حماية الحقائق الإيمانية بأقل وقت ممكن وبأقصر طريق وأكثره شدا لانتباه المؤمنين وأكثرهم فاعلية في نفوسهم، لأنه يمثّل في فكر النورسي طريق الاتحاد والوحدة.

بين النورسي المسائل التي تجمع كلمة المسلمين في سياق الحديث عن حقائق الإيمان، بل جعلها الأصل الجالب للوحدة والاتحاد، وبهذا الصدد ركّز على مضامين الإسلامي، فتجلت في كتاباته العقيدة والعبادة والأخلاق والتعمير و...

يتجلى الحكم السابق في خوضه الدقيق في مسائل الدين المركزية والمعبّر عنها في رسائله بمقاصد القرآن الكريم، ويمكن بيان في ذلك في النقاط الآتية:

1/2/2 التوحيد ومسائله:

أول أبواب القرآن الكريم وأعلا مقاصدها حقائق التوحيد، والتعبير عنها في فكر النورسي بهذا الاسم، تهدف إلى الجمع في عرضها بين قناعة العقل

(157) أنظر المثنوي العربي 478،410،395،314،192،179،70،62،58،56، صيقل الإسلام 15،...

(158) أنظر الكلمات 12، 13، 14، 19، 39، 43،67، 134،157، 158،167، 168، 187،202، اللمعات 291،338، الشعاعات 26،171، 193،220،242، 246، 273، إشارات الإعجاز 156،149،148،147،31،30،...

(159) يعتبر البعد الوظيفي السمة العامة للكتابة العقدية والصوفية والفقهية، بل هي من الخصائص المركزية في الكتابة عن الحقائق الإيمانية في رسائل النور .

وخشوع الوجدان وترجمة ذلك في سلوك تعميري، قال النورسي:" التوحيد الحقيقي وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود، بوحدانيته، وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا ند له في ملكه، إيمانا يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب، لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه، على كل شيء فينفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه". (160)

و يؤكد المعنى ذاته في كثير من كتبه، منها قوله: "لا تحسبن براهين التوحيد في (الباب الأول) يغني بعضها عن بعض، مطلقا، إذ شاهدت الاحتياج إلى كل واحد في مقام مخصوص".(161)

تلاحظ أنه لا يعرض الحقيقة التوحيدية وفق عرض علماء الكلام وإن كانت من مباحثه، بل يعرضها وفق المسلك الذي حددناه في بيان مصطلح الإثبات، إذ يجمع في رحاب واحد العرض العقدي بأبعاده الوظيفية التربوية والتعميرية الروحية، اقرأ معنا قوله في توضيح الحقيقة الإيمانية الجليلة المبيّنة في ثلاثة مقامات:

"**المقام الأول:** نبين ثلاث ثمرات من الثمرات الوفيرة، لتلك الحقيقة التوحيدية التي لها ثمرات كلية في غاية اللطف واللذة والأهمية والنور، نبينها باختصار شديد، مع الإشارة إلى أذواقي ومشاعري التي ساقتني إلى تناول تلك الثمرات.

المقام الثاني: نُوضّح مقتضيات ثلاثة لهذه الحقيقة السامية، والأسباب الموجبة لها، فهي مقتضيات ثلاثة إلا أنها بقوة ثلاثة آلاف مقتضى وسبب.

---

(160) الكلمات 326

(161) المثنوي العربي 34

المقام الثالث: يذكر ثلاث علامات لتلك الحقيقة التوحيدية الباهرة، فهي علامات ثلاثة إلا أنها بقوة ثلاثمائة علامة وأمارة ودليل" .[162]

و هكذا تراه يجمع في سياق واحد بين مخاطبة العقل والقلب، والروح ويستثير أبعادها المعرفية في الأفاق والأنفس وأبعادها الوظيفية في المجتمع بجميع مكوناته.

2/2/2 التصوف ومسائله:

يعتبر النورسي بحق أعجوبة الزمان، يتجلى هذا في جمعه العجيب بين الحقائق الإيمانية، فتراه يضم في رحاب واحد وتحت سلطة القرآن ووصايته المباحث الكلامية إلى المباحث الصوفية التي تعد جزء لا يتجزّأ من حقائق الإيمان المستفادة من القرآن الكريم، وفي هذا السياق يذكر تحت عنوان " **التلويح التاسع"** تسع ثمرات من الثمار الوفيرة للطريقة وفوائدها، فيصرّح في الأولى بأن الثمرات التي هي معارف قلبية صوفية جزء من الحقائق الإيمانية، اقرأ معنا قوله في الثمرة الأولى: "هي ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بواسطة الطريقة الصحيحة المستقيمة، هذه الحقائق التي هي منابع خزائن أبدية وسعادة دائمة وكنوزها ومفاتيحها".[163]

ولعلّه رحمه الله تعالى اقتبس إدراج القضايا التربوية في الحقائق الإيمانية من الإمام أحمد الفاروقي السرهندي القائل: "إن أهم نتيجة للطرق الصوفية كافة هي انكشاف الحقائق الإيمانية وانجلاؤها..".[164]

---

(162) الشعاعات 7(أنظر تفاصيل كثيرة في المسألة المرجع نفسه 7-42)

(163) المكتوبات 591

(164) الشعاعات 211 ، وأنظر الملاحق 277

وهكذا تصبح التربية الروحية المعبّر عنها بالتصوف جزءاً مهما من الحقائق الإيمانية التي يريد النورسي التمكين لها في المجتمع الإسلامي المعاصر.

3/2/2 العبادة من حقائق الإيمان :

يعمل النورسي في سياق التأسيس لحقائق الإيمان على بيان العبادات وآثارها في تزكية النفوس وصقل العقول وتنمية استعدادات الأرواح، وقد سعى إلى بيان ذلك من خلال الحديث عن العبادات كالصلاة والزكاة والصوم وسائر العبادات.. كما تمكّن من تجسيدها من خلال الحديث عن العبودية وآثارها في تصفية القلب وتهيئة العقل لقبول الحق والحقيقة.

و تجلية لهذا الأمر اخترنا نماذج من آثار العبادات في حياة المسلم من خلال أدبيات النورسي:

1/3/2/2 الصلاة :

إن للصلاة آثارا عظيمة في توحيد صفوف المسلمين وتهيئتهم للقبول عن الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول النورسي: " إن النبيρ يوحّد بالعبادة قلوب الموحدين في صلاة العيد والجمعة والجماعة، ويجمع ألسنتهم جميعا على كلمة واحدة، حتى يقابل هذا الإنسان عظمة الخطاب الصادر من المعبود الحق سبحانه بأصوات قلوب وألسنة لا تحد وبدعواتها، متعاونا متساندا، بحيث يظهر الجميع عبودية واسعة جدا إزاء عظمة ألوهية المعبود الحق فكأن كرة الأرض برمّتها هي التي تنطق ذلك الذكر، وتدعو ذلك الدعاء، وتصلي لله بأقطارها وتتمثل بأرجائها الأمر النازل بالعزة والعظمة من فوق السماوات السبع **"وأقيموا الصلاة "**[165]

2/3/2/2 الصوم

---

(165) اللمعات 194

يعتبر الصوم وفق عرض النورسي من حقائق الإيمان المعتبرة من أوائل الأركان الخمسة للإسلام، ويعد من أعاظم الشعائر الإسلامية، ذكر في سياق الحديث عنه، جملة من الحكم تدل بنفسها على العرض المتكامل لحقائق الإيمان المعروفة بشرائع الإسلام، فتجده في السياق الواحد يذكر فوائدها الشخصية والاجتماعية و..

" فصيام رمضان المبارك لهو مفتاح شكر حقيقي خالص، وحمد عظيم عام لله سبحانه وتعالى، وذلك لأن أغلب الناس لا يدركون قيمة نعم كثيرة – غير مضطرين إليها في سائر الأوقات – لعدم تعرّضهم لقساوة الجوع الحق وأوضاره فلا يدرك درجة النعمة الكامنة في كسرة خبز يابس أولئك المتخمون بالشبع، وبخاصة إن كانوا أثرياء منعّمين، بينما يدركها المؤمن عند الإفطار أنها نعمة إلهية ثمينة، وتشهد ذلك قوته الذائقة، لذا ينال الصائمون شكرا معنويا لله تعالى منبعثا من إدراكهم قيمة تلك النعم العظيمة، أما امتناع الإنسان عن تناول الأطعمة نهارا فإنه يجعله يتوصل إلى أن يدرك بأنها نعمة حقا ".[166]

ويذكر في سياق بيان حكم الصوم حكمة واحدة متوجّهة إلى الحياة الاجتماعية، فيقول في تقرير هذه الحقيقة: "خلق الناس على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله سبحانه الأغنياء لمدّ يد المعاونة لإخوانهم الفقراء، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعورا كاملا حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساسا تاما بجوعهم، إلا من خلال الجوع المتولّد من الصوم، فلولا الصوم لما تمكن كثير من الأغنياء التابعين لأهوائهم أن يدركوا مدى ألم الجوع والفقر ومدى حاجة الفقراء إلى الرأفة والرحمة.. فلو لم يكن هناك اضطرار لإذاقة النفس

---

(166) المكتوبات 514

مرارة الجوع، لما قام أحد أصلا بإسداء الإحسان إلى الآخرين والذي يتطلبه التعاون المكلّف به برابطة الشفقة على بني الجنس، وحتى لو قام به لما أتقنه علـى الوجـه الأكمـل، ذلـك لأنـه لا يـشعر بتلـك الحالـة فـي نفـسه شـعورا حقيقيا". [167]

وهكذا دواليك في التعامل مع سائر الثمار المحصّلة من الصوم، فتراه يذكر أثره في تهذيب النفس الأمارة بالسوء، وتشجيع النفس على التطلّع إلـى مزيـد مـن الكسب المعنـوي والمـادي، فيكـون فرصـة لترويض اللـسان علـى الـصوم من الكذب والغيبـة والعبـارات النابيـة، ويرطـب ذلـك اللـسان بتلاوة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه والتسبيح بحمده.. وبعد عرض مجمل تلك الفوائد ينتهي إلـى القول بـأن: صـيام رمـضان المبـارك ينـزل ضـربة قاضـية مباشرة على الناحية الفرعونية للنفس، فيكسر شـوكتها مظهـرا لهـا عجزهـا، وضـعفها، وفقرهـا، ويعرّفها عبوديتها". [168]

ومما يؤكد المسحة الجديدة لعرض حقائق الإيمـان وفق دلالات مـصطلح الإثبات، أنّه ذكر الصوم ومتعلقاته التربوية الشخصية والاجتماعية فـي ثنايـا تفسير قولـه تعـالى: " **شـهر رمـضان الـذي أنـزل فيـه القـرآن هـدى للنـاس وبيّنـات من الهدى والفرقان".**(البقرة185)[169]

3/3/2/2 الزكاة:

يذكر في سياق حديثه عن الزكاة كحقيقة من حقائق الإسلام، أنّ لو اعتمد المـسلمون الزكـاة فـي حيـاتهم لـساهمت فـي التعـايش الـسلمي بـين الأغنيـاء والفقراء من جهـة تأديـة كل الأغنيـاء حق الفقراء للفقراء عن طيـب خـاطر

(167) المكتوبات 515

(168) المكتوبات 521،

(169) أنظر تفاصيل الصوم في المصدر السابق 513-521

طاعة لله تعالى، وفي ذلك أقصر طرق السلم والسلام الاجتماعي، و يذهب النورسي إلى القول بأنه لو " صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل حقيقة الإسلام، دستور المدنية وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواء ناجعا وترياقا شافيا للتباين الفظيع في الحياة المعاشة، الذي هو جحر الحيات والسم الزعاف والبلاء المدمّر؟ بلى سيكون الدواء الناجع الساري المفعول أبدا.[170]

إن الفهم السابق يخرج الزكاة من دائرة الطرح الفقهي المستقل عن القرآن على الأقل من حيث الطرح، إلى رحاب طرح أوسع يجعل من القرآن لحمته وسداه، بحيث يكون القرآن الكريم صلب المباحث الفقهية، ويتجلى ذلك بصياغة المباحث الفقهية بطريقة تمزج فيها مع أبعادها الوظيفية ونتائجها التربوية محفوفة بالآيات القرآنية من كل جانب، ولهذا قلنا آنفا أن حقائق الإيمان تشمل ضرورة وفق مسلك النورسي مباحث الفقه.(فقه الفروع)

4/3/2/2 العبادة والعبودية

يصوّر النورسي اندراج حقائق الشريعة الإسلامية في سلك حقائق الإيمان بعرضها مفتتحة بآية قرآنية كريمة، و يؤكد هذا المسعى مسلكه في تبني مصطلح الإثبات، ومن هذا القبيل حديثه في الكلمة الخامسة عن قوله تعالى: **"إياك نعبد وإياك نستعين"**، وفي ذلك يستفتح الكلام بقوله: قبل الإشارة إلى ما فيها من حجة ورد إلى القلب بيان سياحة خيالية ذات حقيقة بيانا موجزا بناء على إيضاح "المكتوب التاسع والعشرين"[171] وأنا أقرأ

---

(170) صيقل الإسلام 56

(171) المكتوبات 500-593

سورة الفاتحة في الصلاة ورد إلى قلبي سؤال، ليلهمني معجزة من معجزات "ن" التي في " **نعبد** ، **ونستعين** "

والسؤال هو: لِمَ قال "**نعبد، نستعين**" بنون المتكلم مع الغير، ولم يقل أعبد.. أستعين"؟

ينتقل بعدها إلى بيان السر وهذا وفق مسلك مصطلح الإثبات فيقول: "وعلى حين غرة أمام خيالي ميدان سياحة واسعة من باب تلك الـ "**ن**"، فعلمت بدرجة الشهود السر العظيم في صلاة الجماعة، وشاهدت منافعها الجليلة وعلمت يقينا أن هذا الحرف الواحد معجزة بذاتها، وذلك:

عندما كنت أصلي في ذلك الوقت في جامع" بايزيد" وأثناء قولي: "**إياك نعبد وإياك نستعين**" رأيت أن جماعة ذلك الجامع يؤيدون دعواي هذه بقولهم مثل ما أقول، ويشاركونني مشاركة تامة في دعواي هذه وفي دعائي الذي في " **اهدنا** " مصدّقين إياي.. في هذا الوقت بالذات رفع ستار من أمام خيالي فرأيت كأن مساجد استنبول كلها قد تحوّلت إلى مسجد "بايزيد" كبير و جميع المصلين فيها يقولون مثلي: "**إياك نعبد وإياك نستعين**" مصدقين دعواي ومؤمّنين لدعائي، ومن خلال اتخاذهم صورة شفعاء لي، رفع ستار آخر أمام خيالي، فرأيت أن العالم الإسلامي قد اتخذ صورة مسجد عظيم جدا وأخذت مكة المكرمة والكعبة المشرفة بمثابة محراب ذلك المسجد العظيم.." وينتهي بعد هذا العرض الشيق إلى ثمرة تلك العبادات - يؤكد القراءة في إطار مصطلح الإثبات - من خلال المشاهدات العيانية، حيث يقول: نعم كما أننا نشاهد بأبصارنا استجابة دعاء كل نواة وكل بذرة تسأل خالقها بلسان الاستعداد لتصبح شجرة وسنبلة، كذلك نشاهد إرسال الأرزاق إلى جميع الحيوانات بما تقصر أيديها عنها، وإعطائها ما يلزم حياتها،

واستجابة مطالبها التي هي خارجة عن طوقها، والتي تسألها من واحد أحد بلسان الحاجة الفطرية. (172)

وورد عنه في السياق نفسه تأكيد استعمال لفظ الإثبات وفق الدلالة المبيّنة آنفا، حيث يقول: " إن " **اهدنا الصراط المستقيم "** دعاء جامع وعبودية واسعة، كما أنها إشارة إلى حجة في التوحيد وإلى درس في الحكمة وتعليم الأخلاق". (173)

نخلص مما سبق أن حقائق الإيمان في مؤلفات النورسي، تتسم بمجموعات من الميزات المتضافرة في التعبير عن تلك الحقائق.

4/2/2 مميزات الحقائق الإيمانية

1/ مباحثها مستنبطة من القرآن الكريم في سياق متكامل، يتحاشى فهم الحقائق على شكل مجموعات مستقلة، قد يفضي التمادي معها إلى فقدان الصورة الكلية للإسلام.

2/ يطرح مجموعات الحقائق الإيمانية في أسلوب تربوي يتوخى التنبيه إلى الغايات الوظيفية المنتظرة من تلك الحقائق، لهذا تلاحظ المزج الكبير بين الأثر التربوي والمعرفة بحقائق الإيمان من خلال عرضهما في رحاب واحد وفي الوقت نفسه تقريبا.

3/ الحقائق الإيمانية في فكر النورسي ووفق ما استفاده من القرآن الكريم أكبر من أن تحصر في مباحث التوحيد أو مباحث التصوف أو الأحكام الشرعية بمفهومها الفقهي، لأن عرض الحقائق الإيمانية في عصره، يفرض إزالة الحواجز بين مختلف التخصصات بهدف عرضها في

---

(172) الشعاعات 648

(173) الشعاعات 650

صورة متكاملة، لعلها تحدث التغيير على مستوى الأنفس بغرض إحداث التغيير على وفق مراد الله تعالى في التعامل مع عالم الأشياء.

4/تخاطب هذه الحقائق في فكر النورسي مجموع قوى الإنسان الداخلية في نفس الوقت، فتخاطب استعداداته النفسية والفطرية والعقلية بغرض تثمينها واستثمارها فيما جعلت لها، فتجد في الخطاب النورسي ما يقنع العقل ويرضي الوجدان ويحرر الروح لتسمو بصاحبها في عالم الروحيات الطاهر، وهي وإن لم تحقق ذلك المبتغى الأسمى ساهمت على الأقل في تحرير الإنسان من القوى التي تشده إلى الأرض.

5/ يمتزج في مصطلح الإثبات عنصرا الأصالة والمعاصرة، تظهر الأصالة في استنباط مسائلها من منبع قدرة المسلمين وقوة بقائهم القرآن الكريم، ومعاصر من حيث أخذه المعطى الثقافي والسياسي بعين الاعتبار حين صياغة الحقائق الإيمانية وتبليغها، ويبرر هذا الاختيار مجموعة من المبررات وقفنا عند كثير منها فيما سلف، و يحسن بنا في هذا المقام الوقوف عند بعضها:

* العصر ليس عصر علم الكلام، وإن كنا ومازلنا في حاجة إلى كثير من مباحثه.

* هذا الزمان ليس زمان الطرق الصوفية، وإن لم نستطع ولن نستطيع التنصل من الحاجة إلى محتواها التربوي.

* ليس باستطاعة مؤلفات علم الكلام والتصوف أن تحقق المطلوب في أقصر مدة ممكنة، بل قد يضيّع كثير منها وقت القارئ في مسائل لا طائل منها، لهذا وضع النورسي البديل مجسدا في رسائل النور التي تمثّل تفسيرا للقرآن الكريم، وسيحقق بهذا العمل مجموعة من المقاصد.

- تجسيد وحدة المسلمين: تمثّل رسائل النور أقصر طرق تجسيد وحدة المسلمين، إذ يجتمع على مائدتها المبتدع والمتمذهب والمتكلم والصوفي والفيلسوف و...

- أهم مصدر في تناول حقائق الإيمان بأقصر طريق.

- إيجاد التفاعل المفقود في حياة المسلم، بسبب القطيعة التي فرضها المبتدعة بين القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، حتى ليخال لقارئ الفقه مثلا أنه بصدد موضوع مستقل عن القرآن الكريم.. وهكذا دواليك في سائر العلوم الإسلامية.

- ربط حقائق الإيمان بالقرآن الكريم مما يسمح بإرجاع هيبة القرآن في المجتمع.

3- منهج الإثبات

تتداخل في منهج عرض الحقائق الإيمان عند النورسي مسالك عدة، يرى فيها مركزية الخطاب القرآني الذي يبدو أنه مقروء مرة وفق مناهج المتكلمين ووفق أذواق المتصوفة حينا آخر، ووفق مسالك الفقهاء وأهل الأحكام الشرعية حينا ثالثا، ورغم المزاوجة بين تلك الأنواع من القراءة في رحاب واحد، فقد وفّق للتحرر من تغليب تخصص على حساب تخصص آخر، إذ كان بحق موفقا إلى حد كبير في وخز الضمير الإنساني بالتذكير الاستدلالي مرة وبالاستدلال التذكيري أخرى في سياق يجمع في الصيغة نفسها العقيدة والتربية والفقه والتعمير..

جعل النورسي من التذكير عمدة الاستدلال، يستشف ذلك من أساليب الإثبات، فيبدأ بعض الجمل بقوله: **"أيها الإنسان"**[174] وأخرى **بضرب الأمثال**[175] بوصفه عاملا محركا للنفس البشرية، لهذا يمكن أن نوجز منهجه في التنبيه بما يأتي:

أ/ جعل القرآن الكريم هدفا و وسيلة للتربية، فيستهل عرض حقائق الإيمان بآية قرآنية يتجوّل في فهمها بقلبه وعقله وروحه السامية، يسعى من خلال تلك الجولات أن يكون مقنعا لنفسه أولا ناقلا لتجربته للآخرين ثانيا، ومبلغا ومربيا في المقام الثالث.

ب/ جعل التذكير أولى الأوليات، فهو حري باسم المنهج التذكيري الاستدلالي من القرآن الكريم، إذ منتهى مطالب التبليغ عنده التعليم العملي لحقائق الإيمان.

ج/ جعل الأسلوب التربوي الصوفي مساوقا للخطاب المعرفي في جانبيه الديني والعلمي، وإن كان الغالب شيوع المسحة الصوفية في مجموع مؤلفاته، بوصفها مقصدا أساسيا من مقاصد الالتزام بأحكام الإسلام، ومحرّكا مهما وفعّالا لسائر المباحث الأخرى، ومتحرّكا في مجالها.

د/ الاستعانة بالاستدلالات الكلامية بوصفها عاملا إضافيا في تحريك العقل بعد تحريره بالعاملين الأولين من المكبلات النفسية التي تكون غالبا سببا في العناد وترك الاحتجاج.

---

(174) أنظر الكلمات 354،346،292،288،285،281،280،166، اللمعات 129،84، 135،132، الشعاعات 524،250،42، إشارات الإعجاز 161، المثنوي العربي 68، 98، 264، صيقل الإسلام 495

(175) أنظر الكلمات59،58،55،50،39،11، اللمعات69،53،36،30، 84، 111، 121، 135، الشعاعات163،136،77،44،23،15، إشارات الإعجاز 34

الفصل الرابع

اعتمد النورسي على المصادر الإسلامية المعروفة ورتبها في وفق نسق المتقدمين، القرآن فالسنة ثم الخبرة العلمية الممثلة في علم الكلام حينا وفي الخبرة الصوفية حينا آخر...و يتجلى استثماره لتلك المصادر فيما سنعرضه في الفقرات اللاحقة.

1/ القرآن الكريم

يظهر استثماره لما ورد فيه من وجهين:

أ/ جعل القرآن الكريم ميدانا للتحرك العقلي بوصفه ضابطا لمناحي التفكير حينا ومحددا لمواضيع التفكير الإنساني حينا آخر.

ورد عنه في النافذة الحادية والثلاثين التي استهلها بقوله تعالى**: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)**(التين:4)**...** ثم أتبعها قائلا نحن هنا أمام نافذة الإنسان نتطلع من خلال نفس الإنسان إلى نور التوحيد ونحن إذ نحيل تفاصيل ذلك إلى الكتب والأسفار المدونة**...**[176]

وورد عنه في النافذة الثالثة والثلاثين البدء بقوله تعالى: (**الحمد الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)** (الكهف:1)**...** إلى أن يقول تأمل وأعلم أن ما ذكر في جميع النوافذ السابقة ما هو إلا بضع قطرات من بحر" **القرآن الكريم"**، فإذا كان الأمر هكذا فانك تستطيع الآن قياس الإمدادات العظيمة لأنوار التوحيد التي تفيض من بحر الحياة في **القرآن الكريم**...[177]

وقد ركز رحمه الله تعالى على فهم القرآن الكريم من منطلق دلالات الآفاق والأنفس، و بهذا الصدد يقول في مقام تفسير قوله تعالى **(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)**(يونس 62): "السير الأنفسي يبدأ

---

(176) الكلمات 828

(177) الكلمات 832

من النفس، ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج، ويحدق في القلب مخترقا أنانيته، ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلا إلى الحقيقة.. ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعا، لأن الحقيقة التي شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية تسير في هذه السبيل."

ويصوّر في السياق نفسه المنهج الثاني المعروف في أدبياته بالآفاقي بقوله: " أما النهج الثاني فيبدأ من الآفاق، ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى، وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد، فيصل إلى مقصوده، ومنتهى أمله."[178]

يتبين مما سلف أن العلامة النورسي كان ملتزما بما نبّه إليه القرآن الكريم من ميادين البحث (**النظر في الآفاق والأنفس**) معملا في كل ذلك مجموعة متنوعة من المسالك التحليلية...

ب/ استفاد النورسي من القوالب الاستدلالية المبثوثة في القرآن الكريم، و ركّز فيها على مسلكين، ولبيان ذلك يذكر في ثنايا تمييز منهج القرآن الكريم عن مناهج المتكلمين والصوفية، فيقول: أولاها: طريق القرآن الكريم الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، و بجزالته الساطعة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق إلى الله، وأقربه إلى الله، واشمله لبني الإنسان.

ويشترط لبلوغ عرش هذا الأصل أربع مسائل: الإلهام، والتعليم، والتزكية، والتدبر.

---

(178) المكتوبات 573-575

وذكر في السياق نفسه أن للقرآن الكريم في معرفة الله سبحانه وتعالى وإثبات وحدانيته طريقين:

الأول : دليل العناية والغاية

الثاني: دليل الاختراع[179]

كما يرى تنبيهه إلى ما حواه القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)** (يس:79) حيث قال: "إنما هي نماذج للقياس التمثيلي،.." وقوله تعالى **(وما ربك بظلام للعبيد)**(فصلت:46)**...** دليل العدالة في الكون[180].

وقال أيضا: "لقد دعا القرآن الكريم... مرارا إلى التفكر ولفت الأنظار إلى آلاف من البراهين العقلية**..."**[181].

ج/ استعمل الحجج القرآنية بوصفها وسيلة فعالة في حماية الحياة الفكرية والنفسية والاجتماعية [182]، ومنبها أساسيا للأبعاد الوظيفية للدين نفسه.

قال النورسي: **"** فيا أهل الإيمان، احتموا بحماية القرآن الكريم الذي أنقذكم من العدم المطلق ومن جحيم الدنيا والآخرة بكل يقين وثقة واطمئنان ... وأنقذوا أنفسكم من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة" [183]

(179) أنظر تفاصيل عرضهما في كتاب المثنوي العربي 428-429

(180) الكلمات 618

(181) الكلمات 638،618

(182) أنظر إشارات الإعجاز 61، 273،220،215،214،143،65،المثنوي العربي11، 55، 123، 124، 170، 431،422،374،339،280،203،192،175،...

(183) أنظر اللمعات 434،123،79، إشارات الإعجاز 211، المثنوي العربي 431، صيقل الإسلام 102، 122، 509، 519

د/ اعتمد القرآن بوصفه مصدرا معرفيا يقينيا، وفي ذلك يقول: "نعم... إن أخبار القرآن نفسه للحشر الجسماني هو تنوير كاف وكشف بيّن له، فهو المفتاح للحكمة المودعة في الكائنات وللسر المغلق للعالم..."[184]

هـ/ اعتمد في تفسير القرآن بالدرجة الأولى على ما في الكتاب الكريم نفسه ثم تفسيره بما ورد في صحيح السنة، لأن " القرآن يفسّر بعضه بعضا، ومعناه فيه، وصَدَفُه درٌّ مثلُه لا قشر، وحتى إن القصد من إظهار هذه المطابقة هو تزكية ذلك الشاهد الصادق، فهو عبث أيضا، إذ القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تزكية العقل والنقل اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يزكهما فشهادتهما لا تُسمع ... فابحث عن معاني القرآن في أصدافه، لا في جيبك الحاوي على أغلاط، فإنك لن تجد شيئا.." وقال أيضا في السياق نفسه: " إن الذي يفسر القرآن ليس إلا القرآن والحديث النبوي الصحيح، وإلا فلا يفسَّر القرآن بالإنجيل والتوراة المنسوخة أحكامهما والمحرفة قصصهما"[185]

2/ السنة المطهرة

يستفاد من بعض النصوص المنقولة عنه اهتمامه بأقوال النبيρ وأفعاله وأحواله وفي ذلك يقول: "وأدخلوا بالتسليم الكامل في الظلال الوارفة للسنة المحمدية بكل استسلام وإعجاب ".[186]

وقال أيضا: "إن كلام النبي الصادق المصدق محمد الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام قد فتح أبواب السعادة الأبدية، وان أحاديثه الشريفة نوافذ مفتوحة على تلك السعادة الخالدة تطل عليها".[187]

(184) الكلمات 618
(185) أنظر صيقل الإسلام 35،36.
(186) اللمعات 123

ويتجلى اهتمامه بالسنة النبوية من زوايا مختلفة، تدل في إطارها الشمولي على منزلة السنة النبوية في المعرفة والتربية في فكر النورسي.

أولها: اعتبار النبي ρ الآية الكبرى للقرآن العظيم وهو خاتم ديوان النبوة ρ ، ثم يتبعه قائلا: " فعلينا أن نعرف هذا البرهان الثاني الناطق، وهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلينρ وننصت إليه خاشعين، اعلم أن ذلك البرهان الناطق له شخصية معنوية عظيمة، فان قلت: ماهو؟ وماماهيته؟

قيل لك: هو الذي لعظمته المعنوية صار سطحُ الارض مسجدَه، ومكةُ محرابَه، والمدينةُ منبرَه.. وهو امامُ جميع المؤمنين يأتمون به صاقّين خلفَهُ.. وخطيبُ جميع البشر يُبين لهم دساتير سعاداتهم.. ورئيسُ جميع الانبياء، يزكّيهم ويصدّقهم بجامعية دينه لأساسات اديانهم.."[188] وهكذا تتوالى الرشحات الواحدة بعد الأخرى، ليختمها ببيان ساحر آسر يخطف الألباب ويربط القلوب بصاحب الرسالةρ ، فيقول: (إن دلائل النبوة الأحمدية لا تعدّ ولا تحدّ، ولقد صنّف في بيانها أعاظم المحققين)[(189)]

ثانيتها: الاهتمام به بوصفه الأنموذج الأكمل، لينتقل بعدها إلى الاهتمام به بوصفه الأنموذج الواقعي للتحرك والتغيير الإسلاميين.

أ/ أحاديثه مجلبة للسعادة ودفع للشقاوة (إن كلام النبيρ ...وأحاديثه الشريفة نوافذ مفتوحة على تلك السعادة الخالدة)[(59)]

وقال أيضا (إن الحديث النبوي معدن الحياة وملهم الحقائق)[(190)]

---

(187) الكلمات 617

(188) المثنوي العربي النوري 55

(189) المكتوبات 266

(190) المكتوبات 606

وورد عنه في سياق الحديث عن منزلة النبيρ بيان أهمية الحديث النبوي المترجم في الأنموذج الأكمل ρ فقال: إن النبيρ " هو رائد ومصدر ثلاثمائة مليون من البشر ومرجعهم في كل عصر، ومعلم لعقولهم ومرشد لها، ومنوّر لقلوبهم ومهذّب لها ومربّ لنفوسهم ومزَكٍ لها، ومدار لانبساط أرواحهم ومعدن لسموها.. لم يأت ولن يأتي له مثيل.[191]

ب/ الاستشهاد بأحاديثه بوصفها جالبة للسعادة، لهذا قال بوجوب التسليم بها ولها، بمعنى الدخول فيها بالالتزام وأدخلوا في التسليم الكامل... "للسنة المحمدية..."[192]، **وقال** أيضا: "إن محبة الله تستلزم اتباع السنة الطاهرة لمحمد ρ، لأن حب الله هو العمل بمرضياته، ومرضاته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمدρ، والتشبه بذاته المباركة في الحركات و **الأفعال"**[193]

ج/الأنموذج الواقعي المتحرك للتغيير الفكري والاجتماعي، قال النورسي: "إن الرسول ρ قد أرسل إلى البشرية كافة قدوة وإماما ورائدا، كي نتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها، وتتعود على الانقياد لقوانين الإرادة الإلهية الحكيمة، وتنسجم مع دساتيرها الربانية ".[194]

وورد في مقام التشبه بذات النبيρ المباركة في الحركات والأفعال من وجهين:

---

(191) الشعاعات 168
(192) اللمعات 123
(193) اللمعات 92
(194) المصدر السابق 125

أولهما: جهة حب الله سبحانه وتعالى وإطاعة أوامره، والحركة ضمن دائرة مرضاته، هذه الجهة تقتضي ذلك الاتباع، حيث أن أكمل إمام وأمثل قدوة في هذا الأمر هو محمدρ.

وثانيتهما: جهة " ذاته المباركة" ρ التي هي أسمى وسيلة للإحسان الإلهي غير المحدود للبشرية، فهي أهل لمحبة غير محدودة و لأجل الله وفي سبيله[195]،لأن صاحبها جمع فيه الله سبحانه وتعالى أصول الأدب وقواعده، لهذا فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافيها فقد هجر منابع الأدب وأصوله، فيحرم نفسه من خير عظيم، ويظل محروما من لطف الرب الكريم، ويقع في سوء أدب وبيل. [196]

وفي سياق حديثه الآنف الذكر لا يعتبر سيرة المصطفىρ سيرة خارقة للعادة دائماً، لأنها لو كانت كذلك " ما تسنى أن يكون إماما مطلقا ولا قدوة كاملة حسنة للبشرية قاطبة"[197].

من منطلق ما سبق تقريره اعتبر النورسي المعجزات ما كانت إلا تصديقا لدعواه، بشكل متفرق عند الحاجة لكسر عناد المنكرين، أما في سائر الأوقات فقد كان ρ مراعيا بكل دقة لسنة الله الجارية ومطيعا طاعة كاملة لنواميسه المؤسسة على الحكمة الربانية والمشيئة_الإلهية، كطاعته ومراعاته للأوامر الإلهية لذا كان... يلبس الدرع في الحروب ويأمر الجنود بالترس والموانع ضد الأعداء، ويجرح ويتأذى ويتحمل المشقات... كل ذلك ليبيّن درجة طاعته الكاملة ومراعاته للقوانين الإلهية الحكيمة، وانقياده التام لشريعة الفطرة الكونية ونواميسها... انه الأنموذج الرسالي الواقعي

---

(195) اللمعات 93
(196) اللمعات 87
(197) اللمعات 125

[198] الممكن التكرار مما يجعل وجوب تمثله والنسج على صورته أمرا شرعيا متاحا من الناحية الواقعية.

قال النورسي: "والحال أن سيدنا الرسول الأعظمρ وهو الأستاذ الأعظم مقتدى الكل والرائد الأعلى قد اتخذ الأمر الإلهي (**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) دليلا ومرشدا له، فكلما أعرض الناس عن الإصغاء وتولوا عنه ازداد هو جهادا وسعيا في سبيل التبليغ" [199]

يعتبر موقفه الآنف الذكر رأيا وسطا بين فريقين:

أحدهما متزّيد في المعجزات، جعل حياة النبي ρ أشبه بالأنموذج غير المتوقع التحقيق أو التكرر أو التشبّه به على الأقل، يؤيّد هذا التحليل ما أثبتوه له من علاقة نصره وانتصاراته الفكرية والتربوية بل وحتى العسكرية بالعوامل الماورائية، مما جعله في أعين الخصوم والمخالفين محال التحقق ومن ثم استحالة مطالبة أنفسنا بتمثّل سيرته، أما مطالبة غيرنا فهو بعيد المنال.[200]

أما الفريق الثاني فقد انتقص منها بحيث لم يبق من المعجزات لنبي الله محمد ρ إلا القرآن الكريم. [201]
انطلاقا مما سبق تقريره فإننا يمكن أن **نعتبر موقف النورسي بعيدا عن الشطط** الذي اتّسمت به الطريقتان المشار إليهما.

---

(198) أنظر المصدر السابق نفسه

(199) اللمعات 199

(200) شيخ الإسلام مصطفى صبري (ت 1954م) في كتابه الموسوعي(4 مجلدات ضخمة) الموسوم بـ " موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، كما دافع عن الفكرة نفسها في كتابه القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون (يعتبر ملخصا عن الأول)، محمد الغزالي(ت 1997م) في كتابه فقه السيرة.

(201) أنظر في مناقشة المنتقصين ما كتبه صبري في كتابه موقف العقل والعلم من رب العلمين وعباده المرسلين 4/ 172-173، 174-182، 414-431.
وأنظر رسالتنا منهج الاستدلال على وجود الله عند شيخ الإسلام مصطفى صبري 36-37.

1/2 الحديث النبوي كمصدر من مصادر المعرفة:

نبّه في سياق حديثه عن الحديث النبوي كمصدر من مصادر المعرفة الدينية والكونية إلى منزلة الحديث النبوي، فاعتبره معدن الحياة وملهم الحقائق، وبالأسلوب ذاته يوضّح أهمية السنة المطهّرة في التأسيس المعرفي والتربوي، و يبدو هذا الموقف فيما يأتي:

1/ التركيز على الحديث الصحيح كمصدر من مصادر المعرفة، وبهذا الصدد يحذّر من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة.

أ/ ورد عنه القول برفض التأسيس للمعارف الشرعية أو التاريخية بالإسرائيليات، وفي ذلك نقل قوله: ".. ولكن المفتونين بالظاهر الذين لم يجدوا - بسوء اختيارهم - مصدرا غيرها "الإسرائيليات"، ولم يتحرّوا عنه، فسّروا قسما من الآيات والأحاديث بتطبيق الإسرائيليات عليهما، والحال أن الذي يفسر القرآن ليس إلا القرآن الكريم والحديث الصحيح".[202]

ب/ التمييز بين مراتب السنة المطهّرة:

قسّم السنة وفق المسلك المشهور على مراتب، واجبات، ونوافل .

الواجب: وهو القسم الذي لا يمكن تركه، وهو مبيّن في الشريعة الغراء مفصلا، وهو من المحكمات أي لا يمكن بأية جهة كانت أن تتبدل.

النوافل: ينقسم بدوره إلى قسمين أولهما يتعلّق بالعبادات، وهي مبينة في كتب الشريعة، وتغيير هذه السنن بدعة.

أما الثاني فيعرف بالآداب وهي المذكورة في كتب السير الشريفة، ومخالفتها لا تسمى بدعة، إلا أنها من نوع مخالفة الآداب النبوية، وعدم الاستفاضة من نورها، وعدم التأدب بالأدب الحقيقي، فهذا القسم هو :اتباع

(202) صيقل الإسلام 35

أفعال الرسول ρ المعلومة بالتواتر في العرف والعادات والمعاملات الفطرية.[203]

ج/ غلق باب الاحتجاج بالحديث الموضوع سواء في الأحكام أو في فضائل الأعمال أو في الترغيب والترهيب ففي الصحيح ما يغني عن ذلك، قال النورسي: " إن إسناد قسم من الأحاديث الموضوعة إلى " ابن عباس" τ وأمثاله من الصحابة الكرام، لأجل الترغيب والترهيب، إثارة للعوام وحضا لهم، إنما هو جهل عظيم ..إن الحق مستغن عن هذا، والحقيقة غنية عنه، فنورهما كافيان لإنارة القلوب، تسعنا الأحاديث الصحيحة المفسّرة الحقيقية للقرآن الكريم ونثق بها.[204]

د/ ورد عنه في مقام الحديث عن منزلة السنة التحذير من مدرجات الرواة وشروحهم وثقافاتهم السابقة، و **بهذا الصدد ورد التحذير مما يأتي:**

*** التحذير من قبول الإسرائيليات:**

يحذّر من قبول مرويات الذين أسلموا من أهل الكتاب من يهود ونصارى، والتي تعرف في ثقافتنا الإسلامية بالإسرائيليات التي تسرّبت إلى رحاب السنة، وفي ذلك يقول: "لقد أسلم كثير من علماء بني إسرائيل والنصارى في عهد الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، وحملوا معهم إلى الإسلام معلوماتهم السابقة، فأخذ وهما غير قليل من تلك المعلومات السابقة المخالفة لواقع الحال كأنها من العلوم الإسلامية".[205]

*** الحذر من قبول الإدراج :**

---

(203) اللمعات 86
(204) صيقل الإسلام 39
(205) الكلمات 388

يحذّر النورسي من قبول أقوال أو استنباطات التي أدرجها (ألحقها) الرواة في متون الأحاديث النبوية، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "لقد أدرج شيء من أقوال الرواة، أو المعاني التي استنبطوها ضمن متن الحديث، فأخذت على علاّتها، ولما كان الإنسان لا يسلم من خطأ، ظهر شيء من تلك الأقوال والاستنباطات مخالفا للواقع، مما سبب ضعف الحديث".(206)

*** التمييّز بين ملهمات الأولياء والحديث النبوي**:

يعمل النورسي على تمييز الحديث النبوي عن غيره من أقوال الرجال، وبهذا الصدد يطلب التفريق الكامل بين ملهمات الأولياء والشيوخ والحديث النبوي نظرا لما طرأ عليهما من تداخل كبير، وقد تمكّن ذلك الداء من الأمة بسبب هيمنة التصوّف المرتبط بالأشخاص أكثر من تعلّقه بالمبادئ والأسس التي جاء بها وقام التصوّف عليها في أصل وجوده.

قال بديع الزمان: " أعتبر بعضُ المعاني الملهمة للأولياء وأهل الكشف من المحدّثين على أنها أحاديث، بناء على أنّ في الأمة محدّثين، أي ملهمين، ومن المعلوم أن إلهام الأولياء قد يكون خاطئا لبعض العوارض، فيمكن أن يظهر ما يخالف الحقيقة في أمثال هذا النوع من الروايات).(207)

*** الحذر من الروايات المتلبّسة بالحديث النبوي:**

يعد أصدق نماذجه بعض الحكايات التي اشتهرت بين الناس، وتجري تلك الحكايات بينهم مجرى الأمثال، والأمثال لا ينظر إلى معانيها الحقيقة، وإنما ينظر إلى الهدف الذي ساق إليه المثل، لهذا كان في بعض الأحاديث ذكر بعض ما تعارف عليه الناس من قصص وحكايات كناية وتمثيلا على سبيل التوجيه و الإرشاد.

---

(206) نفسه

(207) الكلمات 388

ويختم تحذيره بقوله:" فإن كان هناك نقص وقصور في المعنى الحقيقي في مثل هذه المسائل فهو يعود إلى أعراف الناس وعاداتهم ويرجع إلى ما تسامعوه وتعارفوا عليه من الحكايات".[208]

هـ/ تصحيح الحديث بعدم اعتراض أهل التخصص:

ورد عنه في مقام الرد على إدعاء المدعي العام حول حديث مستشهد به، وخاصة في قوله بأنه حديث موضوع، ورد عن الشيخ في بيان درجة ذلك الحديث أولا ثم الخلوص إلى تصحيح الحديث الذي لم يعترض عليه أهل الصنعة ثانيا.

قال النورسي:" الحديث صحيح ووارد في كتب الأحاديث وعلماء الحديث يقبلونه، ففي عهد المشروطية - أي قبل الحرية – تقدم اليابانيون والكنيسة الإنجليزية الإنكليكانية بأسئلة إلى علماء ذلك العهد، فتقدم علماء استنبول بهذه الأسئلة إلى بديع الزمان الذي أدرج تأويل الحديث ضمن الرسالة.. وإن قبول هؤلاء العلماء الأعلام بهذه الأجوبة وعدم اعتراضهم عليها يدل على صحة الحديث".[209]

و/ موقفه من الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول:

يرى الشيخ النورسي أن الأمة إذا تلقت الحديث بالقبول فمعنى ذلك أن لتلك الأحاديث حقائق موجّهة إلى العموم، يشهد لهذا المعنى قوله: "أن الرواية الموضوعة تعنى أنها ليست حديثا مسندا عن فلان وعن فلان، ولا يعني أن معناها خطأ، ولما كانت الأمة قد تلقتها بالقبول، ولاسيما أهل الحقيقة والكشف، وقسم من أهل الحديث وأهل الاجتهاد، بل انتظروا تحقيق

---

(208) الكلمات 388-389

(209) الشعاعات 616

معانيها، فلا بد أن لتلك الروايات حقائق متوجهة إلى العموم كما هي الأمثال المضروبة".[210]

ز/ التحذير من البدع:

ما دامت الشريعة الإسلامية قد كملت في قواعدها المبيّنة بدساتير السنة المطهّرة بدليل قوله تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم..**)(المائدة: 3)، فإن عدم استحسان تلك الدساتير المنقولة بالسنة وتعويضها بمحدثات الأمور، أو إيجاد البدع التي تشعر كأن تلك القواعد ناقصة ضلال ليس له مستقر إلا النار، ولهذا قال الرسولρ فيما أخرجه مسلم وغيره: (**كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**)[211].

ومن منطلق ما سبق تقريره قال : "إن واجب العلماء هو الصدع بالحق وعدم السكوت عنه عند انتشار البدع، وقد ورد الزجر عن السكوت عن الحق في الحديث النبوي" .[212]

ح/ تأويل المتشابه :

يتبنى بديع الزمان التأويل كوسيلة معرفية ضرورية لترجيح المعنى المحتمل، وما دام فتح باب التأويل من غير ضابط أضر على النص من التحريف لأنه طريق الباطل المتشبّه بالموضوعية، أضطر المتقدمون والمحدثون إلى وضع قواعد يقتصد بموجبها في التأويل، فيكون أشبه بالمفازة التي لا يلجأ إليها إلا إذا أوصدت الأبواب دون المعنى الحقيقي المتبادر من اللفظ، والنورسي لا يشذ عن هذه القاعدة، فلا يلجأ إلى التأويل إلا إذا كان المعنى المرجح ممكنا، أي أن المعنى المختار محتمل احتمالا قويا، لهذا لا يستبعد من المعاني إلا ما إمكانه واحتماله غير ممكن

(210) الشعاعات 476

(211) أنظر اللمعات 86

(212) الملاحق 19 ، وانظر 297،344، 242...

موضوعيا، و يتم ذلك بإثبات محاليته، أي لا يمكن أن نخلص إلا بطلان المعنى المختار إلا إذا ثبت أنه محال، من هذا المنطلق يرفض النورسي إنكار المعنى من غير مبرر، لمجرد كونه حجة من باب التأويل، لأن المعاني الراجحة بحجة التأويل شوهد معناها عيانا، وتحقق فعلا فرد من كلية الطبقة الإشارية لمعنى الحديث، لذا لا يعترض على ذلك المعنى قطعا، لأن الحديث قد أظهر بلمعة إعجاز غيبي ذلك المعنى وأشهد له هذا العصر [213].

2- الخبرة العلمية الإسلامية

نقصد بالخبرة العلمية الإسلامية مجموع المعارف التي أنتجتها العقلية الإسلامية من خلال تفاعلها مع النصوص كتابا وسنة، لهذا يندرج ضمنها كل العلوم التي ظهرت في البيئة الإسلامية خدمة لنصوص الوحي، فالتفاعل مع النصوص التي تضمنت العبادات والمعاملات (التجارية، والدستورية..) أنتجت لنا الفقه (فقه الفروع)، والتفاعل مع الجزء الذي تناول العقائد عرف بعلم العقائد وعلم التوحيد وعلم أصول الدين وعلم الكلام لدى بعضهم[214]، أما التفاعل مع النصوص الأخلاقية فأنتج لنا علم التصوف، من هذا المنطلق سنتناول الخبرة الإسلامية ممثلة في الفقه، وعلم الكلام، والتصوف.

أولا:الفقه الإسلامي:

---

(213) الشعاعات 477

(214) علم الكلام حسب تقديرنا أوسع من حيث موضوعه من العقيدة الإسلامية، إذ يشمل العقائد والاستدلال عليها من جانبي الإنشاء والهدم، لهذا فعلم الكلام متطوّر لتطور الاشكالات التي تطرأ عليه بسبب تلبّسها بالمعطى الثقافي والسياسي.

استفاد النورسي من الفقه الإسلامي في التأسيس لحقائق الإيمان المستفادة من القرآن الكريم، لهذا كانت قراءته للفقه الإسلامي وظيفية تتجاوب مع القرآن الكريم أكثر من تمثّلها للمنتج الفقهي، وقد عمل النورسي على بعث تلك القراءة الوظيفية من الزوايا الآتية:

أ/ يطلب النورسي من المسلمين التمييز بين الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية، لأن الثانية لا تمثّل إلا عشر الأحكام الفقهية، أما الأحكام الضرورية فإنها بنسبة التسعين بالمائة، وفي ذلك يقول: "إن أركان الدين وأحكامه الضرورية نابعة من القرآن، الكريم والسنة النبوية المفسرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه (عشرة من مائة)".[215]

من منطلق ما سبق تقريره، يقول: " فلو شبهنا المسائل الاجتهادية بالذهب لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس" ثم يتساءل: ترى هل يجوز أن تكون تسعون عمودا من الألماس تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس ؟".[216]

ب/ يجب أن يكون الفقه الإسلامي تابعا للقرآن الكريم وليس متبوعا، لأن الذي يسوق الناس إلى امتثال الأوامر الفقهية إنما هو بسبب ما يتحلى به مصدرها من قدسية تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، لهذا يقول النورسي: " ينبغي أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة – كالزجاج – لعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجابا دونه، أو بديلا عنه.. فالكتب الفقهية شبيهة بالملزوم، والقرآن الكريم هو الدال على تلك الأحكام الفقهية ومصدرها، فهو اللازم، والصفة الملازمة

---

(215) صيقل الإسلام 347

(216) نفسه

الذاتيـة للقـرآن الكـريم هـي القدسـية المحفّـزة للوجـدان، فـلأن نظـر العامـة ينحصر فـي الكتـب الفقهيـة فحسب، فـلا ينتقل ذهنهم إلـى القرآن إلا خيـالا، ونـادرا مـا يتـصورون قدسـيته – مـن خـلال نظـرهم المنحـصر – ومـن هنـا يعتاد الوجدان التسيب، ويتعود على الإهمال فينشأ الجمود ".[217]

ج/ العمـل علـى ربـط كتـب الفقـه بـالقرآن الكـريم تـدريجيا، " أي تـصبح تفسيرا لـه، ويمكن أن يتم باتباع طرق تربوية منهجية خاصـة حتـى تبلـغ تلـك الكتب إلى ما يشبه كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح، فعندئذ لا تقرأ كتب الفقه بقصد مـا يقولـه مؤلفوها، بل تقرأ لأجل فهم مـا يـأمر بـه القرآن الكريم، وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد.

د/ شد أنظـار جمهـور النـاس دومـا إلـى مـستوى أعلـى مـن الكتـب الفقهيـة المتداولة نظرا لما لحقها من مدرجات حالت دون الوصول إلى الأصل الذي اسـتمدت منـه أي وكأنهـا أصـبحت حجابـا مانعـا مـن العـودة إلـى الأصـول الإسـلامية. يفـرض الخلـوص مـن هـذه الورطـة شـد المـسلمين المعاصـرين باستمرار إلى القرآن الكريم وإظهاره فوق تلك الخبرة الفقهية دائما، وعندها تؤخـذ الأحكـام الـشرعية والـضروريات الدينيـة مـن منبعهـا الأسـاس وهـو القرآن الكريم، أما الأمور الاجتهادية التـي تـرد بالواسطة فيمكن مراجعتهـا من مظانها.

هـ/ يجب أن يعلم بيقين أنه لا ينـال القرآن الكريم حقـه فـي الصدارة، إلا إذا وجهـت حاجـات المـسلمين الدينيـة كافـة شـطر القـرآن الكـريم مباشـرة، و بذلك سينال من الرغبة والتوجّه الناشئة من الحاجة إليه أضعاف أضعاف مـا هو مشتت الآن من الرغبات نحو الألوف من الكتب، بل لكان القرآن الكريم

(217) نفسه

مهيمنا هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره مطبقة منفذّة كليا، وما كان يظل كتابا مباركا يتبرك بتلاوته فحسب.[218]

خلفية القراءة المذهبية:

أ/ مذهبه الفقهي :

يقر النورسي بأن شافعي المذهب[219]، ويصرح بتقليد إمامه، وبهذا يبرر عدم صلاته خلف كل إمام، إذ لا يلحق بالقراءة خلفه، فهو يسرع للركوع والنورسي لم يكمل بعد نصف الفاتحة، علما بأن قراءة الفاتحة فرض في مذهبه.

وبهذا المبرر علل عدم إطلاق لحيته، حيث يقول: "إن إطلاق اللحية سنة نبوية، وليست خاصة بالعلماء، و قد نشأت منذ صغري عديم اللحية وعشت في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم.
هذا وأن الأعداء يغيرون علينا دائما وقد حلقوا لحى بعض أحبابي فأدركت عندها حكمة عدم إطلاقي اللحية، وأنه عناية ربانية، إذ لو كنت مطلقا اللحية وحُلقت، لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً، حيث كنت لا أتحمل ذلك فأموت".

ولهذا يرى بأن قول بعض العلماء لا يجوز حلق اللحية، يقصدون عدم حلقها بعد إطلاقها، لأن حلقها بعد إطلاقها حرام، أما إذا لم يطلقها فيكون تاركا لسنة نبوية.[220]

ورغم شافعيته المصرّح بها فقد يضطر وفق ما تمليه الإكراهات الواقعية إلى اختيار رأي من خارج المذهب، فمنها قوله:" إنني شافعي

(218) صيقل الإسلام 347-349(بتصرف)
(219) الملاحق 349-350
(220) الملاحق 250

المذهب، وأن أحد شروط صلاة الجمعة حسب هذا المذهب هو أن يقرأ الفاتحة أربعون شخصا مأموما مع شروط أخرى أيضا، لذا فلا تفرض عليّ الجمعة هنا (الحجز، والسجن، والنفي، والعزلة المفروضة، و..)، "إلا أنني أقلد المذهب الحنفي فأؤديها نافلة "[221]

ب/ **موقفه من المدارس الفقهية:**

نظرا لما اشتهر به بديع الزمان من روحية عالية وهمة قلبية سامية، كان يتوسّم فيه العامة تقديم شيوخ الطرق عن أئمة الفقه، و بهذا الصدد سئل - من قبلهم - تأكيدا لهذا المعنى، فقيل له أيما أفضل أئمة المجتهدين العظام أم شيوخ الطرق الحقة وأقطابها؟

فكان جوابه رحمه الله تعالى: " ليس المجتهدون كلهم، بل المجتهدون الأربعة - وهم أبو حنيفة و الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل[222] - هم الأفضل، فهم يفوقون الأقطاب وسادة الطرق، ولكن بعض الأقطاب العظام كالجيلاني له مقام أسطع من جهة، في الفضائل الخاصة، إلا أنّ الفضيلة الكلية هي للأئمة الكرام.

ثم إن قسما من سادة الطرق هم من المجتهدين أيضا، ولهذا لا يقال أن المجتهدين عامة أفضل من الأقطاب، ولكن الأئمة الأربعة هم أفضل الناس بعد الصحابة الكرام والسيد مهدي ورضي الله عنه".[223]

غايات عرض المباحث الفقهية في رسائله:

يظهر أن الغرض الأصلي من الحديث عن المسائل الفقهية في رسائل النور لا يخرج عن النسق العام المعمول به في مؤلفاته، وتتلخّص فيما يأتي:

---

(221) الملاحق 249

(222) ذكرها بهذا الترتيب ، وكان الأولى ذكر مالك بن انس قبل الشافعي من الناحية التاريخية الصرف.

(223) المكتوبات 362

* العودة بالمؤمنين إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرهم الديني، إذ هو منبع الحياة في الخبرة الفقهية بسبب ما يمنحها من قدسية وفاعلية في النفوس والقلوب و العقول.

* السعي نحو العودة المنهجية إلى القرآن الكريم بواسطة الفقه، بغرض الخلوص إلى التقعيد الفقهي من خلال القرآن الكريم.

* تربية المؤمنين على التمييز بين الأحكام الفقهية الضرورية (والتي تمثّل تسعين بالمائة) والمسائل الخلافية (لا تجاوز العشرة بالمائة)، وذلك بأن لا نلغي عمليا بسبب الخلاف في العشرة بالمائة التسعين بالمائة الباقية.

* تربية الناس على التعلّق بالقرآن الكريم، وهو بمثابة ربط قلوبهم بما هو أعلى من الخبرة الفقهية بشقيها(الضروري والاجتهادي) بغرض تمحيصها به ومحاكمتها إليه.

* ترسيخ القراءة الوظيفية من خلال جعل الفقه وسيلة لفهم القرآن، لأن المطلوب أن يكون الفقه سببا في التعلّق بالقرآن لا أن يكون حجابا يمنعنا من الوصول إليه، أي أن يصبح الفقه مرآة للقرآن الكريم.

* رفض البداية الصفرية في الخبرة الفقهية، ولكنه يرجح في ذلك (وخاصة في مثل ظروفه) القراءة الفقهية المذهبية من القرآن وليس العكس، بمعنى أنه وإن كان متمذهبا (وهذا تثمين للخبرة الفقهية)، فإنه لا يقبل بأن يكون الفقه سببا في إبعادنا عن القرآن الكريم، لأن القرآن لازم والفقه ملزومه فكيف يصح شرعا وعقلا بأن يكون الملزوم حاجبا للازم؟

* يتوخى من كل اهتماماته الفقهية من خلال رسائله، خدمة الحقائق الإيمانية في شقها الفقهي، ولتحقيق هذا المقصد عمل على بعث الروح في التزامنا بالأحكام الفقهية الضرورية و الاجتهادية، وبهذا يخرج المسلم من العبثية ليدخل رحاب العبادة الحقة التي من أبرز تجلياتها الغائية المعبّر عنها بالوظيفية المرتبطة أساسا بتكريس الجوانب الأخلاقية من الالتزام

بالشريعة، يستشف هذا الأمر من كتابته عن موضوع العبادات كالصلاة والصوم والزكاة.

- عرض مسألة الصلاة:

يوضّح النورسي في سياق حديثه عن الصلاة أبعادها الوظيفية ورسالتها التربوية، يستشف هذا الأمر في تفسيره لقوله تعالى: **"يقيمون الصلاة "**، حيث يقول مبيّنا ومربيا **: "يقيمون "** للإشارة إلى أهمية مراعاة معاني " الإقامة " في الصلاة من تعديل الأركان، والمداومة، والمحافظة، والجد، وترويجها في سوق العالم، تأمل.

ويضيف: " ثم إن الصلاة نسبة عالية، ومناسبة غالية، وخدمة نزيهة بين العبد وسلطان الأزل، فمن تلك النسبة أن يعشقها كل روح، وأركانها متضمنة للأسرار.. ومن شأن تلك الأسرار أن يحبها كل وجدان.. وإنها دعوة صانع الأزل إلى سرادق حضوره خمس دعوات في اليوم والليلة لمناجاته التي هي في حكم المعراج، فمن شأنها أن يشتاقها كل قلب.. وفيها إدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول إليها لتأسيس إطاعة قانون العدالة الإلهية، وامتثال النظام الرباني.."

يعتبر البعد الوظيفي مركز عرض العبادات وعلى الخصوص الصلاة وإقامتها، لأن الإنسان " يحتاج إلى تلك الإدامة من حيث هو إنسان لأنه مدني بالطبع.. فيا ويل من تركها، ويا خسارة من تكاسل فيها، ويا جهالة من لم يعرف قيمتها، فسحقا وبعدا وأفا وتفا[224] لنفس لم يستحسنها.. فالصلاة عماد الدين وبها قوامه.[225]

- عرض مسألة الصوم:

---

(224) الأف والتف : وسخ الأذن والأظفار، ثم استعملا في كل شيء يضجر منه
(225) إشارات الإعجاز 52-53

لا يخرج عرضه لمسألة الصوم عن النسق السابق، إذ تتجلى الغاية الوظيفية بشقيها المعرفي والروحي والتعميري في عرضه لها، اسمع معنا قوله:" إن صوم رمضان من حيث كسره الربوبية الموهومة للنفس كسرا مباشرا ومن ثم تعريفها عبوديتها وإظهار عجزها أمامها، فيه حكم كثيرة.. فصيام رمضان المبارك ينزل ضربة قاضية مباشرة على الناحية الفرعونية للنفس، فيكسر شوكتها مظهرا لها عجزها، وضعفها، وفقرها، و يعرفها عبوديتها".

أما الناحية التعميرية من الاهتمام بالصيام فيجمعها قوله:

"إن حكمة واحدة للصوم من بين الغزيرة المتوجّهة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان هي:

* الشعور بالجوع الحقيقي الذي يجلب التعاطف والتآزر.

* تدرك النفس أنها مملوكة وليست مالكة، وبهذا يتكسّر الغرور، فتتقلد ربقة العبودية لله تعالى، وتدخل ضمن وظيفتها الأساس وهي "الشكر ".

* يحس أشد الناس غفلة وأعتاهم تمردا بضعفه وعجزه.

وفي كل تلك الحكم وغيرها بعث للوظيفية التعميرية المنتظرة من الصوم من خلال تجسيد أبعاده الوظيفية في النفس والمجتمع.[226]

- عرض مسألة الزكاة:

يتابع النورسي وفق النسق نفسه الحديث عن الزكاة، فيعرضها في سياق تناول أبعادها الوظيفية المجسّدة في وظيفتها التعميرية المبنية أساسا على تحقيق أصل تلك الوظيفة في الأنفس، يشهد لهذا المعنى قوله: " **الزكاة**

(226) أنظر المكتوبات 513-521

قنطرة الإسلام" وبها التعاون بين أهله "[227] ويزيد المسألة وضوحا بقوله: "إن الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها، إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر، وهي الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم، بل هي الترياق للسموم في ترقيات البشر.."

ويؤكد تلك المعاني في السياق نفسه حيث يقول: "نعم في وجوب الزكاة... حكمة عظيمة، ومصلحة عالية، ورحمة واسعة، إذ لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين:

*** إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع.**

*** اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا".**

و يختم تعليقاته السابقة بتوجيه النصح للعقلاء فيقول:

" اعلم أن شرط الهيئة الاجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان، وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم، مع أن بإهمال وجوب الزكاة.. انفرجت المسافة بين الطبقات، وتباعدت طبقات الخواص عن العوام بدرجة لا صلة بينهما، ولا يفور من الطبقة السفلى إلى العليا إلا صدى الاختلال، وصياح الحسد، وانين الحقد و النفرة بدلا من الاحترام والإطاعة والتحبب، ولا يفيض من العليا على السفلى بدل المرحمة والإحسان والتلطيف إلا نار الظلم والتحكم، ورعد التحقير. فأسفا.."

---

(227) إشارات الإعجاز 53

وينتهي في آخر المطاف - وهذا بعد عرضه الرائع لمسألة الزكاة من جميع الجوانب - إلى الوظيفية التعميرية للزكاة، فيقول:" إنه لا ملجأ للمصالحة بين الطبقات والتقريب بينها إلا جعل الزكاة دستورا عاليا واسعا في تدوير الهيئة الاجتماعية".[228]

ويشهد لهذا قوله أيضا في كتاب آخر: " ترى لو صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل الإسلام، دستور مدنية وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواء ناجعا وترياقا شافيا للتباين الفظيع في الحياة المعاشية، الذي هو جحر الحيات والسم الزعاف والبلاء المدمّر، بلى سيكون الناجع الساري المفعول أبدا".[229]

ثانيا:علم الكلام والفلسفة :

سنتناول في هذا المقام الحديث عن القضايا الكلامية التي خصّها بالبحث والتعليق، فكان من جملتها إكباره لعلم الكلام ونقده في الوقت نفسه، فحمد جهود علمائه ووظّف بعض مصطلحاتهم وأدلتهم بالدرجة نفسها التي انتقدهم بها، كما نبّه إلى عدم كفاية مسلك بعضهم في العصر الراهن.

أ/ موقع علم الكلام في فكر النورسي:

رجل جعل من القرآن مصدره في التأسيس للعقائد في جانبي المنهج والموضوع، لا يمكن أن يعد متكلما حسب تقديرنا، لأن اهتمامه بالدرس الكلامي يعد عملا تبعيا لا جهدا أصليا، أي أن خوضه في علم الكلام كان عرضيا لا أصليا، فقد خاض فيه من منطلق خدمة الحقائق الإيمانية مستنبطة من القرآن الكريم، لهذا لا يمكن اعتباره متكلما وفق ما بلغنا من

(228) إشارات الإعجاز 53-55

(229) صيقل الإسلام 56

إنتاجه الكلامي، ومن ثمّ لا نميل إلى عدّه متكلما خالصا كما ذهب إليه بعض الباحثين[230]، وإن جاز لنا قبول ذلك فهو متكلم من نوع خاص، يتميّز بمجوعة من الميزات:

1/ علم الكلام المعتد به في فكر الرجل هو ذلك الذي يعد شفافا للقرآن الكريم وليس مانعا من الوصول إليه، يشهد لنا قول النورسي: "فما من مسألة منها إلا ويماس رأسها قدم آية من الفرقان"[231]

2/ يتجاوز مسلكه علم الكلام التقليدي الذي يحصر همه في الاستدلال العقلي، إذ جمع إليه مخاطبة القلوب، إنه جامع بين الذوق والمقاييس القلبية من جهة والمعايير العقلية في أعلى مستوياتها.

وورد عنه في بيان تلك المعاني قوله: " فمسائلها وإن حصلت لي أول ما حصلت شهودية وحدسية وذوقية، لكن لدخولي في صحراء الجنون مع رفاقة عقلي مفتوح الجفون - فيما يغمض فيه ذوي الأبصار- لفّ عقلي على عادته ما رآه قلبي في مقاييسه ووزنه بموازينه واستمسكه ببراهينه.. صارت مسائل هذه الرسائل من هذه الجهة كأنها مبرهنة استدلالية..

فيمكن لمن ضل من جهة الفكر والعلم أن يستفيد منها ما ينجيه من مزالق الأفكار الفلسفية".[232]

ب/ مظاهر الاهتمام بعلم الكلام:

---

(230) العلامة الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه النورسي متكلم العصر الحديث، يذهب الباحث أميد شمشك في مقاله أصول التفكر في رسائل النور إلى ما يشبه الرأي السابق، أنظر نص البحث في كتاب المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي (تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين) ، الطبعة الأولى، استانبول1996/ ص 23

(231) المثنوي العربي 206

(232) المثنوي العربي 206

يظهر اهتمامه بعلم الكلام في استثمار أقوال أعلامه ومصطلحاتهم والنسج على منوالهم، والدعوة إلى تجاوز مسالكهم المتأثرة بالجو الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي ولدت فيه.

*** مصادره العامة في علم الكلام:**

يغلب عليه الاستشهاد بمؤلفات علماء أصول الدين على مشرب أهل السنة والجماعة المحصورة غالبا في الأشاعرة الماتريدية، وتتجلى تلك الملاحظة في إكباره للمذاهب السنية، فهم مرة أهل الحق ومذهب الاعتدال و.. إلى آخر ذلك من الصفات الموجبة للشهادة بالتقديم.

قال النورسي: "إن علماء الكلام وأئمة أصول الدين والمحققين من أهل السنة والجماعة، بعد إجراء تحقيقات وتدقيقات كثيرة حول العقائد الإسلامية وإقامة المحاكمات العقلية والموازنات في ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ارتضوا بدساتير في أصول الدين، تلك الدساتير تأمر بالحفاظ على مشرب رسائل النور الحالي"[233]

إن عباراته دالة بنفسها على تمحيصه لمؤلفات علماء الكلام، ومن نافلة القول التأكيد على أن التمحيص لا يكون إلا بعد قراءة تدقيقية تحقيقية، و قد مكّنه هذا التمكّن من استثمار المعارف الكلامية المعبّرة عن الحقائق الإيمانية في القرآن الكريم، لهذا يعتبر الهدف الأساسي من خوضه فيها إنما هو خدمة القرآن الذي يعد أنجع طرق تحقيق الإيمان الجامع بين قناعتي العقل والقلب.

- **مصادره الخاصة في علم الكلام:**

يكثر في مؤلفات النورسي ذكر أعلام علماء الكلام، الغزالي والتفتازاني والجرجاني و... ولكنه لم يذكر منهم بصفة عالم كلام إلا التفتازاني والجرجاني في ثنايا مناقشته لرأي الإمام الآنف الذكر.

---

(233) الملاحق 301، كما يذكر أحيانا إجماع علماء الكلام، انظر الشعاعات 186

فقد نقل عنهما في عديد المرات منها على سبيل المثال لا الحصر:

1) نقل عنه في مقام الحديث عن المعجزة الاستشهاد بقول **التفتازاني**: "إن انشقاق القمر متواتر، مثل فوران الماء من بين أصابعه الشريفة ρ وارتواء الجيش منه، ومثل حنين الجذع من فراقهρ الذي كان يستند عليه أثناء الخطبة، وسماع جماعة المسجد لأنينه، أي أن الحادثة نقلته جماعة غفيرة عن جامعة غفيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب، فالحادثة متواترة توترا قطعيا كظهور المذنب قبل ألف سنة وجزيرة سرنديب التي لم نرها.[(234)]

2) نقل عنه في مسألة الحرية الإنسانية من خلال حديثه عن مسألة القدر والاختيار النقل عن سعد الدين التفتازاني، وبهذا الصدد يباهى بحل هذه المعضلة في عدد قليل من الصفحات بينما عالجها التفتازاني فيما لا يقل عن خمسين صفحة.

قال النورسي: " مسألة القدر والجزء الاختياري لم يحلها العلامة الجليل **السعد التفتازاني** إلا في خمسين صحيفة، وذلك في كتابه المشهور التلويح من قسم المقدمات الإثنتي عشرة، ولم يبيّنها إلا للخواص من العلماء، هذه المسائل تبينها الكلمة السادسة والعشرون في رسالة القدر في صحيفتين من المبحث الثاني منها بيانا شافيا وافيا، وبما يوافق أفهام الناس كلهم، فإن لم يكن هذا من أثر العناية الإلهية فما هو؟[(235)]

3) استند إلى أقوال التفتازاني في مسألة الإيمان سواء في مقام الشرح أو التأسيس، وفي ذلك يقول: "إن الإيمان كما فسّرة السعد (سعد الدين

---

(234) المكتوبات 272

(235) المكتوبات 481

التفتازاني) نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده "، ثم ينتقل إلى شرحه بقصد توظيفه بما يتلاءم ومقصده في تفسير القرآن الكريم، فيقول: "أي بعد صرف الجزء الاختياري، فالإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان وبين كل شيء.. ويلقي في القلب قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصيبات.. ويعطيه وسعة يقتدر بها أن يبتلع الماضي والمستقبل".(236)

4) جواز لعن الظالمين مع الميل عن هذا الرأي:

نقل في بيان هذا الرأي ومناقشته كلاما نفيسا عن التفتازاني قال فيه: "يجوز لعن يزيد" وأمثاله من الظالمين الحجاج والوليد" ويختم النقل بتعليق رائع على قول التفتازاني فيقول: " ولكن لم يقل أن " اللعن واجب أو فيه خير وفضيلة، أو فيه ثواب واجر" لأن الذين ينكرون القرآن الكريم ويجحدون بالرسول ρ و يرفضون صحبة الصحابة الكرام للرسول ρ كثيرون جدا لا يعدون و لا يحصون، وهم يصولون ويجولون أمامنا، ومن المعلوم شرعا أن المرء إن لم يتذكر أحدا من الذين يستحقون اللعنة ولم يلعنهم فليس في هذا بأس قط، لأن الذم واللعنة ليسا كالمدح و المحبة، فهما لا يدخلان في الأعمال الصالحة، وإن كان فيهما ضرر فهو أدهى".(237)

5) نقل عن الشريف **الجرجاني** في ثنايا مناقشة رأي **التفتازاني** الآنف الذكر، بل ومال إليه في سياق التمحيص والتحقيق، وفي ذلك يقول: حتى أن سعد الدين التفتازاني وهو من أئمة علم الكلام وأهل السنة الذي جوّز لعن يزيد والوليد وتضليلهما، قد انبرى له السيد الشريف الجرجاني وهو من أجلّة علماء أهل السنة قائلا: " مع أن يزيد والوليد فاجران وظالمان غدّاران

(236) إشارات الإعجاز 51-52
(237) الملاحق 297

إلاّ أن العلم بأنهما قد رحلا إلى الآخرة على غير إيمان من أمور الغيب، ولأن هذا غيب ولا يعلم به علما قاطعا بأنهم قد تركوا الدنيا على غير الإيمان وليس لنا دليل قطعي ولا نص جازم على ذلك، وهناك احتمال التوبة وذهابهما من الدنيا على الإيمان، فلأجل هذا لا تجوز اللعنة بمثل هذا التخصيص و اللعن الشخصي، وإنما تجوز اللعنة إذا كانت عامة كأن يقول: لعنة الله على الظالمين والمنافقين، وإلا فلا ضرورة لغير هذا النوع من اللعنة ولا لزوم لها بل لها ضرر".[238]

يستتشف مما سلف وفي ضوء المعلوم عنه بأنّه لم يكن بين يديه كتاب سوى القرآن حين قصد تفسير القرآن الكريم من خلال رسائل النور - وفي سياق التسليم بصحة تلك الملاحظة – بأننا أمام خزانة علم قوامها الانتخابية الهادفة، إذ بمجرد التسليم بتلك المقدمات نخلص إلى أنه كان واسع الحفظ كثير المطالعة الوظيفية، لأننا لا يمكن أن نقبل بتلك الدقة الوظيفة إلا إذا سلّمنا بمقدماتها، فهو في أعلى درجات إتقان علم الكلام يتخيّر منه ما يحقق خدمة الحقائق الإيمانية المستنبطة من القرآن الكريم، ورغم تلك الانتخابية فإننا نميل عن الرأي الذي يجعل من النورسي متكلما ولو وفق الصيغة الجديدة المعدّلة أو المحسّنة، لأن الجهد الكلامي لحمته وسداها البحث العقلي التجريدي في كثير من الأحيان مشفوعا بالعلم التجريبي أحيانا، أما الخوض الكلامي عند النورسي فإنه متميّز كل التميّز عن ذلك النوع من الكلام، فهو يجمع بين مخاطبة الوجدان والفكر في الوقت نفسه، وهذا ليس بدعا من القول بل هو نسج على وفق النسق القرآني في التأسيس للعقائد بشقيه البنائي والهدمي وبجميع أبعاده المعرفية والروحية والتعميرية.

*** المصطلح الكلامي:**

---

(238) الملاحق 300

يتجلى توظيف مصطلحات المتكلمين في رسائل النور في جانبين، أولهما يتناول التأسيس للعقائد وثانيهما مخصص للدفاع عنها، يعرف الأول باسم الجانب البنائي(الإنشائي)، ويعرف الثاني بالجانب النقدي(الهدمي).

الجانب البنائي(الإنشائي):

استثمر في سياق التأسيس للعقائد كثيرا من اصطلاحات المتكلمين، منها على سبيل المثال لا الحصر حسب ورودها في بعض مؤلفاته، فقد وظف الإمكان والحدوث(239) وإبطال الدور التسلسل، والمحال(240)، وواجب الوجود، و وجوب الوجود (241) كما يقتبس أحيانا اصطلاحات الفلاسفة.

مصطلح الإمكان:

أورده وفق النسق المنقول عن علماء هذا الفن، فذكر أن " للإمكان أنواع وأقسام هي: الإمكان العقلي والإمكان العرفي والإمكان العادي، فإن لم تكن الحادثة الواقعة ضمن الإمكان العقلي، فإنها تردّ وترفض، وإن لم تكن ضمن الإمكان العرفي أيضا فإنها تكون معجزة، ولا تكون كرامة بيسر، وإن لم تكن لها نظير عرفا وقاعدة فلا تقبل إلا ببرهان قاطع بدرجة الشهود."(242)

---

(239) أنظر الكلمات 826، 825، 824، 817،..المكتوبات 428، 386،

(240) أنظر الكلمات 826، 316، المكتوبات 425،اللمعات 472، 275ن542، الشعاعات 182....

(241) أنظر المكتوبات 324، 312، 108، 107،.. اللمعات 505، 504، 486، 56،.. المثنوي العربي 110، 111، 116، 113...431، 311، 304، 211..

(242) اللمعات 99

و ورد عنه في سياقات أخرى التفصيل في شأن الإمكان، فتحدّث عن الإمكان الذاتي و الإمكان العقلي، وكل ما شأنه أن يخدم مقصده في إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم.(243)

و يدل توظيفه وفق نسق القراءة الكلامية على أنه رجل متمرّس بعلم الكلام وسائح مدقق في أرجائه.

اصطلاح واجب الوجود:

أورده كسابقه في مقام التأسيس للمعرفة الكلامية أحيانا والمعرفة الصوفية أحيانا أخرى، فقال في مقام التأسيس للثانية: ".. ومع أنّ هذا الوجود يعتبر وجودا عرضيا وضعيفا وظلا غير دائم بالنسبة لوجود **"واجب الوجود"** إلا أنه ليس وهما وليس خيالا، فإن الله سبحانه وتعالى قد أسبغ على الأشياء صفة الوجود بتجلي اسمه **"الخلاّق "** وهو يديم هذا الوجود.(244)

أما في مقام التأسيس للأولى فقال: " ففي هذا **الإمكان** والمساواة بين **الوجود والعدم**، يتساوى القليل والكثير، الصغير والكبير، وهكذا فالمخلوقات ممكنات، وحيث أن وجودها وعدمها سواء، ضمن دائرة الإمكان، فإن قدرة الواجب الأزلية المطلقة كما تعطي الوجود لممكن واحد بسهولة ويسر، تلبس كل شيء وجودا يلائمه للتوازن بين الوجود والعدم، وتنزع عنه لباس **الوجود الظاهري** إن كانت قد انتهت مهمته، وترسله إلى العدم صورة وظاهرا، بل إلى **الوجود المعنوي** في دائرة العلم"(245)

---

(243) أنظر المثنوي العربي 115، 401،.. الشعاعات 696،183،182.. ،الكلمات 784، 824 -828، صيقل الإسلام 35،،...124،...343،...411

(244) المكتوبات 107، 368، 428...

(245) الشعاعات 394-395

تلاحظ أنّ العينات المنقولة غنية بالمصطلحات والعبارات الكلامية، وهذا بنفسه مؤكد لما قررناه آنفا، إذ لا يمكن أن تصدر مثل هذه الآراء والأقوال من عالم ليس بين يديه إلا القرآن الكريم إلا إذا كان متمرّسا بالصناعة الكلامية غوّاصا في بحارها صيادا لصدفها مكتشفا لجواهرها.

الجانب النقدي(الهدمي):

استثمر النورسي المصطلح الكلامي في شق إبطال آراء المخالفين، ولعل أبرز تجلياته توظيف مصطلح الدور والتسلسل، والمحال، و...

ذكر في مجموع مؤلفاته **حقيقة التوحيد** في سياق التأسيس للمنهج القرآني في إثبات حقائق الإيمان بناء على نقد مناهج المتكلمين والفلاسفة، وكأنه بدء بعملية تخلية (لبيان الخلل ثم تفريغ العقل والقلب منها) ثم تحليته بتأسيس البديل المعرفي المستنبط من المصادر الإسلامية الأصيلة.

وتعتبر تلك التقريرات بمثابة سمة عامة لمجموع ما كتبه في بيان مسائل التوحيد وذلك بيّن في مختلف مؤلفاته.[246]

يتجلى مما سلف أن النورسي ينسج على منوال علماء الكلام، في جانبي التأسيس للعقائد ونقد الأفكار المخالفة، لهذا قال النورسي: "منهج علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان في إثبات واجب الوجود، ومع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن البشر قد أفراغهما في صور شتى، لذا أصبحا منهجين طويلين، وذوي مشاكل، فلم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك" [247].

---

(246) أنظر الكلمة الثانية والثلاثون وخاصة الموقف الثاني منها، أنظر الكلمات 723..، المكتوبات ، المقام الثاني من المكتوب العشرين 307

(247) المثنوي العربي 428

ومن منطلق النقص الطارئ على علم الكلام منهجا و موضوعا اقترح علما جديدا مهتما بالعقائد الإيمانية، يسمى تجاوزا علم كلام جديد، ولا يقتضي هذا أن يكون المشتغل به متكلما، هذا ما نحاول بيانه في الفقرة اللاحقة.

*** التنبيه إلى علم كلام جديد:**

يظهر مما سبق تقريره أن النورسي يقترح بديلا معرفيا، مقتبسا من إنتاج علمائنا المتقدمين، مستعينا في تقرير أركانه وتبسيط مسائله على الخبرة الكلامية الإسلامية على تنوّع مشارب رجالها، مستأنسا في تقرير ذلك بأقوال الإمام الرباني.

وقد استنبط من أقواله أن قوام هذا العلم الجديد الجمع بين طرقتي علم الكلام وأهل الكشف، يخاطب هذا العلم المقترح العقل والقلب في ذات الوقت، بخطاب لحمته وسداه القرآن الكريم، بل يكاد يكون علم الكلام وفق هذا المسلك خادما للحقيقة القرآنية و متناغما مع ما حوته من توجيهات.

ميزات علم الكلام الجديد:

1) أن يكون مستمدا من القرآن الكريم:

أصل ما نذر إليه نفسه هو جعل القرآن الكريم في مصاف المصادر اليقينية للمعارف والعقائد والأخلاق، فكانت رسائل النور معجزة معنوية للقرآن الكريم - كما هو ماثل أمامكم - و أظهرت بذلك أن في المدارس الشرعية ايضاً طريقاً قصيرة توصل إلى أنوار الحقيقة، وفي العلوم الإيمانية ينبوع ثر هي أصفى وأنقى من غيرها".[248]

2) رفض البداية الصفرية:

---

(248) الملاحق 208

يلاحظ القارئ الفاحص أن النورسي يتجاوز عقلية النفي والإقصاء التي هيمنت على العقلية الإسلامية منذ القرن التاسع الهجري تقريبا، لهذا تراه يدعو إلى استثمار الخبرة الكلامية بصفة عامة والسنية على الخصوص.

يقول النورسي: "وفي الحقائق الإيمانية وعلم كلام أهل السنة، طريقا للولاية هي أسمى وأحلى وأقوى من العمل والعبودية والطريقة الصوفية.[249]

3) التراكم المعرفي والتربوي:

شاع بين المشتغلين بالعلوم الإسلامية تقسيمها إلى وحدات وتخصصات مستقلة فيما بينها، بل ومستقلة عن منهج القرآن الكريم من حيث موضوعاتها أحيانا وطرق عرضها في كثير من الأحيان، ولتجاوز هذا الداء اقترح النورسي التراكم المعرفي والتربوي، واعتبره خير سائق نحو الغايات التحريكية التي يتوخاها الإسلام، لهذا جعل النورسي منتهى جهده وأبلغ غاياته تحقيق إثبات الحقائق الإيمانية من القرآن الكريم بوصفه أكثر الوسائل أثرا في القلوب والعقول.

قال النورسي:" فقد قال علماء محققون، كالإمام الرباني: سيبين أحدهم في آخر الزمان علم الكلام-أي المسائل الإيمانية لمذهب أهل الحق - بيانا جليا بحيث يفوق على جميع ما كتبه أهل الكشف والطريقة الصوفية، فيكون وسيلة لنشر تلك الأنوار حتى أن الإمام الرباني قد رأى نفسه ذلك الشخص، فأخوك هذا العجز الفقير الذي لا يذكر بسيئ لا يمكنني أن أدّعي - بما يفوق حدّي ألف مرة - إنني ذلك الشخص المنتظر، إذ لست أهلا لأكون ذاك من أية ناحية كانت".

---

(249) الملاحق 208

ثم يضيف قائلا : ولكن يمكنني أن أقول: "إنني أظن نفسي خادما لذلك الشخص المنتظر، أهيئ الميدان لمجيئه، وجنديا من جنود طلائعه، ولهذا فقد أحسستم تلك الرائحة العجيبة من تلك الأمور المكتوبة.[250]

وما ذهبنا إليه أكثر وضوحا في قوله: " كان سعيد القديم - قبل حوالي خمسين سنة - لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلا في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة، وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها - كأكثر أهل الطريقة - بل جهد كل الجهد أولا لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثها إيّاه مداومة النظر في كتب الفلاسفة" ويزيد المسألة وضحا بقوله: " ثم أراد - بعد أن تخلّص من هذه الأسقام - أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجّهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب"[251]

5) أقصر طرق التبليغ:

يرى من يفكر في وضع أمتنا أن تعلّم الحقائق الإيمانية من علم الكلام أو المدارس الشرعية يحتاج إلى زمن طويل، لا تسمح به أحوال هذا الوقت، فانسدّ بذلك باب تعلّمها وفق هذا المسلك، بخلاف الطريق الذي رسمته رسائل النور فهو تعلّم الحقائق الإيمانية العميقة جدا في أقصر وقت.[252].

6) أسلوب متجاوب مع جميع الطبقات:

تعتبر عملية مراعاة السامع حين التبليغ من خصوصيات رسائل النور، إذ يجد فيها العامي ما يبتغي ويجد فيها الفقيه ما تقر به عينه، كما يجد فيها الفقير مالا وجاها وفكرا ما تركن إليه نفسه وهذا بالدرجة نفسها التي يجد

(250) الملاحق 75، الشعاعات 211
(251) المثنوي العربي 29
(252) الملاحق 221

فيها العالم المتخصص ضالته، لهذا تميّزت رسائل النور "بأسلوب يفهمه كل الناس "[253]

قال النورسي: "منهج علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان في إثبات واجب الوجود ومع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن البشر قد إفراغهما في صور شتى، لذا أصبحا منهجين طويلين، وذوي مشاكل، فلم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك"[254].

يظهر مما سبق تقريره أنه من أبرز نقاد علم الكلام، ورغم نقده للمنهج الكلامي يرفض البداية الصفرية في المجال الكلامي، وخير شاهد على ذلك جهوده المتجلية في التوظيف الانتخابي لخبرتنا المعرفية الكلامية وخاصة تلك المعارف التي تستدعي الضرورة الواقعية الموضوعية[255] توظيفها.

أما بالنسبة للمسلك الفلسفي فقد وصمه بعبارات الشكوك والأوهام والشبهات... وهو في ذلك ناسج وفق مسلك أهل السنة من أشاعرة وماتريدية.

ثالثاً: علم التصوف

يراد بعلم التصوف في مجمل مؤلفات النورسي وفي هذا السياق بالذات تجارب الصوفية أنفسهم، يضم إليها في كثير من الأحيان تجاربه الشخصية، وقد يظهر اهتمامه بالخبرة الصوفية من جوانب أخرى كما سنبينه بعد حين.

---

(253) الملاحق 221

(254) المثنوي العربي 428

(255) أنظر بحثنا التجديد في دراسة العقيدة ،62-93 منشور في مجلة الموافقات العدد4/ 1416ه/ 1996

موقع التصوف في رسائل النور :

أزمتنا في العصر الحديث وخاصة في المجتمع العثماني (الإسلامي) تتلخّص في القطيعة الفضيعة بين العقول والقلوب، إذ نجد العقول محشوة بالمعارف مع فراغ القلوب من الجوانب الوظيفية من تلك العلوم، حتى غدا من أكبر من المسلمات القول بأن " لا صلة بين العلم والأخلاق " في الضمير الشعبي أمرا صحيحا دوما، من هذا المنطلق عمل النورسي على تجاوز هذا الداء ببعث التفكير في إصلاح القلوب على الأقل، خاصة وهي التي تعتبر عامل التحريك، إذ بفقدها تفتقد الفعالية المنتظرة، وكأنه بهذا الخيار يلخّص المشكلة بالنسبة لكثير من الناس في تضييع المحتوى الأخلاقي للإيمان، تضييع له في كثير من ميادين الحياة ، فافتقد في المعرفة ثم التربية ليتجلى بعد ذلك في التعمير.

يذكر في سياق بيان ملخص جواب عن سؤال مقتضاه، لماذا الإعراض عن مهاجمة المنافقين؟.

قال النورسي: " إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان.. وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان هو النور و بيان النور والتذكير به".[256]

مظاهر الاهتمام بالتصوف في رسائل النور:

يظهر اهتمام النورسي بالخبرة الصوفية في أنماط وأشكال متعددة، آثرنا لبيانها النسج على وفق ما أنجزناه في مظاهر الاهتمام بعلم الكلام.

*** مصادره العامة في التصوف:**

---

(256) اللمعات 158(بتصرف)

يبدو لنا جليا التركيز على التصوف الأخلاقي ممثلا في الطرق الصوفية بالدرجة الأولى، ثم استثمار الخبرة الصوفية المعروفة بوحدة الوجود والتماس العذر لها بل والمرافعة عنها تجاه خصومها[257] .

تتجلى تلك الملاحظات في النقاط الآتية:

- تعتبر الطريقة النقشبندية من أكثر الطرق الصوفية ذكرا في مؤلفات النورسي، بل وكثيرا ما يستشهد بأقوال أعلامها وقواعدها، وبهذا الصدد يقول عن شيخ الطريقة:" لقد قال رائد السلسلة النقشبندية وشمسها الإمام الرباني (السرهندي الفاروقي) رضي الله عنه: " إنني أرجّح وضوح مسألة من الحقائق الإيمانية وانكشافها على آلاف من الأذواق و المواجيد والكرامات "

ويذكر في مقام آخر محاسن الطريقة النقشبندية، فيقول:" إن السلوك في الطريقة النقشبندية يسير على جناحين، أي الاعتقاد الصحيح بالحقائق الإيمانية، والعمل التام بالفرائض الدينية، فإذا ما حدث خلل وقصور في أي من هذين الجناحين يتعذر السير في ذلك الطريق"

ويستخلص من ذلك الكلام أن الطريقة النقشبندية لها ثلاثة مشاهد: "**أولها وأعظمها:** هو خدمة الحقائق الإيمانية خدمة مباشرة، تلك الخدمة التي سلكها الإمام الرباني في أخريات عمره.

الثاني: خدمة الفرائض الدينية والسنة النبوية تحت ستار الطريقة.

الثالث: السعي لإزالة الأمراض القلبية عن طريق التصوف والسير بخطى القلب.

---

(257) مدافعة رأي الشيخ مصطفى صبري في موقفه من محي الدين بن العربي و فكرة وحدة الوجود.

فـالأول مـن هـذه الطـرق هـو بحكـم الفـرض، والثـاني بحكـم الواجـب، والثالث بحكم السنة.[258]

وورد عنه في بـاب الاستدلال بالقيمـة التربويـة لأدبيـات النقشبندية مـا يؤكـد منزلـة تلـك الطريقـة وأهلهـا فـي قلبـه، فقـد وصـف أقـوالهم بالرقيقـة وأفعالهم بالمحمودة و.. ويتجلى ذلك في قوله عنها: " في الطريقة النقشبندية ينبغي ترك أربعة أمور: ترك الدنيا، ترك العقبى، ترك النفس، ترك هذه الأنماط من الترك "[259].

تعتبر الطريقـة النقشبندية مـن أهم الخـزائن التربويـة التـي اسـتقى منهـا النورسي كثيرا من مصطلحاته، ونحن نذهب إلى أبعد من ذلك، إذ يعد اللفظ المركـزي فـي مجمـوع مؤلفـات الرجـل **"الحقـائق الإيمانيـة"** مـصطلحا نقشبنديا ذكره الإمام الرباني السرهندي، يتجلى هذا الحكم في قولـه المنقول آنفا، كما نقل في مقام آخر قول الإمام الرباني: "إن منتهى الطرق الصوفية كافة هو **وضوح الحقائق الإيمانية وانجلاؤها"**[260]

ورغم استثماره للخبـرة التربويـة النقشبندية منهجـا وموضـوعا، فقد كـان يرى أن منهج رسائل النور يفوقها، إذ حـوى علـى كل مـا فيهـا من أغراض تربوية من جهة ومتجاوب مع المعطى السياسي والثقافي الجديد من جهة ثانية، بخلاف ما تضمنته الطريقة النقشبندية، وقد وصل بـه الأمر أن قال: "لو أن قطبا من أقطاب الأولياء أو شيخا جليلا كالكيلاني، أتى هذه المدينة وقال لك سأرفع مرتبتك إلى مرتبة الولاية في عشرة أيام، وذهبت إليه تاركا رسائل النور، فلا تستطيع أن تصادق إبطال إسبارطة "

(258) المكتوبات 27

(259) المكتوبات 24(نص ترجمه إحسان قاسم (أنظر الهامش)

(260) المكتوبات 26

وتفضل رسائل النور الطريقة والمشيخة من وجوه لعل أهمها: "إن خدمة رسائل النور هي انقاد الإيمان، أما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية، وإن إنقاذ إيمان شخص من الضلال أهم بكثير وأجزل ثوابا من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية، حيث إن الإيمان بمنحه للإنسان السعادة الأبدية يضمن له ملكا أوسع من الأرض كلها، أما الولاية فإنها توسّع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر.[261]

وبالإضافة إلى اهتمامه الكبير بالطريقة النقشبندية، فقد استأنس واستشهد بأقوال غيرهم، فيسميهم مرّة أهل الحقيقة ويسميهم في أخرى المتصوفة ويطلق عليهم ثالثة أهل الكشف، ..أو ما يقرب منها.[262]

وحديثه عنها لا يختلف عن الطريقة الأم (النقشبندية)، إذ رغم إبكاره لها فإنه يرى أنّ رسائل النور تفضلها جميعا بحيث:" أن ما في درس رسائل النور من للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى النابعة من سر الوراثة النبوية، لا يدع حاجة إلى الانتماء إلى الطرق الصوفية خارج الدائرة ، إلا من فهم الطريقة على غير وجهها وكأنها رؤى جميلة وخيالات وأنوار وأذواق ، ويرغب في الحصول على أذواق الدنيا وهوساتها مما سوى فضائل الآخرة.."

ويسترسل في ذلك قائلا: "ولقد تبيّن في هذه الحادثة أن للانتساب إلى رسائل النور أهمية عظيمة وثمنا غاليا جدا، .. هذا المسلك الذي هو أثمن من الألماس ولا يستطيع أن يدخل مسالك أخرى غيره " [263]

---

(261) الملاحق 133

(262) أنظر المكتوبات 459،242،23، اللمعات 225،171،153،26-238،228، الشعاعات 158، 196، 656،422، المثنـــوي العربـــي 433،432،428،241،29، الملاحـــق 75،74،22، 177، 178، 265، 272، 284، 339، صـــــيقل الإســـــلام 76، 131، 418،388،349،344،336،...

يتبيّن مما سلف أن النورسي لا يطمح إلى إلغاء الطرق الصوفية بقدر ما يطمح إلى ترشيدها من خلال بعث روح التأصيل في نصوص الطرقية، مع السعي الدؤوب إلى تحقيق الالتزام بتعاليم الإسلام من خلالها، وذلك بجعلها أكثر واقعية بواسطة السعي إلى بعث تفاعلها الإيجابي مع المعطى الثقافي والسياسي والحضاري الجديد.

*** المصدر الصوفي الخاص:**

أصّل النورسي في مجموع مؤلفاته بمصادر صوفية خاصة، تهتم أساسا بالإمام الرباني الفاروقي السرهندي، كما تستشهد بين الحين والآخر بسائر أعلام التصوف وخاصة الغزالي والكيلاني.. وغيرهم كثير، فأورد كل الشخصيات التي يستفاد من تجربتها الروحية في التأسيس للحقائق الإيمانية القرآنية.

أ/ **الإمام الرباني :**

احمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي المشهور بالإمام الرباني (971-1034هـ) المعروف بمجدد الألف الثاني، كان آية في الإحاطة بعلوم عصره في كنف تربية روحية وعلو همّة و إخلاص لله تعالى، كانت التربية الروحية عنده موقفا من الحياة ومشاغلها وليس استقالة منها، فكان من منطلق التربية مجاهدا صلبا جعل الله على يديه تمكين الإسلام من الدولة المغولية بصرفها عن الإلحاد والبرهمية، .. عمل على تصفية التصوف من البدع والخزعبلات ، فنمت دعوته في القارة الهندية وكان من ثمارها الملك الصالح" أورنك زيب" المنتصر على الكفار، نشرت طريقته (النقشبندية)

---

(263) اللمعات 428

علـى يـد العلامـة خالـد الـشهرزوري المـشهور بمولانـا خالـد (1192-1243هـ)، من أشهر مؤلفاته **"مكتوبات"**.[264]

مواطن الاستشهاد بأقواله:

يظهر تأثر النورسي بالفاروقي جليا، فقد اختار عنوان كتابه "مكتوبـات" عنوانا لأحد كتبه، واختار كثيرا من أقواله في بيان ما انتهى إليه اجتهاده، بل كان في كثير من الأحيان يبنى أقواله ويستشهد بها على صحة فهمه.

من هذا القبيل الإكبار من شأن شيخه بعبارات المدح والثناء، فهو رائد السلسلة النقشبندية وشمسها[(265)].

و يصرح بديع الزمان أنه باكتشاف كتاب " **مكتوبات** " للإمام الرباني، وجد خيرا فتفاءل به تفاؤلا خالصا.[(266)]

وقد جاوز ذلك إلى استثمار مصطلحاته في صياغة خطاب رسائل النور، فالمصطلحات المركزية "الحقائق الإيمانية " في الرسائل هي اصطلاحات سرهندية، يوضّحها قول الإمام الرباني: "إنني ارجّح وضوح مسألة من **الحقائق الإيمانية وانكشافها** على آلاف من الأذواق و المواجيد والكرامات "[(267)]، ويؤكدها قول النورسي: أولها (مشاهد الطريقة النقشبندية) وأسبقها وأعظمها: هو خدمة الحقائق الإيمانية خدمة مباشرة، تلك الخدمة التي سلكها الإمام الرباني في أخريات أيامه"[(268)]

---

(264) ترجمه إلى العربية محمد مراد في مجلدين وسماه "الدرر المكنونات".

(265) المكتوبات 26

(266) المكتوبات 458، يذكر أنه ورد في رسالتين من رسائل الإمام الرباني لفظة " ميرزا بديع الزمان" فأحس كأنه يخاطبه باسمه، إذ كان اسم والده" ميرزا"، وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان، فقال النورسي: يا سبحان الله...إن هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان.

(267) المكتوبات 26

(268) المكتوبات 27

بل يكاد أن يتمثّل مسلكه منهجا موضوعا، فقد كان يتبنى أقوال الفاروقي إجابة عن أسئلة المستفهمين، فقد ورد عنه حين سئل عن اللطائف العشر الاستشهاد بقول الإمام الرباني، حيث قال: إن الإمام الرباني قد عبّر عن اللطائف العشر بالقلب والروح والسر والخفي والأخفى، .. ولكل عنصر من العناصر الأربعة في الإنسان لطيفة إنسانية ملائمة ومنسجمة معه.. حتى أن ما اشتهر لدى العوام والخواص من لطائف الإنسان العشر منسجمة مع اللطائف العشر لدى أرباب الطرق...

ينتقل بعدها إلى البيان التطبيقي لما استفاده من الإمام الرباني، فيقول: " فمثلا: الوجدان والأعصاب والحس والعقل والهوى والقوة الشهوية والقوة الغضبية، إذا ألحقت هذه اللطائف بالقلب والروح والسر، تظهر اللطائف العشر في صورة أخرى، وهناك لطائف أخرى كثيرة غير هذه اللطائف، أمثال: السائقة، الشائقة، الحس قبل الوقوع".[269]

كما تتجلى في مؤلفات النورسي الاستفادة من الفاروقي في جانبي الموضوع التربوي ومنهجه.

ب) حجة الإسلام الغزالي :

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ولد سنة 450هـ وتوفي سنة 505هـ ، يعرف بحجة الإسلام، اشتهر بموسوعيته المنقطعة المثيل فقد كان أصوليا متكلما متصوفا فيلسوفا ومصلحا اجتماعيا.. طاف بمشارب متنوعة في التغيير الفكري والتربوي وبعد أن نال منها حظا وافرا مال عنها جميعا إلى مسالك التربية فانتهى في آخر أيامه متصوفا.. من أشهر مؤلفاته المنخول في أصول الفقه، وتهافت الفلاسفة، ومقاصد الفلاسفة

(269) اللمعات 171

في الفلسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، وإحياء علوم الدين...

نقل عنه النورسي في مقام مدح مسلكه التربوي، فجعله من ورثة الأنبياء الذين نالوا رتبة الولاية الكبرى ومقام الرضى[270]، ولهذا يطلب من المؤمنين الصادقين الاسترشاد بتعليماته ووضع أنفسهم دائما موضع التهمة[271]، وقد ورد عنه في سياق آخر إنزاله منزلة محققي الطرق الذين يرون " أن اتباع سنة واحدة من السنن النبوية يكون مقبولا عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة،إذ كما أن فرضا واحدا يرجح ألفا من السنن ، فإن سنة واحدة من السنن النبوية ترجح ألفا من آداب التصوف"[272]

يمثّل الإمام الغزالي - وفق فهم النورسي - أبرز الداعين إلى توحيد القبلة بالاتجاه المباشر إلى القرآن الكريم واتّخاذه أستاذا وحيدا، وهو طريق دفع الشكوك وقطع المقامات مع فتح أبصار القلب والروح والعقل،فسار فيها - المقامات - ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحة من غير غض ولا غمض، وبهذا يتميّز عما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار.[273]

كما استفاد منه كسابقه في الإجابة عن الأسئلة الاستفسارية، منها قوله: إن قول حجة الإسلام الإمام الغزالي من أن النشأة الأولى مخالفة تماما للنشأة الأخرى، هي مخالفة باعتبار الكيفية والصورة، وليست باعتبار الماهية والجنسية، لأنها معارضة لصراحة آيات كريمة كثيرة، مثل (**يحي**

(270) المكتوبات 361، أنظر الملاحق 101
(271) المكتوبات 577-578
(272) المكتوبات 588
(273) المثنوي العربي 30-31 (بتصرف)

الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)(الروم 19)، .. ثم أنه إشارة إلى أن الأمور الأخروية من حيث المرتبة رفيعة جدا"[274]

وهكذا جعل النورسي فكر الغزالي مصدرا مهما في التأسيس للمنهج التربوي القرآني المختار، فقد كان يتوخى من خلال الاستفادة من تجربته استثمار الخبرة المعرفية والتربوية الصوفية وربطها بالقرآن الكريم في آخر المطاف.

ج/ الكيلاني(الجيلاني):

عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد بجيلان سنة 470هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث والفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، يعد أحد أقطاب أهل السنة والجماعة، ومجدد عظيم في مسالك التربية الروحية، فقد اسلم على يديه كثير من المخالفين، من مؤلفاته: كتاب الغنية، وفتوح الغيب والفتح الرباني.. يعرف في بعض البلاد الإسلامية بمولى (صاحب) بغداد ،توفي ببغداد سنة561 هـ .

استعان به كسابقيه في التأسيس للمعاني التربوية الرفيعة، وفي هذا السياق يروي لنا النورسي كرامة من كرامات الكيلاني [275]، وخلاصتها أن عجوزا استغربت كيف يأكل ابنها – المتفرغ للتربية والتعليم على يد الشيخ – الخبز الأسود اليابس ويأكل شيخه الدجاج، فخاطب الشيخ الدجاج المطبوخ: " قم بإذن الله" فوثب إلى خارج الوعاء بعد أن اكتمل دجاجا حيا.. وينتهي بعد سرد تلك الكرامة إلى الغرض التربوي منها فيقول: فمغزى هذا الأمر الصادر من الشيخ الكيلاني هو: متى حكمتْ روحُ ابنك جسدَه وهيمن

---

(274) الملاحق 63-64

(275) اللمعات 214-215

قلبُه على نفسه، وساد عقلُه معدتَه، والتمس اللذة لأجل الشكر، عندئذ يمكنه أن يتناول ما لذّ وطاب من الأطعمة" .[276]

كان الكيلاني مصدرا مهما من المصادر الخاصة التي استثمرها النورسي في القراءة القرآنية للخبرة الصوفية، إذ كان يتخيّر منها ما يخدم الحقيقة القرآنية، وفي هذا النسق يمكن فهم دفاعه عن بعض الشخصيات الصوفية القلقة على حد تعبير بعض الباحثين[277]، واخترنا لبيان ذلك حديثه عن محي الدين بن عربي، وهذا ما نفرد له الفقرة اللاحقة.

د) محي الدين بن عربي:

محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، الشهير بابن عربي والشيخ الأكبر(560-638هـ)، اشتهر بمؤلفاته المنقطعة المثيل منها، الفتوحات المكية، فصوص الحكم..

يبيّن اهتمامه بابن عربي استفسار السائلين للنورسي عن معاني أقواله، إذ لو لم يكن له دراية بأقواله ما صح أن يطلب منه شرح أقواله، وفي هذا السياق سئل النورسي عن معنى قول الشيخ الأكبر في رسالته الموجهة إلى فخر الدين الرازي "إن معرفة الله غير معرفة وجوده".

و قد جعل النورسي هذا الاستفسار مطية للتعليق على المعرفة المستقاة بطريق التصوف فقال: "إن ما بيّنه أئمة أصول الدين.. فيما يخص العقائد ووجود الله سبحانه وتعالى غير كاف في نظر ابن عربي.. والمعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضا ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة، ذلك لأن ابن عربي يقول

---

(276) اللمعات 215

(277) أنظر موقف شيخ الإسلام مصطفى صبري في كتابه الرائع موقف العقل والعلم و العالم من رب العالمين وعباده المرسلين المجلد الثالث

"لا موجود إلا الله" لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، أمام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الأمر إلى إنكار الكائنات ".

يظهر مما سلف تقريره أن النورسي يرافع عن الإمام الأكبر بأسلوب المحامي المرافع بطريقة ذكية، ويتجلى هذا الموقف أيضا في موازنته بين رأيي شيخ الإسلام مصطفى صبري وشيخ الإسلام في روسيا موسى جار الله باكوف، استهل الموازنة ببيان الإفراط والتفريط الواقع في أقوالهما، حيث قال: "إن أحدهما قد أفرط والآخر يفرط، فمع أن مصطفى صبري محق في دفاعاته بالنسبة إلى موسى باكوف، إلا أنه ليس له حق تزييف شخص محي الدين بن عربي الذي هو خارقة من خوارق العلوم الإسلامية، نعم إن محي الدين بن عربي مهتد ومقبول ولكنه ليس بمرشد ولا هاد وقدوة في جميع كتاباته، إذ يمضي غالبا دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله - ظاهرا - الضلالة غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام قد يبدو كفرا بظاهره، إلا أنّ قائله لا يكون كافرا "

وتجاوبا مع هذا النسق تراه يستشهد للشيخ السابق بأقوال الإمام نفسه، وفي هذا يقول: " لقد قال محي الدين عربي: " تُحرم مطالعة كتبنا على من ليس منا"، ثم يضيف النورسي مفسرا وشارحا: " أي على من لا يعرف مقامنا، نعم إن قراءة كتب محي الدين ولا سيما مسائله التي تبحث في وحدة الوجود مضرة في هذا الزمان" .[278]

ويظهر لنا أن النورسي قد تعامل مع نصوص ابن عربي بمنهج نقدي اكثر جرأة وصراحة مقارنة مع ما لمسناه في تعامله مع نصوصه غيره من المتصوفة.

---

(278) اللمعات 445

يبيّن ما ذهبنا إليه جواب النورسي حين سئل عن مراد الشيخ بقوله: "إن مخلوقية الروح عبارة عن انكشافها "، فذكر بديع الزمان في ديباجة الجواب" إنك يا أخي بسؤالك هذا تضطرني إلى أن أناقش وأنا الضعيف العاجز خارقة الحقيقة وداهية علم الأسرار محي الدين بن عربي .. ويبرر جسارته على هذا الأمر بقوله: ولكن لما كنت سأخوض في البحث معتمدا على نصوص القرآن الكريم فسوف أستطيع أن أحلق أعلى من ذلك الصقر وأسمى منه وإن كنت ذبابة "

ويستمر وفق نسقه السابق مادحا " اعلم أن محي الدين لا يخدع ولكن ينخدع، فهو مهتد، ولكنه لا يكون هاديا لغيره في كل ما كتب، فما رآه صدق وصواب ولكن ليس الحقيقة "

ويتجلى تعامله النقدي الحر مع نصوص الشيخ في كثير من المواضع، وصل الأمر به حد النقد اللاذع، يشهد لهذا قوله: " ولما كان الشيخ قد انتهج مسلكا مستقلا وكان صاحب مشرب مهم وله كشفيات ومشاهدات خارقة فإنه يلجأ باضطرار إلى تأويلات ضعيفة وتكلف وتمحّل ليطبق بعض الآيات الكريمة حسب مشربه و مشهوداته، مما يخدش صراحة الآية الكريمة ويجرحها" .[279]

وهكذا كان النورسي متحررا من ضغط الألقاب والشهرة في تقويم جهود الرجال أو استثمار جهودهم، فرغم كل ما قاله عن محي الدين بن عربي فقد استصحب بعض معاني أقواله في التعبير عن الحقائق القرآنية.

يستشف مما سلف أن النورسي قد اتّخذ الخبرة المعرفية الصوفية الخاصة مصدرا مهما في التأسيس لرسائل النور التي تتوخى قراءة الخبرة

(279) اللمعات 52

المعرفية التربوية الإسلامية بالقرآن الكريم، كما استغلها في الدعوة إلى تمثّل منهج القرآن الكريم في عرض حقائق الإيمان.

*** المصطلح الصوفي**

قراءة رسائل النور تبيّن استثماره للمصطلح الصوفي على تنوّع مشارب رجاله، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولا : تكاد تكون أدبيات النورسي طافحة بالعبارة الصوفية الرقيقة، عبارة تحرك القلوب و المشاعر بموسيقاها ودقة ألفاظها، و يظهر استثماره للخزان المعجمي الصوفي بشكل ملفت للانتباه، منها قوله: **التوحيد الحقيقي** وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى **الشهود** بوحدانيته سبحانه وبصدور كل شيء من يد قدرته"[280]، ويقرب من هذا المعنى ما ذكره في كتاب آخر:" إن جميع هذه العبادات **المشاهدة** تشير إلى المعبود الحق **الواجب الوجود** وإلى وحدانيته"**.**

وقال أيضا: "أما الفاعل الحقيقي فهو القدرة الصمدانية، لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا" .[281]

ثانيا: يتجلى توظيف المصطلح الصوفي من خلال الاستثمار التحليلي للمعارف الصوفية، وهو إقرار بالقيمة العلمية والتربوية للمعارف الصوفية، يرى هذا النوع الاستدلالي في مخاطبة **الوجدان** و**القلب**، وهي مخاطبة تشغل حيزا كبيرا في مجموع مؤلفاته.[282]

*** علم التصوف الجديد:**

رغم كل ما نقلناه عنه من استثمار للخبرة الصوفية العامة والخاصة وهيمنة الاصطلاح الصوفي على مؤلفاته، يؤكد النورسي في أكثر من موقع

---

(280) الكلمات 326

(281) الكلمات 791

(282) تكاد تطبق رسائله على ذكرها.

أنه ليس صوفيا " إنني لست شيخا صوفيا، وإنما أنا عالم ديني، والدليل على هذا، أنني لو كنت قد علّمت أحدا من الناس الطريقة الصوفية، طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا لكان، لكم الحق في الارتياب.." .[283]

ويؤكد هذه المعاني في سياق نقد التصوف بصفة عامة.[284]

ومع هذا التنصّل من التصوف ونقده نقدا لاذعا، نراه يحدّثنا عن الطريقة الصوفية وعلاقتها بالسنة المطهرة بمنهجية تبيّن أن النقد السابق يحتاج إلى تقويم في سياق المدح الذي يوجّهه للطريقة الصوفية، ولا يتأتى القيام بذلك قبل البيان المفيد لعلاقته بالطريقة الصوفية.

يقول عندما سئل عن ماهية الطريقة " إن غاية الطريقة وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية القرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود، فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع وكمال بشري سام".[285]

ويبيّن في المسار نفسه مجمل ثمرات الطريقة وفوائدها:

1) ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بوساطة الطريقة الصحيحة المستقيمة، هذه الحقائق التي هي منابع خزائن أبدية وسعادة دائمة وكنوزها ومفاتيحها.

2) تحقيق الوجود الحقيقي بانسياق لطائف الإنسان جميعا إلى ما خلقت لأجله، وذلك بأن تكون الطريقة واسطة لتحريك قلب الإنسان الذي يعتبر مركزا لجسمه ولولبا لحركته وتوجيهه إلى الله، فيندفع بهذا كثير من اللطائف الإنسانية إلى الحركة والظهور فتتحقق حقيقة الإنسان.

---

(283) المكتوبات 79، اللمعات 245

(284) أنظر المكتوبات 589

(285) المكتوبات 571

3) التخلص من وحشة الانفراد و الوحدة في السير والسلوك، والشعور بالأنس المعنوي في الحياة الدنيا والبرزخ بالالتحاق بإحدى سلاسل الطريقة عند سيرها وتوجهها وسفرها نحو الحياة البرزخية ونحو الحياة الأخروية...

4) خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه في حياته الدنيا.

5) الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية وتقديرها بوساطة القلب المنتبه بدوام ذكر الله، كما يعينه على ذلك المنهج التربوي للطريقة، وبذلك تكون الطاعة والعبادة مثار اشتياق وحب، لا مثار تعب وتكليف.

6) نيل مقام التوكل، ودرجة الرضى، ومرتبة التسليم، هذه المقامات هي السبيل إلى تذوق السعادة الحقيقية والتسلية الخالصة واللذة التي لا يشوبها حزن، والأنس الذي لا تقربه وحشة.

7) نجاة الإنسان من الشرك الخفي والرياء والتصنّع وأمثالها من الرذائل بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدى السالك وأهم نتيجة لها.

8) جعل الإنسان عاداته اليومية بحكم العبادات وأعماله الدنيوية بمثابة أعمال أخروية، والإحسان في استغلال رأس مال عمره من الحياة بدقائقها وجعلها بذورا تتفتّح عن زهرات الحياة الأخروية وسنابلها.. بدوام الذكر القلبي، والتأمل العقلي، مع الحضور القلبي الدائم والاطمئنان، ودوام شحذ الإرادة والنية الصافية، والعزيمة الصادقة التي تلقنها الطريقة.

9) العمل للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل، وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه، وأثناء معاناته الروحية التي تسمو بحياته

المعنوية، أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق، أي نيل حقيقة الإيمان والإسلام لا صورتيهما.[286]

يتجلى فيما ذكره من فوائد الطريقة وثمارها مدح مسالك الطريقة، كما يستشف مما سبق بيانه الانتقاص من المسلك نفسه، فما سبيل التوفيق بين الموقفين؟

الجواب التفصيلي عن سؤالنا يتجلى في الميزات العامة للتصوف في فكر النورسي.

مميزات التصوف الجديد:

1) القرآن مصدر المعارف الروحية:

من أهم ميزات التصوف في فكر النورسي أنه يستمد مادته من القرآن الكريم، من هذا المنطلق يوازن بين مدحه للتصوف أحيانا والقول بعدم كفايته حينا آخر، فما مدحه يتجلى فيه خدمه الجوانب التربوية من الحقائق الإيمانية القرآنية، أما الذي اتّخذ منه موقفا غير هذا فلا شك أنه يعد مخالفا للغايات التربوية التي يتوخاها الخطاب القرآني.

إن انتقائية التعامل مع الخطاب الصوفي في فكر النورسي مرتبطة أساسا بما تحقق تلك المعارف من غايات تربوية قرآنية، فما وافقها حمده ودافع عنه وما كان مخالفا لها أبعده أو التمس له العذر على الأقل، وهذه تجرنا منهجيا إلى الحديث عن الميزة الثانية.

2) رفض البداية الصفرية

(286) المكتوبات 591-593

يعد احتفاله الكبير بالمصادر الصوفية العامة والخاصة دليلا قاطعا على رفض البداية الصفرية في التأسيس المعرفي للمحتوى التربوي المستفاد من الحقائق الإيمانية القرآنية، ويؤكد هذا المعنى مجموع فهارس كتبه، أنظر فهارس الجماعات والقبائل والأمم فستجد ذكرا لا يستهان به لأهل التصوف وبأساليب متنوعة، كما تجد المعنى نفسه في فهرس الأعلام والفهرس التحليلي، وتظهر المعاني نفسها فيما سبقت الإشارة إليه من توظيف لثمار الفكر الصوفي على تنوّع مشاربه.

3) التراكم المعرفي:

حاول النورسي التأسيس العقلي للعلوم القلبية، ومسلك ذلك استثمار المعارف الجامعة بين خدمة العقل والقلب في إطار تراكمي يجمع قول السابق إلى اللاحق بغرض خدمة حقيقة إيمانية ظاهرة مؤداها إقناع العقل وتحريك القلب، يؤكد هذه المعاني قوله: " ليس من العقل ربط القلب بأشياء فانية"[287]، كما يمكن أن يستشف المعنى ذاته من قوله: "جميع الأولياء الذين يمثلون أقطاب القلوب المنورة معتمدين على كشفياتهم وكراماتهم"[288]، وهو بهذا المسلك حاول الجمع بين مسلكي التصوف والكلام في نسق واحد وسياق واحد، بحيث يخاطب العقل والقلب في اللحظة نفسها بل قد يجمع إليهما كثيرا من المعارف الأخرى المساهمة في تمكين المعرفة القرآنية من نفوس المسلمين، فتراه يستعين بالفقه والحديث... وكل ما شأنه أن يفيد في بيان الحقائق الإيمانية القرآنية ... وكل ذلك يؤكد تطبيقه منهج التراكم المعرفي في خدمة القرآن الكريم بغرض تمكين الإيمان من المجتمع المعاصر.

4) أقصر طرق تحقيق مقاصد الحقائق:

---

(287) اللمعات 174

(288) الكلمات 790

بيّن مما سبق بيانه أن المسلك القرآني في التأسيس لمقاصد الحقائق هو أقصر طرق تمكين تلك الحقائق من قلوب الأتباع، " لأن المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلا عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه،... بينما المعرفة المستفادة من التصوف ناقصة وقاصرة ومبتورة أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة[289].

كما أن العصر ليس عصر طريقة بل هو عصر القرآن الكريم الذي يستدعي التوجّه المباشر إليه بغرض العمل على تمكين حقائقه الإيمانية من النفس والمجتمع.

5) متجاوب مع طبقات البشر:

الخطاب التربوي (الصوفي) القرآني في متناول جميع طبقات البشر، إذ يجد فيه العامي ما يشبع حاجته كما يجد فيه العالم المتخصص ما يشبع جوعه الروحي والمعرفي، بل يجاوز ذلك إلى جمع المسلمين على تنوّع مشاربهم على محتوى روحي وتربوي واحد، بحيث تأمن شر الإنكارعليك من قبل المبتدع بالدرجة نفسها إلتى تتحرر من المخالف المسلم، لأنّ القرآن الكريم محل إجماع المسلمين قاطبة، وبدعوتنا إلى ما حواه من توجيهات روحية وتربوية نكون قد جمعنا المسلمين على المعاني المشتركة بينهم جميعا، فتكون كلمتهم مجموعة مسموعة بفضل القرآن الكريم.

---

(289) المكتوبات 424-425(بتصرف)

رابعاً: الوجدان كمصدر من مصادر المعرفة

الوجدان والشعور

الوجدان بيت الشعور بما يطرأ على المرء من المعاني المؤلمة أو السارة لهذا " لا تحوج الوجدانيات إلى كثير بيان لأن الاختيار في الإنسان يشعر به كل واحد" [290]، لهذا استأنس به بعض الباحثين المسلمين، واعتبره النورسي إتباع الذوق السليم والغرائز السننية البسيطة[(291)] والتصديق بما دلت عليه حينما يؤثر فيها أسباب ما تأثيرا بالغا في قوته بحيث لا يستطيع أن يمنعها إلا بعنف شديد[(292)].

يفهم من كلام النورسي اعتبار الوجدان حكما عدلا على قول الكوثري[(293)]، لكن هل يمكن اعتبار الوجدان حكما يحتكم إليه؟ وهو ليس إلا قوة من قوى الإنسان التي يختص برغبة معينة دون أخرى؟ فكيف يستساغ جعل وعاء الشعور الشخصي حكما على الآخرين؟

إن أحسن أحوال الوجدان أن يكون متلقيا عن الله سبحانه وتعالى وليس من وظيفته أو مهامه الحكم... وإذا كان الوجدان على وفق ما ذكرنا فإنه لا يمكن أن يكون مصدرا لدليل يقيني.. [(294)].

إن النقد الآنف لا ينسحب على ما نقلناه عن العلامة النورسي لأنه لم ينزله تلك المنزلة نظرا لاستعماله بمعنى آخر غير الذي أشرنا إليه، فقد

---

(290) الاستبصار في الجبر والاختيار/ زاهد الكوثري 26، الطبعة الأولى ، مطبعة الأنوار القاهرة 1370ه/1951م

(291) وهو مصطلح إسلامي أصيل يحمل بين طياته الرؤية التوحيدية لعالم الأشياء على خلاف ما تحمله المصطلحات الأخرى نحو الطبيعية...

(292) الكوثري وآراؤه العقدية "المنهج والتطبيق"297-298(بحثنا المقدم لنيل درجة الدكتوراه دولة في العلوم الإسلامية (الجزائر1996/1997)

(293) الاستبصار 6

(294) الكوثري وآراؤه العقدية 299-300

وظفه بمعنى الفطرة الشاعرة حيث يقول تحت عنوان البرهان الرابع:"هو وجدان الإنسان المسمى **بالفطرة الشاعرة** ولكي تحيط بهذا البرهان أمعن النظر في النكات الدقيقة الآتية:

1- **النكتة الأولى** :

الفطرة لا تكذب، لأن خالقها فطرها على الصدق من حيث هي، بحيث إذا طلب من الإنسان التعبير عما تحويه من حقائق دون ضغط أو إكراه نطقت بما جاء به النبيρ.

2- **النكتة الثانية:**

لا تقتصر حواس الإنسان الظاهرة والباطنة على الخمسة المعروفة.. وإنما لها نوافذ كثيرة مطلة إلى عالم الغيب.. حاسة السوق وحاسة الشوق لديه حواس لا تكذب و لا تزل.

3- **النكتة الثالثة:**

لا يمكن أن يكون شيء موهوم مبدءا لحقيقة خارجة، فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان..

4- **النكتة الرابعة :**

إن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه.. إلى أن يقول: فالانجذاب والجذبة مغروز في الفطرة ليس إلا من جاذب الحقيقة..[295]

يتضح مما سلف أنه لا يقصر الوجدان على بيت الشعور بل يستعمله بما هو أوسع من ذلك، فهو عنده التوحيد نفسه وليس الاستعداد للتوحيد وفق ما قرره بعض معاصريه من علماء الإسلام الأتراك.[296]

---

(295) المثنوي العربي 430-431

الاستدلال بالوجدان

يفهم مما نقلناه أن الوجدان عند النورسي يشمل التوحيد والاستعداد للاستدلال عليه بما زود البشر من العلم الضروري المغروز في فطرهم، ولاشك أن هذه المعلومات معلومة ضرورة لكل متحرر من المكبلات الإيديولوجية.

والوجدان بهذا المعنى هي الفطرة بمحتواها التديني والمعرفي، فالدين هو التوحيد نفسه ويبيّنه ما ورد في الحديث الصحيح **"ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يمجسانه.. "**[297]، وورد في حديث آخر: **"إني خلقت عبادي حنفاء كلّهم وإنّهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينه.. "**[298] ...تدل النصوص الحديثة على إمكان طروء الفساد على الفطرة بمحتواها الديني، ولكن ليس بمستطاع البشر صد البشر عن المحتوى المعرفي للفطرة نفسها، لأنه ليس بمقدورهم الانفكاك عنها في مجالات حياتهم العلمية والعملية، فهل يتصور إمكان انفكاك البشر عن الاستدلال بالأثر على المؤثر في مجالي العلم والعمل؟ وإن أمكن تصور عدم تقيّدهم بالدين الإسلامي ؟.

يظهر من خلال عدم إمكان الانفكاك عن المحتوى المعرفي للفطرة وإمكان الانفكاك عن محتواها الديني، أن توظيف الأول (**المحتوى المعرفي**) مطيّة لإرجاع البشر إلى الفطرة السليمة في محتواها الديني، إذ

---

(296) أنظر بحثنا " منهج الاستدلال على العقائد" القسم الأول "21-40 مجلة الموافقات العدد 2/ سنة 1993/1992

(297) أخرجه الإمام البخاري /كتاب الجنائز حديث رقم 1270، وأخرجه الإمام مسلم/ كتاب القدر الحديث رقم 4807 ، بلفظ" كل إنسان تلده أمه على الفطرة فأبواه بعد يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه ...

(298) أخرجه الإمام أحمد في مسنده/ مسند الشاميين الحديث رقم 16837

خلاصة الاستدلالات تنتهي في آخر تحليل لها إلى العلم الضروري (بصرف النظر هل هو حصولي أو حضوري؟).

يتجلى مما سلف أن البشر يرجعون إلى الفطرة بالفطرة عند النورسي[299]، لهذا يقال يعرف (بضم الياء) الله بالفطرة وبالفطرة يستدل على عقائد الفطرة بل وحتى أخلاق الفطرة تجب بالفطرة أيضا، مع ملاحظة المعاني الدقيقة للمحتوى المعرفي لاستعمالات الفطرة في كل مرة.

التحليل الشخصي:

تبين عناوين مؤلفاته الاعتداد **بتجاربه الشخصية** سواء في الفهم أو الإفهام منها قوله في مطلع أحد كتبه: "دعيت لزيارة أنقرة سنة **1338هـ/1922م** وشاهدت فرح مؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي إلا أنني أبصرت – خلال موجة الفرح هذه – زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الطارئة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها.. فتأسفت من أعماق روحي.. لذا فقد انتشرت أوهام ذلك الإلحاد واستشرت في صفوف الناس مع الأسف الشديد، مما اضطرني إلى إعادة كتابة تلك الرسالة وبراهينها**..** [300]**.**

وذكر في كتاب آخر: " إنني كتبت **مشاهداتي** كما تراءت لي وفق فهمي، كتبتها لنفسي، فهي لم تكتب شأن الرسائل الأخرى بمستوى فهم الآخرين ومدى تلقيهم.[301]

---

(299) الفطرة الدينية تتلطخ بدليل ما من السنة(فأبواه...) أما الفطرة التي خلق الله العقول عليها فليس بمقدورهم الانفكاك منها ، لهذا يرجعون إلى الفطرة التوحيدية بالفطرة العقلية.

(300) اللمعات 267

(301) الشعاعات 133

جعل النورسي التجارب الشخصية مسلكا رئيسا لتبليغ الأحاسيس التي تعجز العبارة المجرّدة عن تبليغها، وهو بذلك يمثّل الأنموذج الحضاري المتعدد التخصصات، يتجلى ما ذهبنا إليه في الملاحظات الآتية:

1) تبليغ التجربة السياسية، فكان يحدّثهم عن مشاهدة ومعاينة يومية لا عن سماع خبر، والبون شاسع بين الحكاية عن المعاينة والحكاية عن خبر، فالفرق بينهما كالفرق بين المخبر عن تذوّقه والمخبر عن تذّوّق غيره.

2) توصيل الخبرة التربوية من خلال العيش النفسي داخل النسق القرآني، وكأنه يحدّثنا عن تأثير الخطاب القرآني في نفسه ونفوس عظماء الأمة من الأنبياء والشهداء والصالحين...

3) التأصيل لموضوع المعارف الإسلامية كلاما وتصوفا وفقها وسياسة و..ويتم ببيان فضل التأصيل القرآني لتلك المعارف في بعث الالتزام نظرا لفاعليته العجيبة في النفس والعقل والقلب..

الفصل الخامس

يقصد بمصطلح أشكال الأدلة مجموعة القوالب الاستدلالية في مجالي التأسيس للحقائق الإيمانية القرآنية أو إبطال أقوال الخصوم بغرض تخلية القلب منها وتحليته بالإيمان، وقد قسّم النورسي أشكال الأدلة إلى أنواع كثيرة وباعتبارات مختلفة.

1) باعتبار العلاقة بين العلة والمعلول:

استفاد النورسي في تقسيم الأدلة بهذا الاعتبار من جهود المتكلمين، إذ قسمها إلى دليل لِمّي ودليل إنّي.

1/1 **الدليل اللمّي:**

صوّره النورسي وفق مسالك المتكلمين فقال هو الاستدلال بالمؤثر على الأثر[302]، وقد يقال فيه هو الاستدلال بالعلة على المعلول، الاستدلال بالخالق على الخلق، لهذا هو استدلال تنازلي من الأعلى إلى السفل.

ذكر النورسي في هذا السياق أنه أقل سلامة من الدليل الإنّي، ولكنه في مقام آخر يحتج به فيعتبر كلمتي (الألوهية والنبوة) الشهادة كل منها شاهد صادق على الأخرى، .. فالألوهية برهان لمي للنبوة.[303]

ركزنا في هذا السياق على الجانب الإنشائي، وقسمناه وفق ما أورده النورسي نفسه.

وبيّن مما سلف أن هذا الدليل معتمد عند علماء التصوف وخاصة أهل وحدة الوجود و وحدة الشهود، عمدة هذا الدليل، الاستدلال بالله على الخلق بطريق جواني يستدعي حضورا قلبيا كبيرا وتمكنا من المصطلح الصوفي،

---

(302) أنظر إشارات الإعجاز 150، أنظر المواقف/ الإيجي 14

(303) صيقل الإسلام 119

ومن دخل رحاب الدليل اللمي بغير هذا الزاد صعب عليه فهمه، وقد يؤول به الأمر إلى اتهام المستدلين به.

لقد اختار الشيخ عدم القول بأولوية هذه الحجية ولكنه في ذات الوقت لم ينكر إمكان الاحتجاج بها، وفي ذلك دلالة قاطعة على منهجه الانتقائي في التعامل مع الخبرة الكلامية والصوفية، وهذا وفق ما تمليه وظيفة إثبات الحقائق الإيمانية.

2/1 الدليل الإني:

يعتبر الدليل الإني عكس الدليل اللمي، فهو استدلال بالأثر على المؤثر[304] أو دلالة المعلول على العلة أو السبب على المسبب.. لهذا يعد استدلالا تصاعديا من الأسفل إلى الأعلى من الآفاق والأنفس إلى خالقها، ونظرا لتلك الصلة الواضحة بين المقدمات والنتائج اعتبر هذا الدليل من أسلم الأدلة، وهذا ما يبرر اعتماد الأغلبية الغالبة من المتكلمين على هذا الدليل بمختلف أشكاله.

يكثر النورسي من توظيف هذا الدليل بأشكاله المختلفة، ومؤلفاته طافحة بذكر هذا النوع من الأدلة، تجده في مجمل الأدلة الآفاقية والأنفسية على تعبير النورسي، فجعله عمدته في أدلة الإمكان وأدلة الحدوث في أشكالها الشهيرة بالعناية والاختراع و..، كما استدل به في أسلوب رائع لم يسبق إليه - حسب تقديرنا - حين جعل الكلمة الثانية (أشهد أن محمدا رسول الله) من كلمتي الشهادة دليلا إنيا على الألوهية، فقال: **ومحمد ρ بذاته وبلسانه برهان " إنّي" للألوهية.**[305]

2) تقسيمها باعتبار موضوع الدليل:

---

(304) إشارات الإعجاز 150، انظر المواقف للإيجي 14

(305) صيقل الإسلام 119

قسّم النورسي الأدلة باعتبار موضوع الدليل إلى آفاقية وأنفسية، وذلك بحسب ما يقوم عليه موضوع الدليل، لهذا يرى النورسي أن دلائل الوجود قسمان: آفاقي وأنفسي.

1/2 القسم الأول الآفاقي:

يركّز القرآن الكريم كثيرا على هذا النوع من الاستدلال إذ يعد الكون دليلا قاطعا في كلياته وجزئياته على وجود الخالق، ومبنى هذا الدليل النظر في الكون إما من جهة الاختراع أو من العناية التي تحيط به من كل جانب، أو من جهة النظام أو الغائية في صيرورة حركاته إلى غايات معيّنة ،جعلت في آخر المطاف في خدمة الإنسان، وقد أعمله النورسي في دليل العناية ودليل الاختراع.

2/2 القسم الثاني: الأنفسي

يستفاد موضوع هذا الدليل من الإنسان كدليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وقد قسّمه النورسي إلى قسمين:

1/2/2 الأنفسي النفسي:

جعل الإنسان الفرد المعيّن المخاطب في هذا السياق دليلا على وجود الخالق، وهو من أوضح الأدلة وأقربها للتداول، استنبطها بديع الزمان من قوله تعالى: **"الذي خلقكم"،** لاحظ أنه انطلق من الإنسان المتحقق الوجود، بمعنى أنه دليل يستمد مادته من نظر الإنسان إلى نفسه، وهذا ما جعل النورسي يسميه الدليل النفسي.

2/2/2 أنفسي أصولي:

جعل عمدة موضوعه النظر في الأصل الإنساني في تاريخه القريب والبعيد، فجعل التاريخ البشري للأمم الغابرة حجة على الأمم الحاضرة والمستقبلة، وهذا باعتبارهم من جنس واحد و من أب واحد، وتوالدوا

بطريقة واحدة، وقد استفاد هذا الدليل كسابقه من القرآن الكريم، مستنبطا من قوله تعالى: **"والذين من قبلكم"**

3- تقسيمه باعتبار الصلة بين المقدمة والنتيجة:

تعد العلاقة بين المقدمات من النتائج متنوّعة، فقد تكون المقدمة عامة والنتيجة جزئية وقد تكون النتيجة أعم من المقدمة، كما قد تتساوى المقدمة والنتيجة، وبهذا الاعتبار يستفاد من عبارات النورسي تقسيم الأدلة إلى قياس واستقراء.

1/3 القياس:

وظّف النورسي القياس الاستثنائي والقياس التمثيلي، فعن الأول يقول في تفسير قوله تعالى: **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** (آل عمران31): "..إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبته من قسم القياس الإستثنائي، ضمن المقاييس المنطقية، إذ يرد فيه على وجه المثال "إذا طلعت الشمس فسيكون النهار" ويرد مثالا للنتيجة الإيجابية "طلعت الشمس فالنهار إذا موجود"، وأورد مثالا للنتيجة السلبية "لا نهار فالشمس إذا لم تطلع" فهاتان النتيجتان - الإيجابية والسلبية - ثابتتان وقاطعتان في المنطق، وكذلك الأمر في الآية الكريمة..

ويخلص أخيراً إلى الغرض التربوي من ذكر القياس الآنف الذكر، فيقول: إن كان لديكم محبة الله، فلا بد من الاتباع لـ"حبيب الله"، وإن لم يكن هناك اتباع، فليس لديكم إذا محبة الله، إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما اتباع السنة الشريفة لـ" حبيب الله"[306]

(306) اللمعات 84-85

أما بالنسبة للقياس التمثيلي فله فيه اصطلاح خاص مفاده استخدام الأمثلة وفق ما ورد في المثل السائر "بالمثال يتضح المقال"، جعل من الأمثلة المتشابهة حجة على ما يراد الاستدلال عليه، وبهذا فهو لا يقصد القياس التمثيلي الذي تتساوى فيه المقدمة والنتيجة وفق مسلكي الفقهاء(307) أو متقدمي المتكلمين، بل يريد معنى آخر غير ما ذهبوا إليه، قوام هذا الدليل النماذج المستفادة من الآفاق أو الأنفس بوصفها أمثلة أو واسطة استدلال، يؤكد هذه الفكرة قوله :" أساس التمثيل هو التشبيه، ومن شأن التشبيه تحريك حسّ النفرة أو الرغبة أو الميلان أو الكراهية أو الحيرة أو الهيبة، فقد يكون للتعظيم أو التحقير أو الترغيب أو التنفير أو التشويه أو التزيين أو التلطيف إلى آخر.. فبصورة الأسلوب يوقظ الوجدان وينبّه الحس بميل أو نفرة "(308)

2/3 الاستقراء:

يعتبر الاستقراء استدلالا تصاعديا يبدأ بالجزئي ليخلص إلى الكلي، لهذا كانت المقدمات أقل أو تساوي النتائج، فإذا كان الاستقراء ناقصا كانت المقدمات أقل من النتيجة، أما إذا كان الاستقراء تاما فإن النتيجة تساوي المقدمة، والغالب أن الاستقراء التام غير متاح إلا أن الاستقراء الناقص (رغم كونه ناقصا) فقد يفضي إلى اليقين(309)، وقد جعل النورسي نوعا من الاستقراء الناقص في حكم الاستقراء التام بالنظر إلى قطعية النتائج التي

---

(307) قياس جزئي على جزئي، بحيث تلاحظ تساوي المقدمة مع النتيجة، كالاستدلال على حرمة النبيذ بحرمة الخمر للاشتراك في العلة، وقد استثمر بعض متقدمي علماء الكلام هذا النوع من الاستدلال فوضعوا قاعدة "البلكفة" مستنبطة من قوله تعالى **"ليس كمثله شيء"** أنظر مقدمة ابن خلدون، وأنظر فلسفة علم الكلام للأستاذ عبد العزيز سيف النصر، وانظر بحثنا الكوثري وآراؤه العقدية المنهج والتطبيق.

(308) إشارات الإعجاز 117، وانظر 43، 65

(309) أنظر الأسس المنطقية للاستقراء/ باقر الصدر

تنـال بطريقه، لأننـا لا يمكن إحصاء عدد الحـالات المتتبعـة فـي الاسـتقراء، لهذا فهي في حكم التام و نتيجتها قطعية، إذ مفاد هذا الاستدلال احتواؤه على قياس خفي مفاده لو لم يكن الأمر حقا وحقيقة ما ساغ لنا قبول تلك الاتفاقات الكثيرة عددا حال وجودها، ولهذا إذا كانت الحالات المتتبعة في الاستقراء كثيرة كثرة يستحيل إحصاؤها وكانت دلالتها جميعا على حقيقة واحدة آل القول بنقيض تلك النتيجة إلى المحال العقلي، لأنها لكثرتها وتناغمها في الدلالة على الشيء نفسه كان القول بعدم صحة نتيجتها نوعا من الجنون أو المكابرة، لهذا يقول النورسي: "إن أكمل الكل محمد ρ تشهد له معجزاته وأخلاقه السامية، كما يصدّقه علماء البشر المحققون، بل يسلّم به أعداؤه، وعليهم أن يسلّموا..أيقتدر نوع البشر بشقاوته على جرح شهادة تلك العلوم ونقض **الاستقراء التام** و التمرد على مشيئة ربه؟ كلا.. لا يقتدر ولن يقتدر"[310]، كل ذلك حسب تقديرنا بسبب دلالة القطع واليقين المستفادة من الاستقراء التام.

4- الأدلة القرآنية

ارتضى لنفسه تقسيم الأدلة القرآنية وفق نسق **ابن رشد الحفيد**[311]، إذ قسما تلك الأدلة إلى نوعين، قال النورسي: "للقرآن الكريم في معرفة الله سبحانه واثبات وحدانيته طريقتين:

الأولى: دليل العناية والغاية

الثانية: دليل الاختراع

1/4 دليل العناية والغاية:

(310) صيقل الإسلام 54،141، اللمعات 105، إشارات الإعجاز 165،193...

(311) أنظر مناهج الأدلة في عقائد الملة/ابن رشد بتحقيق الدكتور محمود قاسم

تدل ألفاظ العنوان على أن المراد منه هو إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات وما فيها من رعاية المصالح والحكم" إذ النظام المندمج في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحجم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والإتفاق الأعمى"[312].

2/4 دليل الاختراع:

يرسّخ القرآن الكريم هذا الدليل في آياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد، ويؤكد في أسلوب لا لبس فيه أن لا مؤثر إلا الله وحده.

"إن الله قد أعطى لكل فرد، ولكل نوع، وجودا خاصا، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة، إذ لا نوع يتسلسل أزلا، لأنه من الممكنات..". [313]

3/4 شهادة الكون

يظهر توظيفه لشهادة الكون على واجب الوجود في استعماله المتعدد لدليل النظام، ويتجلى تنوع الاستعمال في مواقف كثيرة من مؤلفاته[314]، كما يمكن أن يستشف أيضا من دليل التناغم والتنوع.[315]

قال النورسي مبينا ما سبقت الإشارة إليه: "إن ما يبدو عيانا في جميع المصنوعات المبثوثة على صفحات الكون من مظاهر النظام والموازنة تامة.. دليل واسع سعة الكون على الخالق القدير وشهادة صادقة قاطعة على وحدانيته سبحانه وقدرته المطلقة"[316].

---

(312) المثنوي العربي 428

(313) صيقل الإسلام 124-125

(314) الشعاعات 182،184،665، الملاحق 284،295

(315) الكلمات 60،61،143،... المكتوبات 254،284،298،301،... الشعاعات 39، 46، 65،90،...

(316) الكلمات 789

وقال أيضا: "أختام الوحدانية الواضحة على مجموع الكون، وعلى كل نوع فيه وعلى كل فرد فيه..[317]، فالنظام الرصين في الكون، والانتظام الرائع في المخلوقات كافة، والموازنة بين الموجودات.. يشهد شهادة واضحة على الوحدانية"[318]

وقال تحت عنوان النظام الكامل المقصود: "إذا تأملنا في أرجاء الكون نرى أن هناك نظاما كاملا وتناسقا بديعا مقصودا في جميع أجزائه.. فنظام العالم هذا يشير إلى تلك السعادة الأبدية وحياة الخلود"[319] وعبر عن الفكرة نفسها بالتناسق والتساند الوظيفي.[320]

5- شهادة الإنسان

1/5 تعرف بشهادة الأنفس، والتي عبّر عنها النورسي بأساليب شتى منها قوله: " تأمل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك من حدود متعرجة والتواءات دقيقة.. وتأمل في فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة... فتلك الموجودات غير المحدودة تدل على واجب الوجود، وتشهد بألسنة لاتحد على وحدانيته وكمال قدرته"[321]

2/5 استدل أيضا بدليل الافتقار حيث يقول:ألا يدل هذا الافتقار، وهذه الحاجة في المخلوقات وهذا النمط من الإمداد والإعانة الغيبية على رب حكيم ذي جلال مدبّر رحيم ذي جمال"[322]

---

(317) الكلمات 709 الهامش
(318) اللمعات 551
(319) الكلمات 613
(320) اللمعات 540
(321) الكلمات 794(بتصرف)
(322) الكلمات 399

ووظف فكرة الافتقار في كثير من كتبه منها على سبيل المثال لا الحصر قوله:

" تشاهد في الموجودات جميعها افتقارا إلى حاجات مختلفة ومطالب متنوعة لا تحصى.. فإن شئت فتأمل في نفسك تجدها مغلولة الأيدي إزاء كثير مما يلزم حواسك الظاهرة، أو يشبع رغباتك الباطنة... فقس على نفسك نفوس جميع الأحياء.. يظهر للعقل المنصف أنه سبحانه في منتهى الكرم والرحمة و الربوبية والتدبير.. [(323)]

6- شهادة أهل العلم

استشهد بشهادات أهل العلم في كثير من كتبه منها ما أورده في مقام الاحتجاج على صدق النبي، وفي ذلك نقل لنا إجماع أهل العلم "الإجماع الثالث: هو تصديق الجماعة العظيمة من العلماء الأجلاء الذين لا يعدون ولا يحصون.."

ويركز في استشهاده على أقوال أفذاذ العلماء المتبحرين في علومهم والمحققين المدققين الذين نشأوا في أمته وسلكوا مسالك شتى ولهم في كل عصر آلاف من الحائزين على قصب السبق في كل علم ... ليخلص بعدها إلى القول: " فتصديق هؤلاء جميعا له بالإنفاق وبدرجة علم اليقين إجماع أي إجماع"[(324)]

7- الأدلة الكلامية

استفاد النورسي من الخبرة الكلامية في سياق خدمة الحقائق الإيمانية القرآنية، وبهذا الصدد وظف الدليل الإني والدليل اللمّي، كما وظّف دليل التمانع ودليل الحدوث ودليل الإمكان...

---

(323) الكلمات 784(بتصرف)

(324) الشعاعات 172-173

1/7 دليل التمانع:

اقتبس النورسي هذا الدليل من الخبرة الكلامية، وقد دفع إلى توظيفه بسبب علاقته الجلية بالقرآن الكريم ، وخاصة من قوله تعالى: (**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**)(الأنبياء22)، وأورده بديع الزمان في سياق التأسيس الاستدلالي للتوحيد.

يقول رحمه الله معلقا على الآية السابقة:" وما تضمنته الآية.. من برهان التمانع دليل كاف ومنار نيّر على أن الإستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية، ثم في هذه الآية رمز إلى دليل لطيف على التوحيد وهو: تعاون الأرض والسماء ومناسبتهما في توليد الثمرات - لتعيّش البشر والحيوان - ومشابهة آثار العالم وتعانق أطرافه وأخذ بعض يد بعض بتكميل بعض انتظام بعض، وتجاوب الجوانب وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوّح بل تصرّح بأن صانع هذه الماكنة واحد وتتلو على كل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنّه واحد[325]

يشارك النورسي علماء الكلام في تبني دليل التمانع، ويتميّز عنهم بجعله دليلا يقينيا، أي أنّه يخالفهم كل المخالفة في اعتباره دليلا ظنيا بسبب نقليته، ولهذا فالنورسي منسجم كل الانسجام مع جعل القرآن حجة يقينية وفق ما سبق بيانه ووفق الملاحظات المتعلقة بالدلالات الظنية والقطعية للألفاظ القرآنية.

2/7 دليل الحدوث ودليل الإمكان:

تنوّعت آراء المتكلمين في تبني دليل الحدوث ودليل الإمكان، فالمتكلمون الخلّص اعتمدوا دليل الحدوث، واعتمد علماء الكلام المشتغلين بالفلسفة دليل الإمكان، وقد تبناهما النورسي معا، مما يدل على سعة

---

(325) إشارات الإعجاز 154

إطلاعه وصدق توجهه نحو الحق في القول بصرف النظر عن القائل، فقد احتج بهما في سياق واحد.

فقد ورد عنه في سياق تقسيم الدليل الإني إلى إمكاني وحدوثي:

1/2/7 الدليل الإمكاني:

يستدل بتساوي الطرفين على المرجّح الذي أخرج أحدهما من طور التساوي إلى طور الأسبقية، فرجحان أحد المتساويين من جميع الوجوه على الآخر دليل على وجود المرجّح الذي أخرج أحدهما من التساوي إلى الرجحان، وقد استثمر هذا الدليل في دليلي الاختراع والعناية.

2/2/7 الدليل الحدوثي:

يستدل فيها بالتحول والتبدّل على الموجد، فما تبدّل ما تبدّل إلا بموجد نقله من طور سابق إلى مرحلة لاحقة، وهو الحجة المعتمدة لدى جل المتكلمين، واستثمر هذا النمط في دليلي العناية والاختراع.[326]

3/7 نماذج من الأدلة الكلامية في رسائل النور:

اقتصرنا في هذا السياق على بعض الأدلة الكلامية التي لها علاقة مباشرة بالموروث الاستدلالي، وركزنا في هذا السياق على إبطال الأفكار التالية:

أوجدته الطبيعة ، وتشكل بنفسه ، واقتضته الطبيعة.

1/3/7 إبطال فكرة "أوجدته الطبيعة "

(326) إشارات الإعجاز 150، 155

إسناد خلق الكون إلى الطبيعة بقولهم: "**أوجدته الطبيعة**"[327] ليست شيئا سوى إرجاع الخلق إلى اجتماع أسباب العالم، وقد أبطلها ببيان اشتمالها على محالات كثيرة، اجتزأ منها ثلاثة:

1/1/3/7 المحال الأول:

أورده في مقام بيان استحالة تشكل ترياق لوحده بمقاييس مدققة حيث يقول:"إن صاحب هذا الوهم (تصور إسناد خلق العالم إلى الطبيعة) هو أشقى أشقياء العالم، وأعظمهم حماقة، وأشد هذيانا من هذيان مخمور فاقد للوعي"، وأرجع ذلك إلى تصور " إمكان أن يوجد الترياق نفسه من جراء تصادم القناني وسيلان ما فيها.. ما أشد ما يثيره جنون الكفر من سخرية واستهزاء.. وما أعظم ما يثيره حمقه من إشفاق ورثاء.."

2/1/3/7 المحال الثاني:

إن إسناد الخلق إلى الأسباب المادية ليس له معنى سوى أن يكون لأغلب عناصر العالم وأسبابه دخل وتأثير في وجود كل ذي حياة، والحال" إن اجتماع الأسباب المتضادة المتباينة فيما بينها، بانتظام تام، وميزان خاص، وبإتقان كامل في جسم مخلوق صغير هو محال ظاهر إلى حد يرفضه من له عقل بقدر جناح ذبابة، ويرده قائلا هذا محال.. هذا باطل.. هذا غير ممكن.."

3/1/3/7 المحال الثالث:

الموجود المنتظم المنسجم المتناسق في الشكل والمظهر والأدوار، لابد أن يكون صادرا عن مؤثر واحد[328]، لأنه "لا يمكن إسناد

(327) موقف العقل/مصطفى صبري 345/2-346، ، 383-384، ، 394-396

(328) العبارة موهمة لأنه يقصد الاستدلال بالنظام الواحد على وجود المنظّم الواحد ، بينما يستعملها اليونان لمعنى آخر غير هذا ولهذا كنا ومازلنا نحبّذ عدم استعماله ، واستعمال مصطلح أصفى في الدلالة المراد.

خلق النظام والانتظام إلى تلك الأسباب المادية العمياء الصماء الجامدة الجاهلة الغليظة البعيدة المتضادة.." (329)

2/3/7 إبطال فكرة "تشكل بنفسه":

ينطوي إسناد الخلق إلى التشكل الذاتي (**بنفسه**) على محالات كثيرة، اكتفى النورسي بذكر ثلاثة منها.

1/2/3/7 المحال الأول:

إن إسناد هذا العلم والشعور والعقل الذرة في جسمك خرافة خرقاء، وبلاهة بلهاء، لأنك أيها الإنسان موجود بلا شك وأنك لست من مادة بسيطة وجامدة تأبى التغيير.(330)

2/2/3/7 المحال الثاني:

إسناد خلق العالم إلى فكرة تشكل بنفسه لا يبعد عن إسناد خلق المصنوع المنظم الواحد المتناسق إلى جزئياته، وهو من أبعد المحال، إذ من المستحيل إسناد النظام إلى ذراته سواء كانت محددة أو غير محددة.. وحق له أن يختم مثل تلك السياقات، بما يبيّن رأيه بوضوح في مسألة إسناد النظام إلى القوى العمياء: "محال في محال.. يدرك ذلك كله من له مسكة عقل.." (331)

3/2/3/7 المحال الثالث:

إن لم يكن وجودك قد حقق بإرادة الواحد الأحد وكنت مطبوعا بمطابع الطبيعة والأسباب،" فيلزم عندئذ وجود قوالب بعدد ألوف الألوف من

---

(329) أنظر اللمعات 275-282، وانظر توظيف ما يقرب من هذه المصطلحات عند شيخ الإسلام مصطفى صبري ، وخاصة في كتابه الموسوعي " موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"

(330) اللمعات 268-274، موقف العقل 345/2-346، وانظر منهج الاستدلال على وجود الله عند شيخ الإسلام مصطفى صبري 186-187

(331) اللمعات 274

المركبات المنتظمة العاملة في جسمك.. وحتى في هذه الحالة أفلا يلزم لصنع تلك القوالب قوالب أخرى بعددها لتصب وتسكب فيها إن لم يسند صنعها جميعا إلى الواحد الأحد.. ذلك لأنها مفتقرة إلى صانع يصنعها.. فافهم من هذا مدى سقم الفكر الذي يتضمن محالات بعدد ذرات جسمك.. فيا معطل عقله.. عد إلى عقلك وأنبذ هذه الضلالة المشينة".(332)

3/3/7 إبطال فكرة "اقتضته الطبيعة"

نسج في بيان بطلانه على منوال ما سبق تقريره، واقتصر في إثبات استحالتها إلى محالات ثلاثة.

1/3/3/7 المحال الأول:

يعتبر هذا النمط من التفكير أشد بطلانا من أي محال آخر، بل وأكثر خرافة منه. إن الذي يسند الصنعة الدقيقة الرائعة المتجلية حتى في أصغر مخلوق إلى الطبيعة الميتة، وخالقيتها الموهومة، يتردى بفكره هذا إلى أدرك دركات الحماقة التي يربأ الحيوان بنفسه عن الوقوع فيها".

2/3/3/7 المحال الثاني:

إن إسناد الخلق والإيجاد إلى الطبيعة معضل لا يقبله العقل بجميع المعايير المعرفية الموضوعية، لامتناع تصور العقل إسناد الخلق إلى كائنات لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، ولأن التسليم بخالقية واجب الوجود سبحانه وتعالى لها أيسر وأسهل من الناحية العقلية الموضوعية من أي تصور آخر، بل هي أوجب من غيرها لكل من له مسكة عقل.

3/3/3/7 المحال الثالث

يعد تعلق الطبيعيين بالطبيعة إن كان ولابد أنّها مالكة لوجود حقيقي خارجي فإن هذا "الوجود" إنما هو صنعة صانع وليس هو الصانع قط،

---

(332) اللمعات 275

ونقش ولا تكون نقاشا، ومجموعة أحكام من حاكم حكيم وليس هو الحاكم أبدا.. منفعلة وليس فاعلا.. مجموعة سنن وقوانين وليس قدرة ولا قادرا"[333]

4/7 استثمار الخبرة الكلامية

يظهر الاستثمار الأمثل للخبرة الكلامية في المصطلحات المركزية الموظفة في إبطال إسناد الخلق إلى الطبيعة(بشتى أصنافه) تدور جميع تلك الأدلة على تنوعها على مصطلح **المحال** الذي كثيرا ما يختم به علماء الكلام المتقدمين والمعاصرين مطارحاتهم.

ويكاد يكون النورسي في هذا المقام ناسجا على وفق ما نقل عن العلامة مصطفى صبري، هذا إن لم يكن ناقلا عنه بشكل حرفي، إننا نجد عبارات تكاد تكون نفسها، وقد نجدها مكررة بأسلوب أو بآخر في كتاب الطبيعة، أنظر معي قول صبري:" استعاروا (في إسناد الخلق) اسما لا مسمى له وعزوها إليه اتكالا منهم على عدم مفهوميته لعدم موجوديته، ومعنى هذه الاستعارة وهذا العزو أنه لا فاعل لتلك الأفعال عندهم وأنها أفعال من غير فاعل.. إلى أن يقول (وهنا تظهر عبارة النورسي المقتبسة بشكل جلي) "فما معنى الطبيعة.. اسم بلا مسمى، استعاروه فرارا من إسناد الحادثات إلى المادة التي ليس من شأنها أن تحدثها"[334]

ولعل الشيخين قد نهلا من مشكاة واحدة، إلا أن الغالب على استثمارات النورسي الإتسام بالمسحة الروحية الظاهرة، المعبّر عنها في قالب تذكيري،

---

(333) اللمعات 275-289(بتصرف)

(334) قارن بين اللمعات 26-274،موقف العقل و العلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين 345/2-346، وأنظر منهج الاستدلال على وجود الله عند شيخ الإسلام مصطفى صبري 186-187

جعل من القصة أداة رئيسة في بلوغ أهدافه الهدائية والإرشادية، وهو ما نفتقده في مؤلفات الشيخ مصطفى صبري.

8- الخبرة الصوفية

يركّز في أدبياته على التوجهات التربوية عند الصوفية، والمعبّر عنهم في المسلك الصوفي بأهل الكشف والحقيقة، لهذا سنركّز على بيان تلك المصطلحات وعلاقتها بالبحث الصوفي عند النورسي.

1/8 الصوفية والكشف

يلخّص النورسي المنهج الصوفي بوصفه " أحد الأصول للعروج إلى عرش الكمالات" **معرفة الله"** فيما يلي: "منهج مؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي"، وهو منهج وان كان متشبّعا بالقرآن الكريم إلا أن البشر قد أفرغاه في صور شتى... فأصبح منهجا طويلا، احتوى مشاكل أبعدته عن النقاوة من الشوائب والأوهام والشكوك**"**[335]

تبنى التزكية المبنية على الكشف بوصفه تجليا للحقائق في القلب الذي **صفي بالله ولله**، وقد أثنى النورسي على هذا النوع من المتصوفة وحاول التأسيس بأقوالهم لمعارف قلبية كثيرة منها قوله: "لقد اتفق العلماء المحققون وأهل الكشف على أن العدم شر محض.. والوجود خير محض.. [336]

2/8 /1 الكشف كمصدر للمعرفة

يبدو من الصيغ المنقولة عن النورسي الاعتداد بالمعرفة الكشفية، يتجلى هذا الحكم في التأسيس بأقوال أهل التصوف المبنية على الكشف في مجال المعارف الإيمانية، منها قوله فيما سبق بيانه: **"لقد اتفق العلماء المحققون وأهل الكشف...**، إذ لو لم يعتد بأقوالهم وينزلها منزلة سامية ما أوردها في مقام التأصيل والتأسيس للمعارف الإيمانية.

---

(335) انظر المثنوي العربي 428

(336) اللمعات 113 وأنظر الكلمات 553

والنورسي في هذا السياق يشبه مذاهب الصوفية السنية، المتجلية في المشرب الأخلاقي، وخاصة حجة الإسلام **الغزالي الطوسي** (ت 505 هـ) الذي اعتبر الكشف **(أو الإلهام)** من أبرز مصادر المعرفة اليقينية بعد الوحي، إذ يعتبر عطاء ربانيا يفيض به الله تعالى على قلب الصوفي العارف إذا ما كان العارف يملك الاستعداد لهذا الكشف الوهبي... وهي معرفة مصحوبة ببرد اليقين... نور يغمر القلب فيتضح معه كل شيء"

ينكشف بالكشف كما قال الغزالي المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب"[337] بمعنى ينتج يقينا كاملا يؤسس به المعارف المخصوصة عند علماء الحقيقة من أهل الكشف.

2/2/8 نتائج الكشف

يظهر أنّ مشمولات الكشف كما هو بيّن من مناهج الصوفية تنسحب على جميع ميادين النظر الإنساني، هذه الميادين التي تتجلى فيها الدلالة اليقينية القطعية على المثبت الإيماني المؤسس عقلا وشرعا بالقرآن الكريم.

تتأسس الكشوفات على الخلو بالنفس في زاوية، يقتصر فيها من العبادة على الفرائض والرواتب مع إفراغ القلب عما سوى الله ولله، مجموع الهم، مقبلا بفكرك على الله... مع حضور القلب وإدراكه، إلى أن ينتهي إلى حالة لو تركت تحريك اللسان لرأيت كأن الحكمة جارية على لسانك لكثرة اعتياده، ثم تصير مواظبا عليه، إلى أن لا يبقى في قلبك إلا معنى اللفظ... بها يبقى المعنى المجرد حاضرا في قلبك على اللزوم والدوام... انه رد الأمر فيه إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء، ثم استعداد وانتظار فقط. [338]

---

(337) نظرات في فكر الغزالي/ د/عامر النجار117 ، مطبعة دار الصفا القاهرة .

(338) نظرات في فكر الغزالي / عامر النجار 116

إن الرغبة في الكشف تقتضي تصفية القلب لله مع استدامتها بالفكر والذكر، ويلزم المؤمن فيها أن يرى طائعا أو على الأقل راغبا في الطاعة في كل حال، إلا أنها ليست استقالة من الحياة رغبة في نجاة الذات، بل هي رغبة في نجاه الذات بالتحرك الفاعل في الحياة، إنها سعي دائم فيها طمعا في مرضاة الله ، تنكشف بإتباع مراسيمه المغلقات وتذلل الصعوبات، لهذا فمن أهم نتائج الكشف العملية اتخاذ موقف واضح من الحياة الإنسانية بجميع مكوناتها، موقف يناصر التصورات الفطرية التي جاء بها النبيρ ، انه موقف يرفض الاستقالة من الفعل الحركي بدعوى انتظار الكشف.

9- المنحى التحليلي

يظهر هذا التحليل في مجموع مؤلفات النورسي، ويتجلى في الميادين النفسية والمعرفية والاجتماعية المختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر، تمثّل البعد الغائي من المكتوبات، وفي ذلك يقول مخاطبا أحد محاوريه: " تأمل في العلامات الفارقة الموجودة في وجه كل إنسان تلك العلامات التي تميزه عن كل واحد من أبناء جنسه، وأمعن النظر فيما أودع فيه - **بحكمة دقيقة** - من حواسّ ظاهرة ومشاعر باطنه.. ألا يثبت ذلك أن هذا الوجه الصغير آية ساطعة للأحدية؟

ويستمر في السياق نفسه مؤكدا للتحليل الشخصي "**فيا أيها المنكر**.. أتقدر أن تحيل هذه العلامات والأختام التي لا تقلد، أو أن تسند الآية الكبرى للأحد الصمد الساطعة في مجموعها... إلى غير بارئها"[(339)]

---

(339) الكلمات 785، وأنظر أيضا 64،462،790

إنـه بهذا الأسلوب يدعو العقلاء (**علـى تنـوع تخصصاتهم ومستوياتهم المعرفية**) إلى التحليل و القراءة التحليلية للآيات الكونيـة الظـاهرة والباطنـة بغرض استثمارها في الذكر والتذكير وتوجيه العقلاء إلى التفكير.

1/9 التحليل الفلسفي

لا يخلو تحليله الشخصي سواء كان منقولا أو منتجا ذاتيا من القراءة الفلسفية، (رغم وصمه للمعرفة المستفادة وفق مسلك الفلاسفة بأوصاف تبين عدم رضاه بها) "إنها معرفة مشوبة بالشكوك والشبهات والأوهام"[340]

ورغم موقفه المنقول فقد استثمر التحليل الفلسفي في التأسيس للمعارف القرآنية، فقد استشهد **بدليلي العناية** و**الاختراع** المستنبطين من القرآن الكريم وفق مسلك ابن رشد الحفيد.[341]

يستفاد مما سبق تقريره أن الصلة بين النورسي وابن رشد الحفيد جلية واضحة لا نحتاج في إثباتها إلى كبير بحث واستقصاء، إذ تكاد تكون عباراتهما واحدة في التعبير عما حواه القرآن الكريم من الأدلة على إثبات واجب الوجود، لكن النورسي تميّز عن ابن رشد بالابتعاد عن الانتقاص من منهج الأشاعرة في إثبات وجود الله .

بل جاوز ذلك إلى استثمار بعض مصطلحاتهم حينا وآرائهم حينا آخر على خلاف ابن رشد الذي كرّس جهده للإتيان على مسلك الأشاعرة من الأساس.[342]

---

(340) المثنوي العربي 428

(341) مناهج الأدلة في عقائد الملة/ ابن رشد الحفيد150 ، تح وتق محمود قاسم الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية 1964

تكاد تكون الصور الاستدلالية واحدة ، وكأنها منقولة من ابن رشد.

2/9 التحليل الكلامي

تمتزج في أدبيات النورسي التحليلات الفلسفية والكلامية، إذ يكاد يكون تحليله الفلسفي كلاميا، موافقا لمشرب المتكلمين الجامعين بين الحكمة والكلام، وخاصة لدى كثير من المحققين، كما تتجلى الخاصية نفسها عند العلامة مصطفى صبري في كتابه "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ".

وتبدو الملاحظة المشار إليها في كتابه الموسوم بالمثنوي العربي، وخاصة في مبحث **حقيقة التوحيد** الذي يلوح منه التحليل الكلامي المفلسف، حيث يقول: " البرهان الثاني: وهو كتاب الكون. نعم، إن حروف هذا الكتاب ونقاطه فردا فردا أو مجموعة، يتلو كل بلسانه الخاص **(وان من شيء إلا يسبح بحمده)**(الإسراء44) ويبيّن وجود الخالق العظيم وحدانيته.. فكل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جل جلاله. فبينما تراها تتردّد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية، في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها، اذا بها تنتعش وتسلك طريقاً معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدّد، وتتوجه إلى قصد معين." [(343)]

3/9 التحليل اللغوي:

اعتمد التحليل اللغوي في الاستدلال على حجية القرآن الكريم، يبيّن ذلك قوله بصدد الحديث عن حجيته: " فقد أظهر بلاغة منذ العصور القديمة إلى

---

(342) قدّم الأستاذ الدكتور محمود قاسم لكتاب "المناهج" لم يكن له من همّ فيه سوى الحط من المذهب الكلامي الأشعري ، والكتاب مثال رائع في القراءة الإقصائية لخبرتنا المعرفية، قراءة تبنى أساسا على ضرورة إلغاء الآخر بهدف إثبات الذات المذهبية.

(343) المثنوي العربي 422

زماننـا، حتـى أنـه حـط مـن قيمـة المعلقـات المـشهورة وهـي قـصائد أبلـغ الـشعراء، وقد ورد عنـه فـي نفس الـسياق"وكـذا عنـدما سـمع أعرابـي أديـب الآية (**فأصدع بما تؤمر**) خرّ ساجدا ، فقيل له: أأسلمت؟ قال: لا، بل سـجدت لبلاغة هذه الآية"

وقد احـتج فـي هذا المقـام باتفـاق آلاف مـن أئمـة البلاغـة وفحـول الأدب، أمثال: عبد القاهر الجر جاني، والسكاكي، والزمخشري، علـى بلاغتـه التـي لا تضاهى " إن بلاغة القرآن فوق طاقة البشر لا يمكن أن يدرك"

ويـستمر فـي التحليـل اللغـوي ليبـيّن مـن خلالـه عجـز البلغـاء العنيـدين تاركين السبيل القصيرة وهي المضاهاة والمعارضة وإتيان سورة مـن مثلـه، سـالكين الـسبيل الطويلـة، سـبيل الحـرب التـي تـأتي بالويـل والـدمار علـى الأرواح والأمـوال، ممـا يثبـت اختيـارهم هذا، انـه لا يمكـن المـسير فـي تلـك السبيل القصيرة..

وهكذا دواليك إلى أن يقول: " ففي متناول الأيدي ملايين الكتـب العربيـة التي كتبها أولياء القرآن بشغف اقتباس أسلوبه وتقليده أو كتبها أعداؤه لأجل معارضـته ونقده، فكـل مـا كتـب، ويكتـب، مـع التقدم والرقـي فـي الأسـلوب الناشـئ مـن تلاحـق الأفكـار لا يمكـن أن يـضاهي أو يـداني أي منهـا أسـلوب القرآن"

ويجاوز ذلك إلى بيان إدراك الرجل العامي لفضله وغلبتـه، إذ لـو اسـتمع لما يتلى منه لأضطر إلى القول: إن هذا القرآن لا يـشبه أيـا مـن هذه الكتـب، وليس في مرتبتها"

يخلص بعد تلك الرحلـة العلميـة للمرافعـة عن القرآن الكريم إلـى نتيجـة مقررة متجددة مفادها أنّه: " لن يستطيع إنسان كائنا من كـان، ولا كـافر، ولا

أحمق أن يقول : إنّ بلاغته أسفل الجميع، فلا بد إذا أن مرتبة بلاغته فوق الجميع "[344]

4/9 التحليل النفسي :

يجعل من التحليل النفسي أداة مركزية في بلوغ غاياته الهدائية المستفادة من القصة الاجتماعية في دلالتها المتنوعة، وتظهر هذه الأحكام المقررة من نماذجه التذكيرية.

يبيّن ذلك قوله: **"فيا نفسي المغرورة** (والخطاب موجه إليه وإلى غيره) **اعلمي**: أنك أنت ذلك السائح البدوي، وهذه الدنيا الواسعة هي تلك الصحراء، وأن فقرك وعجزك لا حد لهما، كما أن أعداءك وحاجاتك لانهاية لهما، وما دام الأمر هكذا، فتقلدي اسم المالك الحقيقي والحاكم الأبدي لهذه الصحراء، لتنجي من ذل التسوّل أمام الكائنات، ومهانة الخوف أمام الحادثات"[345]

تعد اختيارات النورسي في التعبير عن التحليل النفسي أمثل أسلوب نظرا لقدرته على للتغلغل في دواخل النفس، وذلك من خلال جعل المتكلم نفسه مجال التذكير والميدان المطالب بالتغيير، وهذا ليتسنى للخطاب أن يؤتي أكله في قلوب السامعين أو المذكّرين من خلال تذكير الذات بالدرجة نفسها التي تؤثر في المبلّغ.

ويتجلى هذا الهدف النبيل في كثير من سياقات البحوث النورية ذات الصبغة التذكيرية، بل تكاد هذه الميزة سمة عامة لمؤلفاته[346]، وقد وردت

---

(344) الكلمات 519، وانظر التفاصيل 422-540، و جماع ذلك في كتابه إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.

(345) الكلمات 6

(346) أنظر الكلمات 22

هذه الميزة في كثير من المواضع، مما يدل على رغبته الملحّة في الولوج إلى أعماق النفس "يا نفسي: لا تقولي أبدا بأن الزمان قد تغيّر، وأن العصر قد تبدّل ، وأن الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها، فهم سكارى بهموم العيش.. ذلك لأن الموت لا يتغيّر، وأن الفراق لا ينقلب إلى البقاء فلا يتغيّر أيضا، وأن العجز الإنساني والفقر البشري هما أيضا لا يتغيران بل يزدادان، وأنّ رحلة البشرية لا تنقطع.. ذلك لأن كل واحد من الناس لن يصحبك إلا على عتبة القبر.. لا غير".[347]

ويقر بالحقيقة نفسها في مواضع غير قليلة من كتبه منها قوله مخاطبا نفسه: **" يا نفسي!** هذا الوجود الذي سكنته ما هو صنعتُك حتى تتملك وما هو لقيطةٌ التقطتها، حتى يُتَمَلَّك. وما هو نتيجة تصادفٍ أعمى واتفاقية عوراء وأسباب جامدة حتى يُقتطف ويُتملك. وليس شيئاً رخيصاً بلا أهمية تافهاً سدىً اعرض عنه مالكهُ حتى تأخذه وتتملّكه، بل هذا الوجود بعجائب صنعته وغرائب نقشه يدل على انه خرج من يدِ صانع حكيم، مهيمن عليه دائماً..."[348]

5/9 التحليل السنني:

اخترنا مصطلح السنن للتعبيرعن حقيقة معرفية تعبرعن موقف عقدي من خالقية الكون لله تعالى، فهو بمثابة فكرة معبّرة عن الرؤية التوحيدية للعالم، وهي بديل عن مصطلح الطبيعة الذي يحمل بين طيا ته موقفا عقديا لا ينسجم مع التصور التوحيدي للكون ونشأته، يتجلى هذا الاختيار العقدي في أدبيات العلامة النورسي كما يتجلى أيضا وبشكل أوضح عند شيخ الإسلام مصطفى صبري.

---

(347) الكلمات 193

(348) المثنوي العربي 126، وأنظر 262،223

يحمل المصطلحان (الطبيعة والسنن) معنى واحدا لا يخرج عن فكرة النظام في آخر تحليل لهما، ولكنهما يفترقان من حيث الخلفية العقدية والفكرية لكل منهما، فالطبيعة كما بيناه آنفا عندهما (النورسي، وصبري) اسم لا مسمى له، على خلاف ما يدل عليه لفظ السنن الوارد في كتاب الله، والتي تدل في حقيقة أمرها على تقيّدها بنظام مسبق يؤسس للثبات في السنن الكونية سواء تعلقت بما حول الإنسان من نبات وحيوان وأفلاك أو تعلقت بالفعل الإنساني بجميع مكوناته النفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية .. بل تجاوز ذلك فتنسحب على سنن الأداء الحضاري للأمم سواء في منحناه المتصاعد أو المتنازل.

قال النورسي مؤكدا للمعنى الذي أشرنا إليه: " فكما أن الشريعة الأولى عبارة عن قوانين معقولة، فان الشريعة الثانية أيضا عبارة عن مجموع القوانين الاعتبارية، والتي تسمى- خطأ - بالطبيعة فهذه القوانين لا تملك التأثير الحقيقي ولا الإيجاد، اللذين هما من خواص القدرة الإلهية"[349].

ويُرى (بضم الياء) اهتمامه بالتحليل السنني حين الحديث عن شهادات الموجودات من جهة دلالة ترتيبها السنني على وجود الله، فقد ذكر تحت عنوان **الآية الكبرى** شهادات كثير من خلقه منها السماء وجو السماء، وكرة الأرض، والبحار والأنهار، والأشجار والنبات، والطيور والحيوانات، و..[350]

---

(349) المثنوي العربي 426

(350) الشعاعات 139-223 سيرة ذاتية 238 268 380: 428

الفصل السادس

يعد الفصل السادس زبدة هذا البحث، إذ يعتبر معبّرا عن الخلفية النظرية للتأسيس للحقائق الإيمانية المستنبطة من القرآن الكريم، فالجزء

الأول يتناول بيان طبيعة الإثبات الذي يستنبط منه عقلية الرجل في التعامل مع موضوع العقائد من جهة ومنهج التعامل معها استنباطا وتأسيسا وتوظيفا، أما الجزء الثاني فيتناول الخصائص الرئيسة لطبيعة الإثبات المبيّنة في الجزء الأول.
يتناول هذا القسم وفق ما سبق تقريره عنصرين أساسيين:

أحدهما: نبيّن من خلاله طبيعة الإثبات.

الثاني: مميزات المنهج

1- ميدان إثبات العقائد

حدّد النورسي ميدان الإثبات بشكل جلي لخّصه في قوله: "إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة"[351]، ويؤكد هذا المعنى في نص آخر عنه: "رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي ورشحة من رشحات ذلك البحر العظيم، كما أنّه شعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز العلم وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته.." [352]

يؤكّد العنوان المنقول عنه محورية فكرة الإثبات موضوعا ومنهجا، إلا أنّ هذا المتداول بشكل ملفت في أدبياته لا يفسّر الغموض المتضمن في العنوان.

فهل كانت رسائل النور مبرهنة على العقائد الإيمانية فقط؟ أم أنها كانت أوسع من ذلك؟

---

(351) الشعاعات 562

(352) الملاحق 220، وأنظر 307،و سيرة ذاتية 238 268 380: 428

إن الدراسة التحليلية لمحتوى الرسائل يدل بنفسه من غير تكلّف بحث أن النورسي يستعمل مصطلح العقائد الإيمانية بما هو أوسع من استعمالات المتكلمين والفلاسفة، فنراه يضم إليها (العقائد) مباحث تعبدية فقهية مركّزا في بيانها على الجوانب الوظيفية، كما نراه يلحق بها مباحث تربوية هي أقرب إلى البحث الصوفي منها إلى البحث العقدي...[353]، هذا من جهة الموضوع أما من جهة صلتها بالأدلة النقلية والعقلية فسنفرد لها مباحث خاصة.

2/1 صلته بالحجج النقلية :

تعتبر رسائل النور محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيرا عصريا، وقد عبّر شيخنا عن هذه الفكرة (في سيرته الذاتية) حيث قال مستفسرا ومجيبا، وإذا قيل: كيف تعد رسائل النور تفسيرا للقرآن الكريم مع أنها لاتشبه التفسير المتداولة؟

---

(353) وهو بهذا يبيّن التوافق الكلي بين تلك الأهداف في خدمة الغاية الوظيفية من الرسالة الإسلامية، بحيث إذا تعطّل في الإسلام البعد الوظيفي من العبادة وإن كانت شخصية قد يتعطّل الثواب المرجو منها أو جزء منها على الأقل مصداقا لقول الله تعالى: **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)**(العنكبوت 45)، ويبيّنه قول النبي ("فيما رواه ابن عباس مرفوعا (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا"
الصلاة(عبادة شخصية عينية)------بعدها الاجتماعي(النهي عن الفحشاء والمنكر)
إذا تعطّل بعدها الاجتماعي -------تعطّل الهدف المرجو منها(زادته من الله بعدا)
أما سائر العبادات ذات المحتوى الاجتماعي الظاهر فالحديث عن بيانها من نافلة القول (الزكاة ،الصوم، ..) ونحن نذهب إلى أوسع ، فنعتبر شهادة التوحيد(لا إله إلا الله محمد رسول الله) نفسها غنية بالمعاني الاجتماعية ، إذ من سلّم بها يعلم علم يقين أن المال مال الله والعباد عيال الله وبالتالي لابد أن ينفق من مال الله على عباده ..ويجاوزه إلى إثبات صلة رحم إنسانية بتلك الشهادة ، إذ مقتضاها أن لا مميّز بالسيادة على البشر لغير الله فالفضل له وحده وهذا يقتضي أن ينظر إلى بني الإنسان نظرة واحدة أساسها التكريم الإلهي فلا تمييز بالمناصب أو الألوان أو الأنساب أو..

فالجواب: التفسير نوعان

الأول: هو تفسير اللفظ والعبارة والجملة في الآية الكريمة.

والآخر: إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن... وقد ثبت بشهادة ألوف من العلماء المحققين أن رسالة النور هي من هذا القسم من التفاسير، بل من أثمنه وأسطعه وأكمله وأكثره قيمة"[354]

استعمل الحجة القرآنية في مقام التأسيس للعقائد والعبادات[355]، فأصّل بالقرآن لمباحث العقيدة كلها فلم يفرق بين مباحث وأخرى، اعتمده في الاستدلال على الإلهيات كما وظّفه في النبوات والسمعيات بل وجاوزه إلى استنطاق الآيات باستخراج أسرار العبادات.[356]

3/1 صلته بالحجج العقلية

نلاحظ عدم خلو جميع صفحات مؤلفاته من البحث العقلي الوظيفي، يمتزج فيه الاهتمام الكلامي بالاهتمام الفلسفي الممزوج أحيانا بالبحث السنني بوصفه أصفى الأدلة وأيسرها فهما، إن المتفحص لمعجم المصطلحات العقلية المستنبطة من مكتوباته يدرك بجلاء درجة الاهتمام بالحجج العقلية في **جهده التأسيسي.**

انظر معنا إلى المحتوى العقلي الظاهر لعينة من ا لمصطلحات التي يكثر من استعمالها: **دليل الصنعة، ودلالة الفطرة، وبرهان الحياة**، وبرهان

(354) أنظر سيرة ذاتية 427-428، وأنظر الشعاعات 562

(355) أنظر المباحث السابقة، وخاصة المباحث المتعلقة بالفقه.

(356) أنظر المكتوبات 513-521، إشارات الإعجاز 52-56، صيقل الإسلام 56

الموت، والوجوب والإمكان، ودليل التمانع، ودليل منح الحياة، النظام، وبرهان الشعور ودليل التساند والتعاون..[357]

2- مميزات المنهج:

يتميّز منهج الإثبات النوري بمجموعة من الميزات تعبّر بمجموعها عن الغاية الرئيسة من مؤلفاته، إذ يتجلى فيها التركيز على الغاية الوظيفية من التديّن بالإسلام، وكأنّه يجلي لنا فكرة أن الإسلام ليس كلاما يلاك ثم يرمى، بل هو رسالة إنسانية تستدعي منا العيش بها وفيها لتسنى تبليغها، وتحقيق ذلك فرض على المبلغين تمثّل مبادئه من جهة والإحاطة بالجو الذي تريد أن تكون فيها فاعلة ومتفاعلة، من هذا المنطلق سنطرق النقاط الآتية:

1/2 الجمع بين الأصالة والمعاصرة

ناظر النورسي عن القرآن الكريم وعقائده الإيمانية في جو مشحون بمخاصمة الدين الإسلامي في عقائده وعباداته، جو يظهر فيه أثر الآخر جليا واضحا في كل شؤون حياتنا، فترى آثاره في ميادين الفكر والتربية والحضارة والسياسة.

يستدعي العمل الفكري التذكيري في مثل هذا الجو الحيطة والحذر بمعنييه الفكري والنفسي، إذ يكون المنافح عن الدين ملزما بمراعاة عقليات ونفسيات المخاطبين الجدد، إن الاهتمام بعقليات المخاطبين في ضوء الإكراهات الواقعية المسلطة عليهم في ميادين الفكر والاجتماع دليل واضح على المعاصرة التي تقتضي في المفهوم الإسلامي الاستفادة من منتجات

---

(357) أنظر الكلمات 846،844،735،المكتوبات 603،602، إشارات الإعجاز48، 188،154،150،50، المثنوي العربي 72، 123، 279، 303، 321، 325، 428، 429 صيقل الإسلام 50،47،46،32،31،24-119،89،71،52، 123، 124، 493،492،446،430،407،344،150،140،134،133،129، 495، 532، 534

الآخر بوصفها عوامل لا هوية لها، أما إذا كانت مؤثرة تأثيرا سلبيا في أصالة الأمة فيجب الابتعاد عنها أو إعادة صياغتها بما يخدم الذات الحقيقية للأمة.

لعل من أبرز ما يؤكد حكمنا قولته المشهورة:
"ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل الفنون المدنية - العلوم الكونية الحديثة - فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك " [358]

قال النورسي:" إن ما أنجزته هذه المدنية (الغربية) الحاضرة من الخوارق نعم ربانية تستدعي شكرا خالصا من الإنسان على ما أنعم عليه، وتقتضي منه كذلك استخداما ملائما لها لفائدة البشرية ومنفعتهم...ويستمر في السياق نفسه مبينا ما ذهب إليه بمثال حي تتجلى فيه فكرة وجوب إخضاع منتجات العصر إلى أصالة الأمة: الراديو نعمة إلهية عظيمة على البشرية ، فبينما تقتضي منا شكرا معنويا عليها- وذلك باستخدامها لصالح البشرية كافة- نرى أربعة أخماس استعمالاتها تصرف في إثارة الأهواء النفسانية، والى أمور تافهة لا تعني الإنسان في شيء.."[(359)]

2/2 الجهد النقدي

يتأكد المنحى النقدي في فكر النورسي من خلال ما أثبتناه من نصوص حاولنا استنطاقها بغرض توضيح موقفه من الخبرة المعرفية والتربوية والفلسفية الإسلامية، لهذا لست ملزما موضوعيا بإعادة كتابة ما سبقت الإشارة إليه لهذا سنكتفي في هذه العجالة ببيان موقفه من الفلسفة الغربية والمدنية الغربية.

---

(358) صيقل الإسلام 428
(359) سيرة ذاتية 339

ولكن قبل ذلك لابد من بيان أهم سمات المنهج النقدي عند النورسي. لم يمارس النورسي النقد من أجل النقد بل كان ديدنه في كل ذلك التفتيش عن كل ما من شأنه أن يكون حجّة إضافية للمسألة التي رافع عنها (حقائق الإيمان)، لهذا يمكن أن نقول دون أدنى شك أنّ جهده النقدي كان عملا انتخابيا لا يرفض أفكار المتقدمين رفضا كليا ولا يقبلها برمتها، بل يعمل فيها عقله مميزا ما يفيده عما لا يفيده في مرافعته عن الحقائق الإيمانية.

يتميز جهده الفكري برفض البداية الصفرية من جهة و الاستثمار الانتخابي للخبرة المعرفية الإسلامية (وقد بينا ذلك حين الحديث عن موقفه من الخبرة المعرفية والتربوية الإسلامية) من جهة أخرى.

ذكر في سياق بيان تفوق تلميذ القرآن على تلميذ الفلسفة فقال:"إن تلميذ الفلسفة يفرّ من أخيه آثرة لنفسه، ويقيم الدعوى عليه، أما تلميذ القرآن فانه يرى جميع عباد الله الصالحين - في الأرض والسماوات - إخوانا لهم.."[360]

وورد عنه في مقام نقد الغربيين: " فيا أسفي، ويا ويل لمن ضلّ بطواغيت الأجانب وعلومهم المادية الطبيعية، ويا خسارة أولئك الذين يقلّدونهم تقليدا أعمى، ويتبعونهم شبرا بشبر وذراعا بذراع"[361].

3/2 التركيز على البعد الوظيفي

رسالة الإسلام التي تعتبر حقائق الإيمان محورها ومحرّكها الأساس ذات وظيفة تربوية (بأبعاد متنوعة تنسحب على جميع ميادين الفعل الإنساني) محددة من حيث غايتها الكبرى (عبادة الله)، لهذا كانت ومازالت

---

(360) اللمعات 182

(361) اللمعات 184، أنظر المثنوي العربي 272

عنصرا جوهريا في التشريع بوجه عام، فما من شأن من شؤون حياة المسلم إلا وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بتلك الحقائق الإيمانية.

قال النورسي:" إن غاية العبادة امتثال أمر الله ونيل رضاه، فالدّاعي إلى العبادة هو الأمر الإلهي ونتيجتها نيل رضاه سبحانه ، أما ثمراتها وفوائدها فهي أخروية، إلا أنّه لا تنافي في العبادة إذا منحت ثمرات تعود فائدتها إلى الدنيا" (362)

ويشير في سياق آخر إلى البعد الوظيفي المرتجى من العبادة التي تعلّق مباشر بحياة المسلم إذا أداها على الوجه الشرعي الأكمل "ما أخف أداء الصلوات الخمس واجتناب الكبائر السبع وما أريحها وأيسرها أمام عظم فوائدها ونتائجها وثمراتها و ضرورتها "(363)

ويزيد المسألة وضوحا فيقول "إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا نوّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلابا عظيما سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية و الاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره.."(364)

ويمكن أن نؤكد مسحة البعد الوظيفي على جميع أعماله في جوانب عدّة نجتزئ منها التركيز على الأبعاد الشخصية ونثنّي عليها بالبعد النفسي، ثم البعد الاجتماعي لننتقل بعدها إلى البعد الاقتصادي ، ونختم النقطة الرابعة بالبعد الثقافي والفكري.

1/3/2 الأبعاد الفردية الشخصية:

---

(362) اللمعات 199

(363) الكلمات 30

(364) الكلمات 518

يعتبر الاهتمام بالبعد الوظيفي سمة عامة في مؤلفاته، لهذا لا تخل صفحة من صفحات كتبه من الاهتمام بالبعد الفردي والشخصي، وسرد ذلك تفصيلا يقتضي انجاز عمل مستقل أوسع وهو مالا تسعفنا في إنجازه طبيعة الدراسة، لهذا اكتفينا ببعضها على أمل العودة إلى الموضوع بالتفصيل في لاحق الأيام (إن شاء الله).

ورد عنه تحليل رائع للصوم[365] يستشف منه الاهتمام بالبعد الوظيفي الفردي المتوخى منه، و في ذلك ورد عنه: إن أتى المؤمن بالصيام وفق ما هو مطلوب شرعا، بمعنى من أراد الاستفادة من الثمار المرجوة يجب أن يأتمر بأمر الله وينتهي عما نهاه.

شرع الله الصوم ليسمو الناس على المشاغل الحيوانية السافلة، فالكمال في ذلك الصوم:

- جعل جميع حواس الإنسان كالعين والأذن والقلب والخيال والفكر على نوع من الصوم، كما تقوم به المعدة، بمعنى تجنيب الجميع المحرمات والسفاهات ومالا يعنيها من أمور، وسوقها إلى العبودية الخالصة.

- يروّض الإنسان لسانه على الصوم من الكذب والغيبة والعبارات النابية.

- يرطّب اللسان بتلاوة القرآن الكريم وذكر الله سبحانه بحمده والصلوات والسلام على الرسول والاستغفار...

- يغضّ بصره عن المحرمات، ويسدّ أذنيه عن الكلام البذيء، ويدفع عينه إلى النظر بعبرة وأذنه إلى سماع كلام الحق والقرآن الكريم، وبذلك يجعل سائر حواسه على نوع من الصيام.

---

(365) المكتوبات 513-521

□ المعلوم أن المعدة التي هي مصنع كبير جدا إن عطلت أعمالها بالصيام فإن تعطيل المعامل الصغيرة الأخرى يكون سهلا ميسورا.

2/3/2 البعد النفسي

يتوخى النورسي تحقيق البعد النفسي في مجموع جهوده، ولعله أهم ما يركّز عليه من الأبعاد. وللبعد النفسي من الناحية الموضوعية في جهوده عدّة مضامين، أبرزها **العمل على تغيير الذات ورفض السلبية والرجاء في الله سبحانه وتعالى.**

تهدف الحقائق الإيمانية إلى تغيير الإنسان بوصفه موضوع التغيير أولا ووسيلته ثانيا، لهذا تتلخّص غايتها في تغيير نفس المؤمن وفق مراد الله، ثم السعي إلى تغيير ما حول الإنسان من مجتمعات إنسانية أو حيوانية أو غيرها بما يستجيب لما تمثّله من مبادئ في تغيير نفسه.

جعل النورسي هذا الهدف محدده في مجموع مؤلفاته، إذ يكاد أن يكون كلمة السّر في كثير من كتبه، أنظر كتابه الكلمات مثلا، فتراه يشير إلى ذلك المعنى في كثير من صفحاته.

* يشير المضمون القرآني إلى وجوب رفض السلبية باتخاذ مواقف صريحة من أحداث العصر، إذ يعتبر بحق معبّرا عن المضمون الإيجابي للتقوى، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: (**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) (البقرة: 177) ، وقد تمثّل الأستاذ النورسي هذه الغاية وتحرّك في فلكها، و يتجسّد هذا الالتزام في كثير من مؤلفاته، ويؤكد هذه المعاني مجموع ما في تعريف بشخصيته، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما كتبه الأستاذ حمزة المكسي وترجمه إلى العربية الأستاذ طاهر الشوشي، وما كتبه الأستاذ

إحسان قاسم الصالحي تمهيدا لمجموع كتب النورسي المترجمة إلى العربية[366].

تتقرر مجمل الفكرة الآنفة بما ذكره أستاذنا في بيان أهمية صيام رمضان في قصم فرعونية النفس البشرية، حيث يقول: "صيام رمضان المبارك ينزل ضربة قاضية مباشرة على الناحية الفرعونية للنفس، فيكسر شوكتها مظهرا لها عجزها وضعفها وفقرها، ويعرّفها عبوديتها.. ذلك أن النفس لا تريد أن تعرف ربها ، بل تريد أن تدّعي الربوبية بفرعونية طاغية.. فدواؤها المركزي الصوم"[367]

2/ 3/3 البعد الاجتماعي

لا تريد الحقائق الإيمانية التأسيس لإيمان فردي شخصي لا صلة له بغيره من الناس، لأن الإيمان في القرآن الكريم وسنة المصطفىρ ليس قضية فردية بمعناها السلبي، بل هي قضية شخصية بمضمون اجتماعي إذا تعطّل ترتّب عليه تعطّل الأجر والثواب أو بعضه على الأقل، تتجلى هذه الفكرة في العبادات الفردية العينية بشكل واضح، أما في العبادات ذات المضمون الاجتماعي فالأمر أوضح من أن يوضّح، مثل الزكاة، والصدقات، والتركات، وأبواب الخير كلها..

يبيّن الفكرة الآنفة الذكر في العبادات العينية الفردية الصلاة التي قال فيها المولى سبحانه وتعالى **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)**

---

(366) قام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بجهد جبّار في خدمة رسائل النور، فقد أفرغ لها وقته و أخلص لها جهده حتى ظهرت مكتملة شكلا ومضمونا، بل جاوزها إلى العمل على التعريف بها في العالم العربي، وقد وفق إلى ذلك توفيقا كبيرا .
و قد استفدنا من مجموع مقدماته لتلك الكتب المشار إليها أعلاه.

(367) المكتوبات 521 (بتصرف)

(العنكبوت45)، وروي عن النبي ρ أنه قال: **"من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له"**[368]

يتبيّن من الآية والحديث أن الصلاة وان كانت عبادة فردية فان لها أبعادا اجتماعية ظاهرة، والتي بتعطّلها قد يتعطّل الأجر المرجو منها.

يؤكد إسباغ جهد النورسي بالاهتمام بالبعد الاجتماعي تصريحه الذي ذكره في ثنايا حديثه عن الصوم: إن حكمة واحدة للصوم من بين حكمه الغزيرة المتوجهة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان هي أن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله سبحانه الأغنياء لمدّ يد المعاونة لإخوانهم الفقراء، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعورا كاملا حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساسا تاما بجوعهم، إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم.. لذا تصبح الشفقة على بني الجنس هي إحدى الأسس الباعثة على الشكر الحقيقي.."[369].

4/3/2 البعد الاقتصادي

يعتبر صاحبنا الاقتصاد من أهم الأبعاد الوظيفية للحقائق الإيمانية، إذ جعله اللفظ المركزي في رسالة الاقتصاد، منها العناوين الفرعية التالية:**الاقتصاد شكر معنوي، الاقتصاد انسجام مع الحكمة الإلهية، الاقتصاد** سبب العزة، **الاقتصاد سبب البركة واللذة، الاقتصاد لا علاقة له بالخسّة، القناعة كنز لا يفنى ..**

قال النورسي: "الاقتصاد الذي هو من الأخلاق النبوية السامية بل من هو من المحاور التي يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون

---

(368) رواه أحمد في مسنده (الزهد) عن ابن مسعود موقوفا، ورواه ابن جرير عنه مرفوعا.

(369) المكتوبات 515

لا علاقـة لـه أبـدا بالخـسّة التـي هـي مـزيج مـن الـسفالة والبخـل والجـشع والحرص، بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعا..."(370)

وورد عنه أيضا: إن المقتصد لا يعاني من غائلة العائلة كما هو مفهوم الحديث الشريف **"لا يعول من اقتصد"** (371) أجل هنـاك من الدلائل القاطعة التي لا يحصرها العدّ بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، أساس متين للعيش الأفضل أذكر منها رأيته في نفسي..."(372)

وذكر في ثنايا بيان البعد الاقتصادي المستفاد من حقائق الإيمان حكمة نورانية تستحق الكتابة بماء الذهب لدلالاتها العميقة وتأثيرها السحري في كل من ألقى السمع بشرط أن يكون متحررا من جميع المكبلات الفكرية، إنها الكلمة التي صدرت من مشكاة أهل التقوى والصلاح، إنها كلمة الإمام أبـي حنيفـة النعمـان τ "لا **إسـراف فـي الخيـر ولا خيـر فـي الإسـراف "**373 والكلمة موصولة **بقول النبي** صلى الله عليه وسلم **"ما نقصت صدقة من مـال، ومـا زاد الله عبـدا بـالعفو إلا عـزا، ومـا تواضـع أحـد لله إلا رفعـه الله"**(374)

5/3/2 البعد الثقافي والفكري

يؤسس جهده التذكيري الاستدلالي للبعد الثقافي والفكري من زاويتين:

إحداهما تبيّن الجانب الإنشائي البنائي من حقائق التوحيد.

و**ثانيهما** يؤصل للجانب الهدمي النقدي في المطارحات الفكرية، هذا من جهة المسألة الاستدلالية من حيث هي، أما من حيث متعلقاتها فإنها

---

(370) اللمعات 219

(371) (ما عال من اقتصد) رواه احمد عن ابن مسعود (كشف الخفاء، 189/2) وانظر 158/1 ايضاً.

(372) اللمعات 215

(373) اللمعات 220

(374) أخرجه مسلم عن أبي هريرة

تكسب من دخل رحابها بعقل حر ونفس متحررة رؤية ثقافية تجعل من الهم الوظيفي أمرا أساسيا في الأداء الفكري والاجتماعي و..

وتتأكد نتائجنا بالقراءة المعرفية التحليلية لمجموع استدلالاته أولا، وبيان تأثيرها في صياغة عقلية المسلم ثانيا، واكتشاف أهميتها في الإرشاد إلى الوحدة الثقافية للمسلمين الصادقين (أولئك الذين يحرّكهم الهم الحضاري لا الهم الجزئي) ثالثا.

1/5/3/2 أولا: الجانب البنائي (الإنشائي)

ركّز النورسي على التأسيس العلمي لحقائق الإيمان مقتفيا في ذلك حجج القرآن الكريم ومستثمرا خبرات أسلافه.. ودافع عن فكرة الأساس العلمي للمعارف الإيمانية دفاعا يشكر عليه ويحفظ له يوم القيامة، توخى من خلاله الوضوح والبساطة مع المحافظة على ميزة العلمية، فكان جهده في غاية البساطة من حيث عباراته، وفي أقصى درجات الدقة من حيث صياغته، وهو جهد يرسّخ في عقل السامع أن حقائق الإيمان في غاية الوضوح وفي أعلى رتب الحجيّة، مما يزيد في اعتزاز المؤمن بدينه من جهة ويدعو إلى مزيد من الاحتجاج الإبداعي لحقائق الإيمان من جهة أخرى.

2/5/3/2 ثانيا: الجانب الهدمي (النقدي)

يرسّخ البحث العقدي وفق مسلك النورسي في جانبه النقدي، الدعوة الصريحة إلى ضرورة استصحاب النزعة النقدية أثناء قراءة كل مجهود فكري بشري، وخاصة تلك الجهود التي يراد بها تقويض أركان الإيمان، ترى هذه الصبغة في كل صفحة من صفحات مؤلفاته، ولعلها أكثر ظهورا في اللمعة الثالثة والعشرون الموسومة **"رسالة الطبيعة"**[375]، كما تظهر

---

(375) اللمعات 265-298

أيضا بنفس المستوى أو قريبة منه في حديثه عن " **حقائق التوحيد**" في كثير من مؤلفاته[376]...

3/5/3/2 ثالثا: الوحدة الثقافية بين المسلمين

جعل النورسي من القرآن الكريم نبراسه وهاديه ومصدره الأول والأخير في التأسيس للمعارف الإيمانية اليقينية القطعية التي جعلها حاكمة على المنتج الفكري البشري في مجمل مجالاته.

يعد الاهتمام بالقرآن الكريم من الناحية التأصيلية بعده الثقافي الظاهر، إذ يمثل دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، لهذا كانت الدعوة إلى استنطاقه معرفيا دعوة إلى الرجوع إليه، مما يمكّن للوحدة الفعلية بعد هذه الوحدة النظرية (خاصة في جو كثر فيه التشكيك في الحقائق الإيمانية المستنبطة من القرآن الكريم).

إن لهذا الاختيار الحضاري ما يبرره من الناحية الموضوعية الصرف، فهذا الكتاب بالإضافة إلى يقينية مصدره (الله)، فهو كتاب رحمة حقيقة، قال النورسي:"أنظر إلى درجة رحمة القرآن الواسعة وشفقته العظيمة على جمهور العوام ومراعاته لبساطة أفكارهم ونظرهم غير الثاقب إلى أمور دقيقة، أنظر كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السماوات والأرض، فيقرئهم الحروف الكبيرة التي تُقرأ بكمال السهولة"[377].

الخاتمة

(376) أنظر مثلا المثنوي العربي 38-172
(377) اللمعات 196

انتهى بنا المطاف بعد جولة علمية هادئة وهادفة في بعض مؤلفات النورسي إلى خلاصة العمل المنجز، فقد تبيّن لنا مما عرضناه أننا أمام شخصية علمية عملاقة، امتزجت فيها عناصر الأصالة ممثّلة في الروح القرآنية المهيمنة على فكره وقلبه من جهة والمعاصرة ممثّلة في الاستفادة من الخبرات الثقافية من جهة أخرى.

تبيّن لنا من هذه الرحلة العلمية مع النورسي في بعض مؤلفاته أننا مع شخصية علمية متميّزة جمعت إلى الغوص في القرآن ذكاء وقادا وإطّلاعا لا نظير له، فقد كان يستقي المعارف من السنّة المطهّرة والخبرة المعرفية الإسلامية بالإضافة إلى القرآن الكريم، وجاوزها إلى الاستفادة من الخبرة الإنسانية، وقد توخى حين تعامله مع المصادر المشار إليها التركيز على البعد الوظيفي للإسلام .

تميّز عمله المنهجي بمجموعة من الميزات موجزها :

1- التأصيل لمسائل العقيدة بما حوته المصادر الإسلامية الأصيلة: القرآن ثم السنة ثم الخبرة المعرفية الإسلامية.

2- رفض البداية الصفرية التي تبنى أساسا على إلغاء الخبرة المعرفية الإسلامية.

3- العمل الانتخابي في جهوده التذكيرية والاستدلالية، فقد استفاد من علماء الكلام والمتصوفة وعلماء الغرب،ركّز فيها على استثمار الصالح وإهمال الطالح، وقد تلخّص معيار الصلاح والطلاح في درجة ملاءمة الفكرة للواقع الفكري والاجتماعي المعيش مع عدم مخالفتها للنصوص القطعية الثبوت والدلالة.

4- الإفلات من قبضة القراءة التاريخية للعقيدة الإسلامية، وهي قراءة هيمنت لردح طويل من الزمن ، لهذا عدّت رسائل النور عملا تجديديا رائدا في العصر الحديث.

5- هيمنة النزعة الوظيفية على مجموع أعماله ، فقد كان هدفه الأساسي الرجوع إلى القراءة الهدائية للقرآن الكريم .

وبهذا العرض يتبيّن لنا سلامة فرضيات البحث فقد كان الرجل قرآنيا إلى النخاع موسوعيا يستثمر الخبرة الإسلامية بل والإنسانية غير آبه بالوعاء الذي خرجت منه، مما يؤكد أنه كان بحق "بديع الزمان" من خلال دعوته إلى القراءة الهدائية للقرآن الكريم، متجاوزا بذلك عقلية القراءة التبركية أو التاريخية التي تجعل الفكرة الزمنية (من خلال جهود المتقدمين أو المتأخرين) حاكمة على غير الزمني (الوحي بمحتواه القطعي الدلالة)، الذي كان من المفروض أن يكون محكوما به لا حاكما عليه، لأنه يمثل أنوارا كاشفة يستمد منها الجهد البشري في التعامل مع الحياة وشؤونها.

وأخيرا نتمنى أن تتاح لنا فرصة أخرى لقراءة تفصيلية لفكر النورسي، وفي الختام يحسن بنا الإشارة إلى بعض الجوانب المهمة الحرية (بفتح الحاء) بالبحث في قابل الأيام.

و بهذا الصدد أقترح القائمة الآتية:

1- الدراسة التحليلية للأبعاد النفسية في مؤلفاته .

2- الرؤية الحضارية في مؤلفاته.

3- المسائل المنهجية في كتاباته.

4- منهج التأصيل في دراسة العقيدة.

5- أصالة المنهج عند النورسي.

6- الإكراهات الواقعية وأثرها في جهود النورسي.

7- بذور المقاومة الفكرية في فكر النورسي.

9- مميزات الدرس العقدي والصوفي في فقه النورسي.

10- طبيعة أزمة العالم الإسلامي في فقه النورسي.

11- منزلة النورسي في الفكر الإسلامي المعاصر.

12- معالم التغيير الحضاري.

13- أولويات العمل الإسلامي.

14- فكرة التأصيل.

15- أساسيات مشروع التنمية.

16- مسالك التعليم كما يتصورها النورسي.

17- معالم التفسير من خلال الرسائل.

18- موقف النورسي مسالك التفسير.

19- موقف النورسي من علم الكلام.

20- موقف النورسي من التصوف.

21- مركزية البعد الوظيفي في الدرس النوري.

22- التجربة النورسية في الدعوة (دراسة تحليلية نقدية).

23- معالم التحوّل في فكر النورسي(القديم والجديد).

24- منزلة الهم الحضاري في فكر النورسي.

25- موقف النورسي من علماء عصره.

26- من الفلسفة إلى الحكمة (دراسة في موقف النورسي من الفكر الفلسفي).

27- النورسي وأعلام التصوف (ابن عربي، الغزالي، ..الفاروقي..)

28- مقاصد القرآن (دراسة في تفسير النورسي)

29- منهج التفسير عند النورسي.

30- موقف النورسي من الفلسفة المادية.

31- الصلة بين الحضارة والسياسة في فكر النورسي.

هذه مواضيع مختارة يحسن بالباحثين العمل على إنجازها، ويمكن أن نضيف إلى ما سلف البحوث المتعلّقة بتفاصيل بعض التخصصات، فمثلا يمكن أن نفرد بحوثا فرعية في مجال الدرس العقدي والدرس الصوفي والدرس الدعوي في فقه النورسي، بل ويمكن إنجاز بحوث عن الدرس الفقهي كما يتصوّره النورسي، و بعبارة أخرى يمكن للباحثين إنجاز دراسات تفصيلية في العقائد والتصوف والفقه و..